مجلة القصة

بقلم : رئيس التحرير

لعلنا لا نحابى الفن القصصى اذ قلنا انه أطوع فنون الأدب مسايرة للتطور الاجتماعى ، وأوسعها دلالة عليه ، ذلك بان هذا الفن مادته الحياة والاحياء ، فهو يصور كيف يمارس الانسان عيشه على ظهر الارض ، وماذا يجرى فى وليجة نفسه من منازع ، وعلى أى المناحى يستجيب للأحوال والملابسات من حوله ، ومن ثم كانت القصة فى وثاقة اتصالها بظواهر المجتمع البشرى ، وفى تجليتها لخفايا النفس الانسانية من أقوى الوسائل تعبيرا عن الحياة ، وأسرعها تصيدا للتيارات الجديدة فى آفاق الفكر وأعماق الوجدان ، وأبعدها أثرا فى توجيه العقول والأذهان .

ولقد كان للعرب القدامى على تعاقب الأزمنة نصيب ملحوظ من أدب القصة ، ولئن كان هذا الأدب القصصى المأثور لم يستوف حظه من العناصر التى تتكون بها الصبغة الخاصة للقصة الفنية ، ولم يستكمل الاطار المرسوم لها ، انه ليعبر فى صبغته الخاصة به ، واطاره المرسوم له عما زخرت به الخلايا الانسانية فى كيان المجتمع العربى من أخلاق وعادات ، ومن حكمة وخبرة ، ومن أهواء ومطامع ، كما فى قصص الامثال جاهلية واسلامية وكما فى المقامات فى القرن الرابع الهجرى وما تلاه ، وكما فى القصص الشعبى الذى اشتركت فى حبك نسيجه عصور .

وفى عصر النهضة الحاضر تناصرت جهود الادباء فى مختلف أوطان العروبة على أن يرسوا أسس قصة عربية ، تصطنع فى صبغتها واطارها المنهج الفنى الحديث فى مستوياته الرفيعة ، وتحرص فى مضمونها ومحتواها على أن تجلو ما لنا من سمات وملامح وتصور ما يعتلج فى مجتمعنا من تنازع وصراع . وكشفت التجربة عن كفايات عمل أصحابها على أن يدفعوا بالقصة العربية الى نطاق الادب العالمى ، وأن يمثلوا بها فى أمانة وصدق انطلاقة المجتمع العربى ، ويشيعوا فيها ذلك الروح النابض فى كيانه ، باعتباره بضعة من المجتمع الانسانى .

وإذا كانت القصة العربية الحديثة قد اتخذت لها أمومة من القصة الأوروبيــة فاغتذت بلبانهــا ، وجرت فى عنانهــا ، فان هذه القصة الأوروبية التى تدين بالبنوة لأسطورة يونان ، قد استلهمت قصة العرب التليدة فيما كان لها من روائع خالدات · وليس يجحد نقاد الادب ومؤرخوه أثر الاساطير العربية ، وقصة «حى بن يقظان» وقصص « ألف ليلة وليلة » وما اليهــا من النظائر والاشباه فى أعمال الرواد والنوابغ من القصــاص الغربيين امثــال « جوته » و « فولتير » و « ســويفت » و « ديفــو » و « بو » ممن يدينون للقاصى العربى بالكثير من الوان الايحاء والالهام ·

وفى هذا العهد الثورى ، عهد التجديد والبناء ، الذى أولى المرافق الاقتصــادية والتربوية والاجتماعية رعاية بعيدة المدى ، اضطلعت « وزارة الثقافة والارشــاد » بان تولى مثل هذه الرعاية لحياتنا العقلية والفكرية والادبيــة ، ومن ثم اتجهت الى أن تؤتى صحافة الادب والفن قوة ومددا ، بما أصدرته من مجلات فى مقدمتها « المجلة » و « الرسالة » و « الثقافة » ، وبذلك فسحت المجال أمام الاقلام والافــكار ومهدت السبيل لتجميع الاشعاعات الثقافية على اختلاف ألوانها ، وأتاحت لهذه المجلات أن تؤدى مهمتها فى الافادة والتنوير والتبصير ، موفرة لها من الامكانيات ما يؤمن طريقهــا وما يجنبها العثرات ·

ووزارة الثقافة والارشاد تصدر اليوم « مجلة القصة » جريا على سنن الاستقلال والتخصص الذى يساعد على التنمية والتعمق والاستيعاب· وان فى ذلك تربية الذكر وان فى ذلك لتقديرا لرسالة القصة فى تربية الفكر والتعريف بالحياة وتقويم الادراك لما يدور فى جنبات النفوس · وان فيه كذلك لاعزاز لمكان الادب القصصى بين فنون الادب الرفيع ·

والخط العريض لمنهج هذه المجلة أنهــا للقصــة بأوسع ما للكلمة من معنى ، فلن يستأثر بها مذهب بعينه من مذاهب الادب القصصى ، ولن يتحكم فيها ذوق خاص من أذواق المفاضلة والتمييز ولكنها ستجتهد ما وسعها الاجتهاد أن تكون مضمارا حرا فسيح الرحاب لكل عمل قصصى له على تعــدد القيم الفنية وتنوعها وزن واعتبار ·

وحرصها على أن تقدم القصص الموضوعة ، التى تستبين فيها ملامحنا القومية وصراعنا الاجتماعى لا يصرفها عن أن تقدم نماذج قصصية مترجمة من اللغات الاجنبية ، مادامت تحمل من المعانى الجوهرية ومن المزايا الفنية ما يدنو بهــا من مســتوى القصص

العالمى • فالمعيار الدقيق عندها للقصة وضعا أو ترجمة هو أن تلمس فيها الاستجابة الانسانية للحياة فى أصالة وصدق ، وأن ترى بها صورتنا البشرية التى تتوافق سماتها على تباين الزمان والمكان •

وكما تعتز المجلة بأن تعرض من الاعمال القصصية ثمرات ناضجة لاقلام متمرسة لها تجارب موفقة فان المجلة كذلك يسرها أن تحتفى بما تتمخض عنه قرائح الشباب من قصص فيها مخايل مبشرة وبواكير واعدة •

وليست القصص وحدها موضوع المجلة فمن أبوابها نقد القصص ، تراجم القصاص ، وعلى الجملة كل ما يتناول النشاط الفنى حول الادب القصصى •

واننا اذ نبدأ عملنا لا يعوزنا الايمان به والحمية له والتأمل فى كل مايضفى عليه الاجادة والاتقان • ولكن كل عمل مهما سبقت له التجارب واحتشدت له الهمم جدير أن يتطور مع التطبيق وأن تجرى عليه سنة الطبيعة فى التبديل والتعديل •

فلنمض على الطريق

ولنستمنح الله عونا على سداد الخطة ونزاهة القصد •

محمود تيمور

مساء الخميس

بقلم : محمود البدوى

كنا نتجه الى الاسكندرية متخذين الطريق الزراعى فى جو حار خانق ووسط قوافل من السيارات لا حصر لها فى سيارة قديمة من السيارات التى نستعمل عادة فى نقل الدخان الى دكاكين الريف .. ثم حولها صاحبها فى فصل الصيف الى عربة ركاب ونقلها من منطقة بنى سويف الى القاهرة لتعمل على خط المصايف بين القاهرة والاسكندرية .. مستغلا كل الظروف فقد كان أجر الراكب الواحد يرتفع الى ١٥٠ قرشا فى المشوار .. ثم ينخفض الى ثمانين قرشا تبعا لتقلبات الأحوال .

وكنا فى أول أغسطس والشمس تلهب وجه تمثال رمسيس القائم فى قلب الميدان الذى كان ينظر بغيظ وعجب الى حركة المرور المتخلفة التى تجرى تحت أقدامه ..

ولا أدرى كيف التقطنى المنادى وأنا أرتد عن السكة الحديدية .. بعد أن ألفيت كل القطارات محجوزة لمدة يومين والزحام على أشده .. وأدخلنى بفعل ساحر فى جوف هذه العربة الكئيبة .. كانت مقاعدها بالية ويعلوها التراب وطلاؤها الحاجى قد بهت لونه وستائرها ممزقة وحالتها فى الجملة تدعو الى الرثاء .. وركبتها وفى نفس اشتياق لأن أمر بتجربة جديدة فلم تكن هى أنسب العربات الواقفة على صعيد واحد فى الناحية القبلية من الميدان .

ولكنى كنت أقف هناك ضائعا تحت

الباكية ولا أدرى كيف أمضى أو أتقدم خطوة ٠٠ عندما امتلأ أمامى « تاكسى » وتحرك سريعا ٠٠ ثم تبعته سيارة من نفس الطراز ٠

وفى هذه اللحظة انتشلنى من حيرتى صوت المنادى ٠٠ وهو يقول :

ـ تفضل ٠٠ ياسيد ٠٠ هذه عربة مريحة ورخيصة وأجر النفر ١٣٠ قرشا فقط ٠

وكنت قد سمعت منذ لحظات قليلة أثناء وقوفى سعر البورصة ارتفع الى ١٦٠ قرشا ٠

فركبت فى الزاوية اليسرى من الصف الثانى ملاصقا للنافذة ولم أكن احمل حقيبة ولا ورقة ولا اى شىء على الاطلاق ٠

وكانت الكراسى الاربعة الامامية التى فى الصف الأول محجوزة كلها كما عرفنى السائق ٠٠ وبقى الكرسيان اللذان بجانبى اذ أن العربة معدة لسبعة ركاب وجاء الراكبان سريعا فقدكانت العربات الموجودة فى المكان لا تكفى سيل الركاب المتدفق ٠

وفى حوالى الساعة الخامسة مساء قدمت الأسرة التى حجزت المقاعد الامامية وكان معهم عفش كثير ٠

وأدخلوا العفش فى حقيبة السيارة الخلفية ثم **ركبوا أمامى ٠٠٠**

وركب بجوار السائق مساعد له وكان شابا .. جم النشاط يتحرك فى سرعة اللولب ٠٠ فلما أشرفنا على مشارف شبرا واتخذنا طريق المزارع

استرخى وتجمع على نفسه كالقوقعة ٠٠ ولم يعد يعبأ بشىء مما يجرى على الطريق ٠

وكانت الاسرة الجالسة أمامى مكونة من شاب نحيل أسمر لم يتجاوز الثلاثين وسيدتين احداهما شابة أنيقة فى الخامسة والعشرين من عمرها والأخرى عجوز بلغت الستين ٠٠ ثم غلام فى العاشرة ٠

وكانت السيدة الشابة تجلس أمامى مباشرة وبجوارها الشاب ثم غيروا أماكنهم وأبعدوا الغلام عن باب السيارة خشية أن ينفتح الباب فجاة ويسقط الغلام ٠٠٠

وكانت السيارة تسيربسرعة متوسطة وكل السيارات التى تمر فى الطريق تجتازها وتخلفها وراءها ٠٠

وأدركنا بعد مسيرة ساعة اننا لن نصل الاسكندرية قبل منتصف الليل فظهر الاستياء على وجوه الركاب ٠٠ وأخذوا يحثون السائق على الاسراع ٠٠



ولكن الراكب الذى بجوارى كان هادئا ولم ينبس ببنت شفة .. وبدا لى أنه اعتاد على الركوب فى مثل هذه العربات ..

وقال باسما فى همس وهو يلتفت الى لما وجدنى صامتا مثله ولا أشارك الركاب فى الحملة على السائق ..

– ان الاسكندرية ستظل فى مكانها سواء وصلنا فى أول الليل أو آخره.. ولن يبتلعها البحر .

– هذا حق ولكن مثل هذه السرعة لا تناسب هذا العصر .. لا ترضى الكثيرين اننا فى عصر الصواريخ ..

– وماذا يفعل السائق المسكين وما ذنبه ؟ المحرك قديم وهذه هى اقصى سرعة للسيارة .. والامر خارج عن ارادته .. ولو كان فى وسعه أن يطير لطار ..

ولكن هذا الكلام لم يقنع الشباب المرافق للأسرة وتبادل مع السائق كلمات جارحة حتى ان هذا أبدى استعداده عن طيب خاطر بأن يرد لهم العربون الذى تناوله منهم مقدما .. وينزلهم فى مدينة بنها دون أجر على الاطلاق .

وبمثل هذه الحالة من التوتر سارت العربة فى وهج الشمس فى طريق ناعم كالحرير ولكنه مشحون الى أقصاه بالسيارات الذاهبة والراجعة .

وكنت مسترخيا فى الجانب الأيسر مغلقا عينى نصف اغماضة لا أعبأ بتحركات السيارة أسرعت أو أبطأت فى الطريق ولا أنصت الى حديث الركاب الذين جلسوا معى فى هذا الحيز الضيق.

وفتحت عينى الى الحقول المزهرة على الجانبين ... والى الذهب المراق على الارض فى كل شبر نطويه ..

كانت حقول البرسيم يانعة على امتداد البصر حوالينا .. والقطن قد تفتح نواره .. وعيدان الذرة قد تطاولت سوقها وأطلت قناديلها ..

وعلى مبعدة فرسخ واحد تبدو القرى الوادعة .. وقد خيم عليها النخيل .. وحلقت فوقها أسراب من الطير تكسر أجنحتها وهى تتماوج وتتمايل فى سماء ساكنة ..

وقرص الشمس مازال يلتهب وهناك شىء أشبه بالدخان بدأ يتجمع .. ثم يتبدد صعدا ..

وظلت الصورة رائعة وأخاذة فى هذا المحيط الريفى الجميل ..

وكان الفلاحون متناثرين هنا وهناك فى قلب الحقول وفى أطرافها يعزقون الارض أو يسقون الزرع أو يشقون القنوات الصغيرة.. وسواعدهم المفتولة تبدو عارية تحت لفح الشمس .

ولقد ظل هذا الفلاح على الدهور يحس وهو يعمل فى الارض بساعده انه سيدها ومالكها .. ظل كذلك دوما يشعر بنفسه وبكيانه وبانه سيد هذه الأرض رغم ماحاق به من بؤس وعذاب فى عصور التخلف وعهد الاستعمار .. ظل كذلك صامدا وعاش حتى استرد حريته وأصبح مالك الأرض الحقيقى وسيدها ..

وكانت هذه السوانح وامثالها تطوف في ذهني وانا انظر الى الحقول وادخل في تيه من الجمال في كل لحظة حتى غفلت عمن كان معي في السيارة ..

ثم تنبهت على حس السيدة التي امامي وكانت تود ان تزيح ستر النافذة .. المزقة بعد ان خف وهج الشمس وتسألني في صوت ناعم مبحوح ان كان ذلك يضايقني .. فاجبتها في همس بان تفعل ما فيه راحتها .. تركتها وانا في شبه غفلة تزيح الستارة بيدها الرخصة ..

وقد جعلتني هذه الحركة اتجه ببصري الى داخل العربة .. واتفرس في وجوه الركاب .

كان الراكب الذى بجوارى سمينا بادى الطيبة له عينان وديعتان وبشرة سمراء وترتدى بدلة رمادية واسعة .. وكان خفيض الصوت قليل الكلام ..

اما الشاب الجالس بجواره مما يلي النافذة من نفس الصف فقد كان ثرثارا عصبيا ينفض رماد سجارته دوما بيد مرتعشة .. وكان في راسه عينان



قلقتان بادتي التبرم .. وله جبين مقطب وسحنه عابسة كانه يحمل هم الدنيا على كتفيه .

وكان يحمل في يده حقيبة اوراق صغيرة ظل يفتحها ثم يطويها .. كانه ذاهب للمرافعة في قضية لم يستعد لها .

وكان يجلس امامه شاب من طرازه وسنه وبدا لى انه عائل هذه الاسرة الجالسة امامي كان نحيلا قاسى النظرة طويل الوجه يرتدى بدلة داكنة على قميص مفتوح .. ويشاور بيديه وهو يتحدث .. وكان غليظ الطبع ظل يفتح النافذة ويغلقها تبعا لهواه دون ان يسأل باقي الركاب عن رايهم.. وجلس ملاصقا له الغلام وكان كثير الشقاوة والحركة ولكنه مرح وضحاك .

كانت السيدة العجوز تضمه الى صدرها ولم اكن أستطيع ان اعرف اهي ام للشاب أم للسيدة الشابة الجالسة امامي أم هي والدتهما معا ...

فلم يكن يعنيني الامر في كثير ولا كان من طبعي الفضول ..

وكانت الشمس لا تزال تلتمع وكل شيء اخضر حوالي .. ودخلنا في تيه من شجر الصفصاف ..

وبدأ الجو يتلطف واحسست بشعر السيدةالتي أمامي يصافحجبيني وتهتز سوالفه مع الريح .

وكان القميص الاسود الذى اختارته لتسافر به والذى يلف صدرها يخفى عن عيني كل مفاتنها ولكنه يبرز تحت

نظراتى العنق العارى وبشرة فى لون الحليب الذى علاه الزبد ٠

وشاهدته ــ وهى تستدير لتحادث جارتها شامة صغيرة سوداء ــ على خدها الايمن زادت الخد الأبيض فتنة ٠٠ وجعلت خط الانف الدقيق يتألق ٠

وكان جرس صوتها منغوما ٠٠ وشفتاها مضمومتان وفى لون الكريز ٠٠

وكان شعرها الاسود ساكنا ثم اخذ يتموج لما داعبه هواء الغروب ٠

وتحت تأثير خاطر الح على بعنف أخذت أبحث بعينى فى أصابعها عن خاتم الزواج أو الخطوبة ولكن ضاعت نظراتى فى تيه من الحلى فارتددت خائبا ولم أتأكد من شىء ٠

وكنت أعرف ان هذه الرحلة على قصرها ستحرك مشاعرى وتزيل تبلد روحى ٠

ووجدت نفسى فى حالة من الانشراح والتفتح ٠

وأدركت أننا جميعا ظلمنا السائق ٠٠ ولم نسمعه وهويشقى فى سبيل راحتنا وبلوغنا المدينة التى نقصدها فى امان كلمة طيبة واحدة وان استياءنا من بطئه حماقة ٠٠

اننا سنبلغ الغاية مهما طال السفر ٠٠٠

وكان السائق مقبلا بوجهه على الطريق وقد استغرق كل حواسه لان الليل دخل وأضيئت المصابيح ٠

وكنت افتتن وانا ارى الزرقة الصافية فى السماء ٠٠ وشعر الحسناء التى امامى يكون هالة لوجه بدا فى الليل وفى الضوء الشاحب كالقمر ٠

وأوغلنا فى الليل واشتد الظلام ٠٠ ثم لاحت انوار طنطا من بعيد ٠

ومال بنا السائق بعد قليل الى المقهى الصغير المعد كاستراحة ٠٠ على الطريق ٠٠ ولم ندخل المدينة ٠٠

وخرجنا جميعا من السيارة لنستريح فى المقهى ٠

وجلست وحيدا أشرب فنجانا من القهوة ٠

وكانت الاسرة التى ترافقنى فى السفر تجلس فى جانب من المكان ٠

ورأيت السيدة الحسناء فى مواجهتى هناك ٠٠ وكانت ترمقنى من بعيد وكأنها تسائلنى :

لماذا ابيض شعرك قبل الأوان ؟ ٠٠٠ ولماذا تجلس بعيدا ٠٠٠ ؟

والواقع أننى كنت أقرب من كل شىء اليها ٠٠ وكنت قد أدركت تماما أن السبب الاول الذى جعلنى أستطيب الرحلة ورجات العربة هو وجودها ٠٠ وان أنفاسها المعطرة هى التى حولت الجو كله الى أريج من العنبر ٠٠

***

وظللت ألاحظهم بعينى وغاب عنهم الشاب ثم رجع فنهضوا جميعا ٠٠ وانخلع قلبى وأنا أراهم ينقلون حقائبهم الى سيارة سوداء من طراز شيفروليه ٠٠ كانت واقفة فى جانب من الطريق ٠

وعدت الى العربة وحدى ومعى الرجل السمين الطيب وأصبحنا الراكبين

•• الوحيدين فقد طار الشاب الآخر أيضا وترك السيارة وانطلقنا متمهلين على الطريق فى الليل الاسود •

***

وكان الهواء قد بدأ يهب ويطيب ولكن الليل قد ازداد سوادا ووحشة •

وكانت نجوم صغيرة تتدلى من فوق شجرات النخيل العالية هناك والمنازل القائمة فى القرى الموحشة التى كنا نمر بها •• ولم يكن شىء يمكن أن يذيب الوحدة والصمت اللذين كانا يلفانى وأنا أنظر من خلال النافذة الصغيرة الى الارض السوداء التى تطوى تحتى والى السماء الصافية فوقى ••

وكان خط السماء الازرق قد التوى هناك فى الافق الغربى وبدات الجهامة المطبقة ••

وقد نسيت السائق ومساعده كما نسيت جارى فى العربة ••

وكانت أسلاك البرق والتليفون القائمة بجانبى على الطريق قد غابت فى الظلمة •

وبدا لى أن السيارة أسرعت بعض الشىء فى طريق ناعم كالحرير ويقوم على جانبيه شجر الصفصاف •

ثم سمعت صوت القطار السريع يصفر على الشريط الحديدى ويطوى الارض طيا •

وخيم السكون •• واشتد الظلام حتى أن العين لم تكن تلتقط أى اشارة للحياة على طول الطريق •

وكان حفيف الريح الناعم قد أنعشنى •

وكانت حواس السائق متيقظة على الطريق ••

وكنت قد رفعت الى مخيلتى صور رفاقى السابقين فى السفر صورة السيدة التى كانت تعطر المكان أمامى وأصبح مقعدها الآن خاليا •

وكنت أسترخى فى الليل •• وأنوار السيارات التى تأتى فى الاتجاه المضاد تغشى البصر ثم تتركنا فى ظلمة رهيبة•

وظللنا على هذا المنوال نطوى القرى والمزارع حتى خلفنا مدينة دمنهور •• وراءنا بمراحل وبدا الليل أشد سوادا ورهبة كانت السماء ضريرة النجم حالكة الظلمة حتى اختفت عن أعيننا كل القرى والكفور ••

وكانت أسلاك البرق السوداء فوقنا صامتة ثم خفت تئن وتتوجع عندما سفت عليها الريح ••

***

وعلى ضوء العربة الكشاف لمحنا شيئا أسود منحرفا عن الجانب الايمن من الطريق •• ولما اقتربنا وسلطنا عليه الضوء •• وضح كل شىء وأحسست برجفة سقط لها قلبى بين ضلوعى •• فقد وجدت رفاقى فى السفر الذين كانوا معنا منذ ساعة .. وكانت السيدة الشابة تحتضن رأس الشاب •• وكان هذا قد أصيب فى رأسه وصدره اصابة بالغة وغاب عن وعيه •

والعجوز تمسح على رأسه بالماء وتفرك يديه •

وكانت العربة التى يركبونها مهشمة ومات سائقها •• والعربة الكبيرة التى



ضربتها فرت بعد الحادث فى جنح الظلام ٠٠ دون أن يلتقط رقمها أحد ٠

وكانت اصابة الغلام والسيدتين خفيفة ٠٠ أما الشاب فقد كانت اصابته بالغة ومات السائق فى الحال ٠

وكان الشاب جالسا بجوار السائق فى مقعد القيادة وجاءتها الضربة من جنب سريعة وقاتلة ٠٠ وفرت العربة الاخرى ٠٠

وكان الحادث مروعا فقطعوا الليل بصراخهم ٠٠٠ ثم صمتوا ومرت عربة فرات حالهم ونقلت الخبر الى نقطة المرور التى طلبت عربة الاسعاف فى الحال والبوليس للتحقيق ٠

***

وجاءت عربة الاسعاف بعد ساعة ٠٠ وحملوا المصاب على المحفة ٠

ووجدت من اللياقة ان أركب مع السيدتين والغلام عربة الاسعاف ولا أتركهم وحدهم فى هذا الليل وجلست بجانب السيدة الشابة على الدكة الخشبية والعربة تمضى فى الطريق وجرسها يقرع اذن الليل ٠

وكانت السيدة منكسة رأسها ملتاعة وفى عينيها يتحير الدمع وعلى خدها جرح قد غسل وطهر بمحلول أحمر ٠ ٠ فزادها فتنة ٠

وكانت تنقل عينيها بين الرجل المصاب وبينى ٠٠ وكنت مطرقا واجما ٠ ٠ استمع الى حفيف الريح ٠٠ وأفكر فى ذلك الشىء السرمدى الذى يحركنا ولا نراه ويرسم لنا خط الحياة ٠٠ وفكرت في القدر ٠٠ وفكرت فى الموت والحياة ٠٠ وسمعت صوتا هاتفا خيل الى أنه صوت الشيخ رفعت ٠٠ وكان يرتل القرآن بصوت حزين مؤثر بالغ حد الاعجاز فأغمضت عينى تماما ورحت فى دوامة من الأسى ٠٠

وتحرك المصاب حركة يائسة ٠٠ فمدت السيدة اليه يدها وهنا لمحت خاتم الزواج فى أصبعها لاول مرة ٠٠ فاطرقت الى أرض السيارة ٠٠

وكانت السيدة الاخرى العجوز صامتة ووجهها جامدا والغلام نائما ٠٠ ورجال الاسعاف قد شغلوا عنا بالحديث فى شئونهم الخاصة ٠

ووصلنا الى الاسكندرية وكانت متلألئة بالانوار لم تكن المدينة الجميلة تحس بما جرى فى الليل وهى مثل الحياة أبدا تسير ولا تعبأ بما يجرى فيها أو يتخلف عنها ٠٠

ودارت السيارة وصعدت التل الى المستشفى الاميرى ..

وبعدم اكتراث وبروح خالية من كل عاطفة انسانية تلقى الطبيب المصاب .

***

وفى ردهة المستشفى رأتنى السيدة الشابة أروح وأجيء صامتا أخرس .. ورأيتها واقفة بكامل ملابسها كانت طويلة جدا ومحلولة الشعر .. وقد روعها الحادث وهز أعصابها ولكنها كلما واجهتنى ووجدتنى واقفا على باب المصاب .. كانت تود أن تقول لى :

— تفضل واسترح كفاك تعبا ..

ولكن لسانها كان يخونها .. وكنت أعرف أن زوجها سيموت بعد ساعة .. ولا أحب أن أسمع صراخها .. فأغمضت عينى وجلست فى الردهة وكانت تسبح فى ذلك الضوء الباهت والسكون يخيم على المستشفى وأحسست بريح الموت فتسللت الى الخارج ..

***

واتجهت الى البحر .. وكان قلبى يهدر مثل البحر تماما وكنت أعرف أن الموج كفيل بأن يغسل أحزانها ولكن متى يحدث هذا ومتى أرجع اليها .. واقرع بابها فى أمسية من أماسى الخميس .

غيرة

قصة قصيرة

للكاتب الفرنسي : فرانسوا كوبيه

ترجمة : عليه رياض

مذكرات سجين :

غدا صباحا ، ستتم الشهور الستة التى حكم على بها لاختلاسى الألفى فرنك من خزينة صاحب المحل الذى أعمل به٠

غدا صباحا ساكون قد كفرت عن غلطتى ٠

فى الثامنة سيدخل الحارس الى زنزانتى ، سيحضر لى ملابسى لأخلع بدلة السجن الكئيبة ٠٠٠ ساظهر أنيقا ٠٠٠ كاى شاب فى سنى ولن يكون على الا أن أنزل الى المكتب حيث ينزعون الحديد من يدى ثم ٠٠٠ ثم ألحق بمرجريت ٠٠٠ لقد وعدتنى أن تنتظرنى فى عربة على مدخل السجن ٠٠٠ ساكون حرا ٠٠٠!!

ساكون حرا ٠٠٠ أية سعادة تنتظرنى ٠٠٠ مع من أحب ٠٠٠ مع مرجريت٠٠٠ لقد كانت سببا فى دخولى السجن ٠٠٠ لقد اختلست لأرضيها ولكنها صارحتنى فى خطابها أمس أنها مازالت تحبنى ٠٠٠ واننا سنعود كما كنا معا من قبل ٠٠٠

وفى باريس ٠٠٠ تلك المدينة الكبيرة يمكن لأى انسان أن يخفى ماضيهبسهولة ويسر ٠٠٠ ثم ان شابا مثلى نشطا ٠٠٠ وسيما وله موهبة كبيرة فى التجارة سينجح بلا شك فى أن يكسب عيشه ٠

اننى مستعد أن أعمل ليل نهار ••• لأكسب عيشى ولاقوم بمطالب مرجريت!

ولكن ••• سأترك التفكير فى تلك الشئون الجادة لما بعد فلافكر فى غدى ••• غدى فقط ••• أنا واثق أنه سيكون سعيدا ••• عندما أتخطى باب السجن ••• سألمح فى العربة الواقفة هناك وجه مرجريت الحلو ••• ممتقعا من التأثر تحت غلالتها الرقيقة •

سالقى بالعنوان للسائق واضعا فى يده قطعة نقود حتى يسرع بى فى العودة ••• ساقفز داخل العربة التى ستجرى بأقصى سرعة ••• وسترتمى الفتاة المسكينة وهى تبكى على صدرى•• يالها من قبلات نهمة مشتاقة •••!!

وسندخل حجرتنا • حجرتنا التى توجد فى آخر شارع « مدام » حجرتنا التى تطل على حدائق اللوكسمبورج••• وفى تلك الايام الجميلة ••• آخر سبتمبر ••• الايام الهادئة الايام النقية والاشجار بديعة بأوراقها وهى على وشك أن تسقط عنها وتتهاوى مع فصل الخريف •

وسأساعدها فى تنسيق المائدة أمام النافذة المفتوحة وشعاع الشمس اللطيف يداعب المفرش الابيض النظيف وينعكس على الأوانى والأطباق فتتلألأ لامعة .

وسنتناول فطورنا فى مرح ونظراتنا تتلاقى ولا تملك أن تحيد عن بعضها••• والسكون العميق يحيط بنا من فرط الرقة والتأثر والحب أو ربما تحادثنا واتفقنا على مائة مشروع يجب أن ننفذها ••• معا •••

وبعد ما تسكب القهوة فى فنجانى ستحضر مرجريت وتجلس بجانبى ••• كما كانت تفعل من قبل وقد ضمت يديها على كتفى وأسندت فوقه ذقنها اللطيف ••• وهى تنظر الى عن قرب • وسأشم رائحتها الرقيقة ••• رائحة الشقراء • وسيداعب شعرها شفتى وسأشير للسرير باصبعى ••• وسأتلقى الرد بالموافقة بتلك الغمزة اللذيذة من عينها••• واذا ••• سريعا••• سأغلق النوافذ • وأسدل الستائر بينما هى ••• تشعل الشموع •••

ومن يعلم ••• ربما انفجر قلبى سعادة ••• وربما مت من الفرحة عندما أرى رقبتها •• وكتفيها ••• وصدرها وهو يظهر من تحت « الكورسيه » الساتان الاسود بينما تلمع ابتسامتها المثيرة وترتد الى على صفحة مرآة الدولاب المواجهة لى •••

نعم ••• هذا الذى يمكن أن يحدث لى غدا ••• بعد هذه الشهور الستة من الوحدة القاتلة ••• هذا الذى يمكننى الحصول عليه غدا ••• غدا اذا أردت الحرية والسعادة والحب •

ولكن هذا لن يحدث ••• فسأنتحر بعد قليل بعد أن انتهى من كتابة هذه الوريقات حيث أحاول أن أشرح لنفسى

موقفى وسببا للضرورة الحتمية لموتى .

تبعا لهذا الحــارس ... لقد صمم بالرغم من صرامة قوانين السجن على أن يبيع لى هذه « الوناسة » الصغيرة لأكتب على نورها الضئيل هذه السطور .

انه سيندهش غدا ... عندما يحضر ليطلق سراحى ويجدنى مشنوقا على أحد هذه الأعمدة الصلبة ... الباردة سيجد وجهى أسود ولسانى متدليا ... حتما سيندهش ... اليس كذلك... فهكذا ستمضى الامور ... اذا ... فقد قررت ... ساشــنق نفسى عنـد منتصف الليل ...

اذا فلأفكر ... فلأحلل بوضوح تلك المشاعر التى تنتابنى وتثيرنى ...

يجب أن أعترف أولا انه ليس هناك أى شـعور بتأنيب الضمير على هـذا الذنب الشنيع الذى اقترفته ...

فانا قد خنت الامانة وسرقت رجـلا عادلا وثق بى ، وكان حسن النية نحوى ... كان يقدر عملى ويشرفنى بمديحه ... وكان يفكر دائما فى مستقبلى حتى انه عرض على يوما أن أكون شريكا له فى أعماله التجارية .

ولكن فلأتخلص من هـذه المشــاعر الضعيفـة ... فلن أظهر أى شـعور بالنـدم ... فلو عاد بى الزمن للوراء لفعلت ما سـبـق أن فعلته دون أدنى تفكير ... نعم فلو شعرت مرة أخرى بذراع مرجريت ترتعش فوق ذراعى أمام واجهة محل المجوهرات ، ولو رأيت ثانية عينيهـا غارقتين فى الرغبة وهى تتأمل هذه الاسورة المزدانة بالماس ... اذا لسرقت مرة أخرى ... لسرقت الألفى فرنك من جديد ولقدمت لها الحلية .

ماذا ؟ هل أنا غبى ؟ ... أو غير مدرك للامور ؟ .. لا أدرى ... ولكنى ساكرر ما فعلته ..

هــذه المرأة ... كم أحببتها ... أحببتها عندما رأيتها لأول مرة ... يوم تلاقت نظراتنا ...!! مازلت أذكر ... لقد دعانى اثنان من أصدقائى للذهاب معهمـا الى الحفل الراقص الكبير فى مونمارتر ... فرفضت أولا ... كنت مجهدا ... وكنت أريد النـوم مبكرا ولكنهما الحا فتبعتهما .

وعزفت الاوركسترا رقصة البولكا ... واخذ الراقصون يدورون بغبـاء تحت الاشـجار الهزيلة وقـد أضيئت غصونها بمصابيح غازية صغيرة .

وحضرت امرأتان لمقابلتنا ... كانت احداهما طويلة سمراء وعلى وجهها الكثير من الطلاء وتمثل بوضوح خادمة الليل فى مطعم أو حان .

كانت تعرف أحد أصـدقائى ... وطلبت منا بوقاحة أن نطلب لها مشروبا وجلسنا حول مائدة وتعمدت أن أجلس بجانب المرأة الاخرى ... الشقراء ... وقد أسرتنى رقتها ورشاقة ملامحها ... وهيئتها المتحفظة بل.قد أقـول كانت خجولا . وكان من الواضح أنهـا كانت حديثة عهـد بتلك المهنة ولم تصاحب

الرجال فى الحفلات العامة الا منذ أمد قصير ••• لم تكن تتحلى بأى مجوهرات ••• ولا ترتدى الا ثوبا رخيصا أسود كالحا قديمـــا ثوب فتاة شريفة ولكن قبعتها الجوخ الصارخة ذات الريشة ، كانت تغرى كل من يراها على أن يقول لها ••• « أتقبلين العشاء معى الليلة » هـــذه القبعة فقط كانت كاللافتة فوق رأسها !! تدل عليها •

ودار بيننا الحديث وكان صوتهـــا حلوا ••• رقيقا مثل عينيها •• وفجأة وجه لها احد زملائى كلمة اعجاب فظة جريئة ولم ترد عليه الا بابتسامة محرجة ••• بهـــا أدب واستسلام وشـــعور بالاشمئزاز •

كانت ساحرة وفى نفس الوقت توحى بالعطف ولكنها جعلتنى أفكر « ولم أكن شاعرا فى يـــوم ما •• فى لمعة نجمة المساء فى جدول رقراق •

وفى نهاية الحفل ••• عندما صعدنا معا الى العربة قبلتها قبلتنا الاولى ••• وكان يغمرنا شعور لطيف بالمحبة ••• وقضينا الليلة معا •



يا الهى يخيل لى أنى ما زلت أشعر بحرارة دموعها عندما بكت على كتفى وهى تحكى عن طفولتهـا المشردة على أرصفة باريس وصباها البائس ثم سقوطهـــا المؤلم الذى لم تستطع تفاديه •

وكانت ليلة •• !! كانت ليلة نعمت بهـــا • وأثرت فى ••• لدرجـة أنى

انتزعت مرجريت بعد أيام قليلة من بؤسها المخزى وأصبحت تعيش معى ٠

وكان جنونا ٠٠٠ لم يكن لى من ايراد سوى مرتبى كصراف فى متجر « بسان جيرمان » ٠

ولكن مع ذلك لو أن مرجريت معها قليل من المال المدخر أو لو أن لها موهبة ربة البيت القديرة فى التدبير لأمكننا المرور بالازمة ٠٠٠ ولكن لم تكن كذلك ٠

كانت بطبيعتها رقيقة ، قلبها بارد خال ٠٠٠ سقطت فى الفساد بسبب ضعفها لا برغبتها ٠٠ لم تكن سوى صورة حية لمتشردة باريسية ٠ كسول ومجنونة وسكرى بالملابس تبقى فى الفراش الى الظهر دافنة وجهها تقرأ قصة غرامية وقد تتغذى بالسلطة لمدة اسبوع حتى تشترى لنفسها زوجا من الجوارب الحريرية ٠٠٠ واصبح منزلى فى حال كبيرة من الفوضى والاهمال ٠ وفى المساء عندما أعود من المحل كنت أجد مرجريت لا تزال برداء نومها كما تركتها فى الصباح تقرأ أو تصفف شعرها ولم تفكر حتى فى العشاء وكنت أضطر أن أرسل البواب لشراء بعض الطعام المحفوظ ٠ وعندما كنت أحاول أن أوجه بعض النقد الى عشيقتى كانت تقول لى بدون أن تغضب « أنا أعرف جيدا اننى لست المرأة الملائمة لك ماذا تريدنى أن أفعل ؟ اهجرنى ٠٠٠ ولن يكون لى الحق فى أن أشكو أو أعارض٠ ولن ألومك ٠

ولم أكن أعرف بم أجيب !! كنت متألما ساخطا ٠٠٠ عندما أجد انها لا تتمسك بى ولا يهمها هجرانى ٠٠٠ بينما أنا لايمكننى أن أستغنى عنها ٠٠٠ أبدا ٠٠٠ !!

فكرت أحيانا فى أن أهجرها عند بدء صلتنا ولكن فكرت أنها ستقول لى وداعا ٠

وانها ستعود فى نفس الليلة الى تلك الحفلة الكريهة التى قابلتها فيها لأول مرة والتى التقطتها منها ٠٠٠ وأن عابرا سيصحبها معه لقاء قطعة أو قطعتين من النقود ٠٠٠ أوه !! ٠ هذه الفكرة كانت غير محتملة ٠٠٠ كانت تقتلنى ٠٠٠ أهجرها ؟ ٠٠ ولكن كان يكفى ان افكر أنه عند استيقاظى فى الصباح لن أشم دفء جسمها بقربى ٠٠٠ كنت كأننى أتوه أو أغيب عن وعيى ٠

وبعد عدة أسابيع زادت حاجتى لتلك المرأة وكبرت حتى أصبحت فى قوة العاطفة المتأججة وعنف العادة التى لايمكن التخلى عنها أو التخلص منها !! كنت أحبها ٠٠٠ أحبها ؟ ماذا ؟ ٠٠ لقد كانت تمتلكنى ٠

عندما تعرفت بمرجريت كانت تسكن حجرة كئيبة فى فندق حقير ولم تكن تملك الا القليل من الملابس ٠ هذا الفستان الاسود الحقير ثم تلك القبعة التى تصمها وتدل عليها فى الحفلات ٠

ولكى أشترى لها ملابس جديدة

واوفر لها جهـــازا صغيرا ضحيت بكل ما ادخرته ، لا بل واستدنت أيضا ٠

ثم اهمالهـا ٠٠٠ وقلة عنايتها بكل شيء ٠٠ ثم المصروفات الجـديدة التى كنت أبددها حتى أسليها ٠ أصحبها الى المسرح والى القهوة لسماع الموسيقى اذ كنت أخشى أن تهجرنى عنـدما تمـل عيشتها معى ٠ كل ذلك أسرع بخرابى وافلاسى ٠ تاخرت فى دفـع التزاماتى وكان على مبالغ متفاوتة لجميع زملائى ٠

ولكن لم أكن أبوح لمرجريت بمتاعبى المادية ٠ ماذا كان سيفيدنى ؟ ٠ كنت أخاف أن تقـول لى بصوتهـا الهادىء المستكين : « ماذا تريدنى أن أفعل ٠٠٠ فلنفترق ٠٠ »

كنت أجتهـد ألا أفكر فى الكارثة الأكيدة المقبلة متظاهرا بعدم الانشغال أمام عشيقتى وعندما تتجمع عندى بعض النقـود نقضى وقتا ممتعا فى نزهة أو تسلية ما ولكن ... بداخـل نفسى وقلبى ٠٠٠ كنت ملتاعا من المستقبل ٠

وكثير من الرجال ـ فى موقف محرج مثـل موقفى ـ يلجأون الى القمار علهم يحصلون على ما هم فى حاجة اليه ٠٠٠ وسمعت زملائى فى العمل يتحادثون عن السـباق ومكاسبهم وخسـاراتهم ٠٠ وسمعت رئيس قسم الحراير بالمحـل يذكر اسم حصانين مضمونين أعطاهما له أحد (الجوكية) بالحلبة ٠ وأن أحد هذين الحصانين « ذرة الملح » مجهـول وسيدفع عشرة أضعاف الرهان عليه وان هنـاك مؤامرة بين الجـوكية ورجال السباق لجعل (ذرة الملح) يكسب ٠٠٠ وكان الكلام بثقة كبـيرة جعلتنى أفكر جديا فى أن أعمل شيئا ٠

يا الهى ٠٠٠ لـو أن الورقـة ذات الخمسمائة فرنك مازالت فى درج مكتبى كما كانت قبل حضور مرجريت ٠ اذا لكسبت خمسة آلاف فرنك ٠

اذا لكانت الطمانينة والثقة وسداد الديون واليسر فى الحياة ٠٠٠ ثم ٠٠٠ ثم الأهم ٠٠٠ امتـلاك مرجريت لعدة شهور أخرى ٠

ولكن لم يكن بجيبى سوى قطعتين من النقـود ٠٠٠ فطردت من خاطرى تلك الفكرة وهززت كتفى ٠

وكنت قد وعدت مرجريت بالرغم من ضيق ذات يدى أن أصحبهـا فى ذلك اليوم الى مسرح الفولى بريجير حيث يقدم بعض البهلوانات العابا عجيبة مرعبة ٠



ذهبنا سيرا على الأقدام وقد تشابك ذراعانا حتى تــوفر أجرة العربة ٠٠٠ وأثناء مرورنا أمام واجهات المحال كانت مرجريت كأى امرأة أخرى تتوقف أمام الواجهات لا سيما محال المجوهرات ٠ ثم نظرت باعجاب وأشارت لى الى اسورة رقيقة محلاة بالماس ٠

ـ ترى كم تســاوى تلك الحليــة الصغيرة ؟

ـ أوه ٠٠٠ قطعــا ليس أقــل من خمسمائة فرنك ٠

فابتعدت عن الواجهة ببطء وهى تلقى بنظرة طويلة بها أسف ومرارة ٠

ـ هيا بنا ٠٠ هذه الحلى ٠٠٠ انها ٠٠٠ حلوة للآخرين ٠

فى تلك اللحظة بالضبط ٠٠٠ تذكرت جيدا كمــا يذكر الانسان المستقبل فى ومضة سريعة ٠٠٠ تذكرت الكلام الذى سمعته عن الجوكي وخدعة السبق والفوز الأكيد « لذرة الملح »

وفى تلــك اللحــظة دفعنى الاغراء بالمكسب الاكيد على أن آخذ من خزينة المحــل ألفى فرنك فاشترى الأسـورة لمارجريت ثم العب بالبـاقى على « ذرة الملـح » وسأجد وسيلة لاغطى السرقة بعد عدة أيام حتى أستطيع ارجاع النقود فى السر ٠ واذا ربحت فى الســباق ستحل جميع مشــاكلى وتزول متاعبى نهائيا وستملأ جيوبى بالذهب وسأعود لأتناول عشــاء راقيا مع حبيبتى جالسا خلفها فى مقصورة بالمسرح ٠٠٠ أعبث من آن لآخر بشفتى فى تلك الخصلات المدلاة من شعرها فوق عنقها الجميل ٠

كنت أفكر فى تلك الاشـياء معا فى لحظة واحدة قبل أن تستدير مرجريت وتحول عينها عن الواجهة المثيرة لمحل الجواهرجى ٠

وجررتها وأنا قابض بشدة على ذراعها واسرعت الخطى وقلبى يكاد ينفطر ثم فجاة ٠٠٠ أصابنى شعور عجيب ٠٠٠ اصبت بدوار كأن أحدا ضربنى بشدة على أم رأسى وقلــت لنــفسى : « واذا لم اكسب ٠٠٠٠ ؟؟

والقيت بنظرة الى تلك التى تســير بجانبى ٠

ـ حمدا لله ٠٠٠ لقد كانت ملتفتة الى الجهة الاخرى الى ناحية الحوانيت ٠٠٠ ولم تر عينى ٠٠٠ وفى احدى الواجهات شاهدت برعب وجه مجنون يشبهنى ٠٠٠ لكن ٠٠٠ بعد جهد كبير وقــوة ارادة جبــارة استطعت السيطرة على نفسى والظهور بمظهر الهادىء الرزين ٠

ـ ماذا ٠٠٠ اذا لــم أكسب ؟ ٠٠ الذهب حينئذ لأجلس وظهرى منحن ٠٠٠ ورأسى ســاقط على صدرى فوق مقعد المتهمين ، ثــم ٠٠٠ ماذا ٠٠٠ سأجرب حياة السجن ٠

لا يوجد شىء بدون مجازفة وفى حالة اذا ما ركبنى النحس ٠ سأكون قــد برهنت لتلك المرأة على حبى ٠ تلك المرأة التى سيطرت على عواطفى وحواسى ٠ ولكنى لم أستطع أبدا أن أدفىء قلبهــا البــارد كالثلج ٠ سأكون قد أعطيت لمرجريت برهانا صادقا على حبى ٠ وربما احبتنى اخيرا وربمــا تألمت بدورها لأجلى ٠٠٠ كانت داعرة ولكنها ستعرف أننى سرقت لأجلها ٠

الساعات تمر ... ما فائدة أن أحكى عن العاطفة النفسية التى مررت بهـا والتى ضيعت كل آمالى ؟

ما فائدة أن أحكى عن السرقة التى اقترفتها ثم الخيبة الفظيعة التى واجهتها فى حلبة الســباق حين وجدت الناس يصرخـون محيين « السبعة السباتى » عندما سبق « ذرة الملح » برأس وضاعت معه كل آمالى .

واكتشـــفت سرقتى وقبــض علي وحوكمت ... وحــكم على بالحبس والقيت أخيرا فى هــذا السجن حيث قاسيت أشد أنواع العذاب .. ثم لن أفارقه الا فاقد الحيــاة .. نعم أشد أنواع العذاب .

لم يكن تأنيب الضمير لا ولا الحرمان من الحرية ولا المعيشة وسط المجرمين وقطاع الطرق ... لا . عذاب أشنع وأمر .. عذاب الغيرة .

لم أكن قد سبق لى أن تعذبت أبدا بذلك الشعور الفظيع ... فمرجريت أثناء الخمسة شهور التى عشناها معا لم تفعل أبدا شيئا يثير فى هذا الشعور البغيض .

كانت كسولا حتى أنها تقضى النهار كله فى مسكنى... وكان عندى الدلائل على ذلك وفى المساء عندما كنا نخرج معا لم الحظ اهتماما منها بأى شخص آخر غــيرى فلم تكن مرجريت أبدا معجبة بنفسها .

ولقــد حدث ما كنت أتوقعه ... وتألمت مرجريت جدا لمـا حدث لى ... ولموقفى كمذنب ... فقد رأت فى ذلك برهانا ماديا لحبى لها . وذرفت دمعا سخينا وهى تتهم نفسها بأنهــا سبب ضياعى . وعندما سمح لها بزيارتى فى السجن ادعت أنها أختى وعندما رأيتها رأيت وجها شاحبا من الحزن ... لقد أحبتنى أخيرا ... لقد تأكدت من ذلك .

اننى أذكر جيدا لقــاءنا الاول فى السجن . كنا نتبادل النظرات فى سكون عبر الأسلاك الحائلة بيننا . وأخيرا قلت:

ـ أتحبيننى بعض الشيء يامرجريت ؟ هل أنت صادقة فى حبك لى ؟

ـ أكثر وأحسن مما قبل . انك ترى بنفسك فى أى حالة أصبحت بعد غيابك عنى .. !!

ـ عجيبة لقد كنت باردة جدا معى .. قبل دخولى السجن .

ـ ان ما فعلته قد غيرنى جدا .. هل كنت أصــدق انك تحبينى الى هــذه الدرجة ... لقــد أثبت لى ذلك ... أطلب منى أى شيء لأثبت لك حبى .. !!

ـ لايوجـد الا شيء واحد يثبت لى ذلك الحب .

ـ ماهو ؟ اننى مستعدة لكل شيء .. لأى شيء .

ـ أن تبـقى على حبى ووفائى وتظلى مخلصة لى حتى أخرج من السجن .

ـ انى أعدك بذلك ... واقسم عليه .

ـ أحقا ؟ ... وكيف ستعيشين ؟

ـ سأعمل

ـ أنت ؟ .. يا عزيزتى المســكينة تعملين ؟ . هيه ... اننى أعرفك جيدا .. انك لا تجيدين شيئا .

ـ لقد تعلمت لاعمل خياطة ٠٠ وستري ٠

وحضرت بعد ثمانية أيام٠٠٠ وخلعت قفازها لتبين لى كيف أن أصابعها قد ثقبت من وخزات الابر ٠٠٠ ثم قالت لى انها تعهدت بتوريد كلف لأحد محلات الموضة ٠ انها تكسب حاليا فرنكا فى اليوم ولكنها بعد قليل ستصبح ماهرة وستكسب ثلاثة فرنكات يوميا وربما أربعة ٠

ـ سيمكنني أن أعيش بذلك ٠٠٠ (واستدركت باسمه) لن أعيش عيشة رغيدة ولكني حاليا لا أفكر الا في شيء واحد ٠٠ أن أرضى وأسعد حبيبي ٠

حبيبي ٠٠٠ هذا الاسم ٠٠٠ حبيبي الذي كانت تقوله لى من قبل بدون أى اكتراث كما تتشدق بأى لفظ آخر اعتادت أن تقوله لكل عشاقها ٠٠٠ نطقته فى هذا اليوم بنغم مؤثر رقيق شعرت أنه صادر من قلبها ٠٠ شعرت أنها تعنيني فعلا ٠ أنا ٠٠٠ أنا دون أى شخص آخر ٠ وقفزت الدموع من عيني٠

لا يهمني اذا أن أكون سجينا ٠ لا تهمني نظرات الاحتقار والاستهزاء التى تحيط بى ٠٠٠ ثم ذلك الحساء الردىء الذى أتناوله وسط الافاقين ٠ ولا الليالى الطويلة المسهدة التى أقضيها فى ظلام الزنزانة !!

مارجريت تحبنى ٠٠٠ أصبحت تكسب عيشها لتبقى شريفة وفية لى ٠ فى انتظارى هل هذا ممكن ؟ أنا الرجل البائس ٠٠٠ لقد اقترفت سرقة من أجل امرأة ٠ وستهدأ سكينتى بعد ذلك ٠ سأكفر عن غلطتى ٠ وسألجأ الى ذراعى

نفس المرأة ولكنى سأكون شخصا آخر وقد صقلته التجربة ودربه الحب والعمل وستكون هى نفسها أول من يهديني لطريق الصواب اذا ما راودتنى نفسى اليه ٠

آه ٠٠٠ كم كنت مملوءا بالأمل والشجاعة مستعدا لأن أمضى مدة العقاب التى أستحقها دون شكوى ودن ألم وفى أشد لحظات سجنى ضيقا ٠٠٠ كنت أفكر فى مرجريت وكان الامل يعزيني ويدفئنى وكأنه قوة سحرية تدفىء قلبى ٠٠٠ وزملائى فى السجن الكريهون كانوا يسألوننى لم أبد دائما سعيدا ؟ وما الذى يجعلنى أبتسم ؟ ٠

حالتى النفسية المتفائلة ٠٠٠ أنا المذنب الذى يرتدى ملابس السجن المشينة والذى ينهره الحراس كما ينهرون كلبا

أنا ٠٠٠ انهم لا يعرفون ٠٠٠ لقد عشت لحظات بديعة ٠٠٠ هذه الموجة من السعادة التى تغمرنى والرضا بما قسم لى والامل فى المستقبل ينير أمامى الطريق ٠

تلك الحالة دامت شهرين وفى ذلك الوقت كانت مرجريت تحضر لزيارتى بانتظام ساعة كل أسبوع ٠٠٠ وفى كل من تلك الزيارات كنت أتأمل بأسى وشفقة عينيها المحاطتين بهالة سوداء من السهر ٠ ووجنتيها الذابلتين من الحاجة والبؤس وأصابعها المخشنة ورداءها الذى أصبح كالحا باليا ٠

ولكن ٠٠٠ أتى يوم بدأ فيه عذابى وحيرتى وألمى وسهدى ٠ حضرت بثوب جديد وذابت نفسى وعذبنى شكى فيها

واتهامي لهـــا بالخيانة ولكنها واجهت نظرتي وقالت وهي تبتسم :

ـ آه انك تنظر لثوبي··· لقد أعطنه لي كلوتيلد ··· أتعرف كلوتيلد انهـا تلك الفتاة التي كانت تصحبني يوم أن تقابلنا لأول مرة ان لها الآن عشيقا غنيا يغرقها بالهدايا والملابس ··· لقد أهدت الى هـــذا الفستان عندما رآتني ألبس القديم البـــالي ··· ولم يكن على الا أن أصلحه قليلا ··· انه كالجديد لم تلبسه الا خمس أو ست مرات ··· ألا يبدو جميلا على بعد أن اصلحته ؟

ولم يكن هذا صحيحا ··· فمارجريت لم تكن تعرف تلك الكلوتيلد كصديقة· كانتا تتقابلان في الحفلات العامة فحسب ثم انه من غير المعقول أن يكون لكوتيلد عشيق غني يصنع لهـــا المعجزات فهي ليست شابة وليست جميلة وسيكتفي بعض السكارى بقضاء الليلة معها ··· اما ان يكون لها معجب وثرى ···لا··· أنا واثق أنها تكذب على ·

وبالرغم من محاولة مرجريت مواجهة عيني كانت نظرتها مرتبكة واهدابهـــا تتضــــارب بسرعة ويظهر الكذب في عينيها ·

وكنت على وشك أن أواجهها بكذبها· وأعاتبها منفجرا غاضبا · ولكني خفت ··· خفت ألا تعـــود لي ثانيـــة ··· وسكت ··· واستمرت تكلمني بحرارة قائلة انهـــا تكسب الآن ثلاثة فرنكات وأحيانا أربعة في اليوم ·

وقالت ان أمامها أعمالا كثيرة لايمكنها انجازها جميعا وانها تفكر في استئجار مساعدة لهـــا · وكانت تنســـاق في أكاذيبها ··· وكنت واثقا من كذبها !!

وبالرغم من أني كنت أشعر بعاصفة من الغضب والالم تثور في صدري ··· كانت نفسي تتظاهر بالهدوء حتى النهاية ··· ولم أرد الا بكلمات مقتضبة لامعنى لها على كل هذا الكلام ·

ونسبت سكوتي الى ألمي من السجون وخرجت وهي سعيدة لانها قد غررت بي وخدعتني ·· اذا مرجريت تخونني ·· وأنا أكفر عن ذنبي كسارق بسببها ·

لقد اتخذت عشيقا ·· ربما تبيــع جسدها بالليل كما كانت تفعل من قبل أو ربما مقابل بعض الملابس لقد رأيت فستانا جديدا لها ·· وفي المرة القادمة أراهن على قطع ذراعي الأيمن اذا لم تات لي بزوج جديد من القفازات وبقبعة جميلة وكل تلك الاكاذيب التي قصتها على لم تكن الا مقـدمة لما ستلبسه أمامي في المرات القادمة ولم تفكر في أن تتظـــاهر أمامي بالشرف بأن تلبس ملابسها القديمة أو أنه ربما عز عليها أن تظهر في الشارع بثوب بال ·· لقد فضلت أن تقص على أكاذيبها السخيفة ·

أو ربما هزت كتفيهـــــا قائلة هو وشأنه ان لم يصدقني ·

اوه تلك العـــاهرة الماكرة .. ألهذا سرقت ؟ ·· ألهذا وصمت اســــمي بالعار ؟ ولكن كم أنا غبي ·· انهـــا أهل لهذه الخيـانة فهي لاتحبني · · فلماذا تحضر لتراني ·· احسانا على·· أو تظاهرا بالرثاء كما كانت تذهب الى البوابة المريضة حاملة لها البرتقـــال بالمستشفى

ياللعار .. كانت تشفق على اذن .

وقضيت ثمانية أيام مرعبـــة ··

وتدور فى رأسى تلك الافكار ثم تملكنى الخوف ٠٠ مم ٠٠ ماذا اذا لم تحضر فى الزيارة القادمة ؟ وقد قذف بى ذلك

الخاطر فى دوامة هائلة من القلق والخوف واليأس والعذاب ٠٠ كما ظهر لى مقدار حبى لها ٠ وحرصى عليها ورغبتى فيها وهول فجيعتى اذا مرت الايام ولم أرها فعاهدت نفسى على السكوت ومداراة ظنونى ٠٠ وخجلى وعارى لانى أحبها ، أريد أن أبقى عليها ولا أفقدها ٠ ٠ بالله كم أحبها ٠٠ وحضرت ٠٠٠

أوه لقد راهنت ٠٠ لقد حضرت بقبعة جميلة للربيع وهى فى أكمل زينتها ، وكان وجهها صبوحا مشرقا وبشرتها أكثر نضارة وشبابا ٠

حتما تلك المرأة لاتعيش فى عذاب الحاجة ولا تعمل ليل نهار فى الخياطة ووصلت بها الجرأة الى أن تقول لى انها سعيدة وانها قد استأجرت عاملتين ٠٠ ومائة أكذوبة جديدة وتظاهرت بالفرح لها ٠٠ ومجاراتها ٠٠ وطلبت منها أن تخلع القفاز تضع يديها على السور الحديدى أمامى حتى يمكن لى لمسها بشفتى ولاحظت عدم وجود آثار الابرة فى أطراف أصابعها ٠

الساعة تدق الحادية عشرة والنصف فى ساعة السجن ٠

وطرف الشمعة يكاد يخبو ٠٠٠ فلنسرع ٠٠٠

ولو اتسع لى المقام لوصفت لكم ماقاسيته من حيرة وبؤس وعذاب ولكنى سألخصه فى كلمتين ٠٠ «غيرة رجل سجين» ٠

وسيطول بى الأمر لو وصفت تلك القائمة من العذاب الذى سببته لى مارجريت فى كل زيارة جديدة ولكن تلك الزيارة يجب أن أحكى لكم عنها ٠

كنت فى انتظارها فى ذلك اليوم كنت أحاول أن أقنع نفسى باننى ربما تجنينت عليها ٠٠ ليس بعيدا أن تصل امرأة الى أن تكسب عيشها بشرف ووفرة حتى تشترى بعض الملابس والكماليات ٠٠

ومر فى ذهنى خاطر طمأننى ٠٠ فلربما تحرص على الظهور امامى بملابسها الجديدة لثقتها انها كسبتها عن طريق شريف والا لاستطاعت أن تخفيها عنى

ولم تكن مرجريت تهوى التزين بالحلى والحلية الوحيدة التى حرصت عليها وتحلت بها كانت الاسورة التي اشتريتها لها بالنقود المسروقة ٠

وبدأت أشعر اننى كنت متجنيا عليها و ٠٠ واقنع نفسى ببراءتها وحبها لى ٠٠ ولا أفكر الا فى ما يبرىء مارجريت من تهمة خيانتى ٠

وحضرت فى الزيارة فى الميعاد المحدد كما تعودت دائما وعندما رأيتها عن بعد شعرت باتهاماتى لها تتبخر ولكن عندما اصبحت قريبة منى هالنى شىء ٠٠ أثر ثقب وجرح لم يبرأ بعد فى أذنيها ٠٠ بالله ٠٠ لقد حصلت على جواهر اذا ٠٠ أو ربما رفعته من أذنيها قبل دخولها لى حتى لاتؤلمنى ٠٠ لقد اصبحت تريد وضع حلى رقيقة فى أذنيها ٠

فى ذلك اليوم فقط لم يبق لدى أدنى شك فى خيانة مرجريت ٠٠ وبدأت أفكر فى الانتحار ، وكان يجب أن أعترف

اننى مازلت أحب تلك المرأة وفى الليل أحلم بها بجانبى •

وتملكنى الضعف حتى صور لى أن أحتفظ بها بالرغم من كل شىء •

وكنت أسخر أحيانا من غيرتى ولكن شعورى بالعار كان اقوى منى وفكرة خيانتها لى •• فكرة بيع جسمها لآخر لا بل ربما لرجال آخرين بينما أنا فى السجن بسببها •• تثيرنى وتقتلنى •

وكما ذكرت فى بدء رسالتى كان يمكنى أن أخرج معها غدا وأتمتع بقربها وجمالها واقضى وقتا حبيبا سعيدا •• ولكن ربما لمحت فى رماد المدفأة طرف سيجار «السيد» الذى كان معها بالامس وقد أمسك بسكين وأغرزه فى صدرها لقد صرت سارقا • • ولا اريد أن أصبح قاتلا •• من الافضل لى أن أموت • • أموت وانا أعرف أنها أحبتنى فى وقتما ولكنها لم تكن لديها القوة لتنفيذ قسمها لى •• وداعا يامرجريت انك لست سيئة بطبعك •

ولربما وأنت تقرأين هذه الكلمات ستبكين للحظات أظن ذلك •• ولكن كل شىء ينسى سريعا فى هذه الحياة •

وبعد مدة •• عندما سيطلب منك أحد عشاقك أن تسليه بقصة حياتك ستكونين فخورة كامثالك•• وستقفزين بقدميك العاريتين ، من السرير لتذهبى وتحضرى به هذه الاوراق من الدرج • ستكونين محتفظة بها جنبا لجنب مع أوراق اللعب وكشف بأسماء معارفك•• ثم تعودين لترقدى بجواره وتقرأى له اعترافاتى •• لزائر ليلة •• فخورة أن تثبتى له ان بائساً قد قتل نفسه من أجلك •

ان الليل ينتصف •• وشمعتى ستنطفىء •• لقد طويت ملاءة سريرى•• وجهزتها لتكون لى حبلا كما أن لوح الخشب صلب متين •• بعض الشجاعة اذا •• ولننتهى •

وهدمنا الجبل

متولى

بقلم: د. سهير القلماوى

وبدأ الصبح يتنفس هادئا اثر معركة الشمس مع الظلام • لقد انتصرت الشمس ولكن الانتصار جاء اثر جهاد عنيف لم يحس به كائن من الكائنات الاخرى ان كلا منها مشغول بمعركته عن معركة الشمس مع الظلام •

وفى القرية الوادعة فى ريف النوبة حيث عبدت الشمس قبل أن يتطلع اليها انسان فى أى مكان • كانت بقايا مساكن ساذجة فقيرة مجمعة حول نفسها كأنها بتجمعها تتحدى الصحراء القاسية أو مصيرها المحتوم وعلى بعد بعيد وعلى ضفة النهر الخالد الذى كانت الرحلة اليه أشق أعمال الصباح سارت القافلة الحزينة هادئة وديعة نحو مستقبل مجهول مستقبل البلدة الجديدة • وانعكست صورة القافلة على الافق وأصابع الفجر الوردية مازالت تنطبع هزيلة على سمائه . وكان الكون كله تغشاه رغم الضوء الاحمر الوليد سحابة حزن ووقور قدسى • وبين الافق والقافلة كانت تتراءى بضع نخلات مفردة هزيلة كأنما هى كل جهاد الانسان مع هذه الصحراء الجبارة



العنيدة • بضع نخلات استنبتها الانسان والماء عليه ضنين • نعم الماء سلاحه الوحيد أمام هذه الصحراء •

وكان الغلام الاسمر الذى يقود جمل شيخ القبيلة يغنى غناء هادئا حييا وكأنما هو يتأدب أمام وقار الصحراء وجلال الفجر • انها أغنية رتيبة ، بسيطة النغم ، تتكرر على نغمها القصير كلمات وكلمات ، والنغم يعاد ثم يعاد فى تكرار ورتابة كتكرار الشمس والظلام وتتابع الليل والنهار • انه نبض الحياة كنبض الانسان رتيب رتيب نبض الكائنات الذى لا يحس كنبض الانسان لا يلتفت اليه الا فى أزمات المرض وخوف الموت •

وتوقفت القافلة وتنحنح الشيخ ونزل الراكبون ووقف السائرون وأمهم الشيخ فى الصلاة الشيخ عبد الصمد الوقور ولحيته البيضاء ووجهه الاسمر الغامق هما فى حد ذاتهما ليل ونهار ولكن مابال النهار عند الشيخ عبدالصمد لا يقوى على كسب معركته مع وجهه الاسمر الكالح • انها معركة طويلة •

وعلى هودج غطى بقماش أبيض نظيف كانت أمينة المجذوبة يحرسها عشرة من أشداد الرجال • رجال تسامعوا بأمينة المجذوبة من بعيد فلقد كان حديثها يتردد بين حين وحين فى ناديهم فى القاهرة حيث كانوا يعملون • لقد جاءوا لينقلوا أسرهم من القرية القديمة الى البلدة الجديدة منهم من لم ير القرية منذ أعوام ومنهم من كان يحرص على أن يزورها كل عام وكلهم الوفى والعاق قد استقبله الاهل بترحاب شديد • وكلهم أقاموا له الافراح يوم وصل ولكنها كانت أفراح مختصرة قصيرة تغشاها سحابة حزن دفين سيتركون بيوتهم سيتركون موتاهم هناك على البر الآخر البعيد من النيل سيتركون هواء مشبعا بأنفاسهم وترابا يحمل آثار أقدامهم • أقدامهم الصغيرة يوم دبت أول ما دبت على الارض وأقدامهم القوية الفتية وأقدامهم المرتعشة الفانية كلها لاجيال وأجيال تتابع على هذه الارض •

ولم تكن أمينة تعى شيئا • أمينة السمراء الجميلة التى استقبلت الصباح ذات يوم مشئوم زاد فى شؤمه انه أتى بعد موجة فرح عاتية • فلقد ظلت أمينة تعمل فى الحوص والصوف تنسج لبسطاويسى ابن عمها ثيابا وتعمل

لنفسها ثوبا وتزين جدار غرفة صغيرة· وعلى الجدار كانت أطباق أو حلقات كبيرة زاهية الالوان منسوجة بيد الجميلة أمينة · ولما جاء ابن العم وسلم اباها مهرها وعمت القرية أفراح راح بسطاويسى يطلب بركات الشيخ عبد الصمد · وتمتم الشيخ وبصق فى الارض وحوقل فى الفضاء وتطلع الى السـماء · « مشئومة يا بنى مشئومة · بينك وبينها حجاب انزله رب الاربابليقى زين الشباب من شرالاحباب مشئومة مشئومة » · وعاد الشـاب وقد انقشعت الآمال واسلمت سماءها الى شمس محرقة تحرق القلب والفكر والجسد · وتلقت أمينـة الخبر أول الامر ذاهلة ثم ولولت وبكت ثم ضربها الوالد الشيخ بعصـا خشبية غليظة كان يتوكا عليهـا حتى أنقذها منـه الاهل والنـاس · وعاد بسطاويسى الىالقاهرة ولم ير فى القرية وأدرج فىسجل العاقين ·

ومر عام وعام وجاء ادريس ليخطب أمينة بعـد أن رفضت السماءزواجها بابن عمها وتكررتالمأساة أنالشيخ عبد الصـمد يصر « أنهـا مشئومة يا بنى مشئومة » وفى المرةالثالثة ظهرتأعراض الجنون وسميتأمينة بالمجذوبة· أمينة الشابة الجميلة التى كان يتمنى كل شاب من القرية أن يظفربها لجمالها ومهارتها ودأبها على العمل لادبها وعفتها ولمزاياها التى كانت على كل لسـان » محرمة مشئومة؟ لماذا · لا يدرى أحد · ان الشيخ عبد الصمد لا ينطق الا بكلمات جسام كلمات ترج القرية وتقرر مصيرها ·

ولما عرفت القـرية بامر الهجرة جاءت الى الشـيخ عبدالصمد تستفتيه فمانع أول الامر· وفرح القوم وقالوا سنموت فى القرية ولننتقل منها · وتسامع الناس بقوم يأتون الى الشيخ عبد الصمد من اسوان يتحدثون اليـه ويختلون به · ولكن القرية كانت واثقة من الشيخ عبد الصـمد · ألم يقف يوما فى جماعتهم ليقص عليهم كيف حاول ادريس أن يرشوه بعشرة جنيهـات والله يا أولادى عشرة جنيهات وماذا لو تزوج ادريس بأمينة ولكن الشيخ أمين انه يرفض الرشوة فى سبيل أن يقول الحق والحق أن أمينة مشئومة ·

وفى صـباح يوم لم يعرف أهـل القرية ماذا حدث ليلتها والشيخ عبد الصمد فى خلوته يقرأ الادعيـة وعدة الاحجبة عن يمين والدواة والقرطاس عن شمال . قالالقد

رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام » • وصلى الناس وسلموا على سيد المرسلين• « انه يأمرنا جميعا بأن نذهب الى البلدة الجديدة • انها مشئومة ولكن هذا هو مصيركمفقد نصلى هناك فيغفر لنا رب السماواتوالارض• ان فى غرق القرية التى عاشت آلاف الاعوام عطشى لحكمة لا يعلم سرها الا رب السماوات » •

وصلى القوم وبعد أسابيع بدأت الرحلة • وسارت القافلة تودع الشمس كل مساءوتستقبلها كل صباح • رحلة طويلة حزينة على رأسها عبد الصمد واجما حزينا وفى ذيلها أمينة مجذوبة لا تعى شيئا • وكان أحمد وعبد العزيز شابين وقال أحمد أنا أكره الشيخ وقال عبد العزيز اخفض صوتك واستغفر ربك • أنه ولى من أولياء الله • الم يتنبأ بشؤم امينة تعسة بسطاويسى وادريس أو عسر اذا ما تزوج بالمجذوبة • وقال أحمد « نعم » • ثم قال « ولكن أمينة لم تكن هكذا يوم خطبها الخطاب » • وقال عبد العزيز : « لقد عرف الشيخ الغيب انه أمين اتذكر رشوة الجنيهات العشرة » • وقال أحمد « لا أدرى أنا لا أطمئن اليه ولا أدرى أيضا لماذا أحب امينة بل لا أدرى لماذا أنا فرح بالبلدة الجديدة » •

واستقرت القرية فى البلد الجديد • مضت أيام فى قلق واضطراب وحركات كبار • موظفون ومشرفون ووجوه باسمة تلقاهموكلمات جميلة يستمعون اليها وبشائر مستقبل قريب تلوح هناك فى أفق لا يرونه • وبدت الجدران أول الامر صماء قاسية خانقة وقليلا قليلا زانتها أطباق الخوص وعقود الخرز والقناديل الزاهية الالوان • وأخذت الحياة تنتظم وتنتظم وتعود القوم أن يذهبوا فى مشاكلهم الى بعض رجال يسكنون بيتا وسط البلدة يقدمون لهم غذاء ودواء وبذورا يبذرون بها الارض • وجاء وجه ذات يوم وجه فتاة تلبس ثوبا أبيض فتاة بيضاء سمحة تحنو على الاطفال تغسل عيونهم وتشفى أمراضهم وصادقها الامهات • ورجال البندر والست عفيفة الممرضة يملأون فراغالشكوى فيقل ذهابهم الىالشيخ عبد الصمد وفجأة فى يوم جمعة أعلن الناس أن الشيخ عبد الصمد قد فر فى ظلام الليل • قال قوم لقد رفع الى السماءوقال قوم لقد شوهد يعدو فى الطريق الى الصحراء وقال رجال البندر مالكم وله وسيعود اذا كان حيا• وفرح أحمد وامتلأ

عبد العزيز زهـوا وتفاخر بأنه هو أيضـا لم يكن يحب الشيخ • وبدأ الناس ينظرون الى أمينة • وحملت أمينة الى الست عفيفة وبعد أن استأذنت الوالد الشيخ رحلت أمينة الى مستشفى العاصمة •

وتحدث الحياة الهادئة نبوءة الشيخ عبد الصمد أن البلدة مبروكة انها ليست مشئومة • صحيح أن هنـاك حنينا قويا نحو القرية الصغيرة هناك، ولكن أين الحياة هنا منها هناك ثم أليس النيل سيغرقها فكيف اذن يعودون• وبدأت ألوان جديدة من الافراح تظهر ان شـباب القرية لن يرحل الى العواصم انه سيمكث هنا ليزرع وليعمل فى المصنع البعيد هناك ليعود آخر النهار • وعاد الى أهـل القرية من الشيوخ شبابهم لما رأوا أبناءهم الى جوارهم • ان اللوعة لوعة فراق الابناء ستغرق هنـاك •• هناك مع النيل • والبلدة لن تحرم من شبابها لن تحرم من عصب حياتها •

وذات صباح صاح فى الناس أحمد الشاب الجميل ان أمينـة يا قومى قد عادت لقد شفيت وسأتزوجهـا • ووجم القوم وصاح شيخ « مشئومة يا ولدى » وقال أحمد سأتزوجها وبمال الشيخ عبد الصمد نفسه • وصاح القوم رحمه الله كيف تجرؤ على القول بأن الشـيخ عبد الصمد يملك مالا • انه ولى الله وأوليـاء الله فقراء لانهم أغنيـاء بايمانهم وقال أحمد نعم بمال الشيخ الذى فر منكم ذات ليل • الشيخ الذى تركتم ليعود الى القرية حيث كان قد دفن المال فى بيته ولكن عملية اعداد الارض لتستقبل الماء سبقته • وهـذه بعض أوراق الشيخ عبد الصمد وهـذا هو المبلغ الذى وجد فيها لقـد مات الشيخ على مشـارف القرية وهو فى طريقـه الى كنزه وحمله بنـاة السد كما يحملون الصخور والقوه بعيدا فى حفرة من تراب • لقد كان هو أيضا جبلا صخريا عاتيا يعوق ماء الحياة ماء الفكر عن عقولكم • لقد هدمنا الجبل وفجرنا النهر لقـد هدمنا عبد الصمد واتحنا الحياة لأمينة •

فن القصة

عند طه حسين

بقلم : د . حسين نصار

عرف الأدب العربى الحديث أنماطا عدة من الكتاب، يسهل على القارىء او الناقد او الدارس ان يعطى بعضهم الصفة التى هو جدير بها ، ويعسر عليه ذلك عند بعضهم الآخر . فقد عرف هذا الأدب رجالا وجهوا جهودهم جميعا الى فن واحد لم يعدوه الى غيره ، كالشاعر خليل مطران، والقاص محمود تيمور ، وعرف رجالا وزعوا جهودهم فى أكثر من فن ، ولكن غلب عليهم واحد منها ، فعرفوا به أكثر من غيره ، كالشاعر على محمود طه ، والقاص المازنى. ثم عرف رجالا برزوا فى عدة فنون ، بحيث يحار المرء أين يضعه ، كعباس محمود العقاد .

ولعل أحدا لا يتردد فى اطلاق صفة الأديب على طه حسين ، ولكنك اذا طلبت الى غير المترددين هؤلاء انينسبوه الى لون من الوان الادب ، ترددوا ، وتحيروا ، ثم تفرقوا مذاهب شتى . فقد استهل طه حسين حياته الادبية شاعرا ، ولكنه سرعان ماترك الشعر الى غير رجعة . ثم استأنف حياته دارسا للادب ، وناقدا ، ومؤرخا له وللمجتمع العربى ، وباحثا مصلحا .

ولا يعنينى هنا كل الالوان التى ذكرت ، وانما المعركة التى ثارت فى السنوات الاخيرة حول طه حسين القاص . فقد قال الدكتور أحمد كمال زكى ، وهو ينقد « المعذبون فى الارض » ، عند صدورها : « هى مأساة فاجعة ، وريف حزين ، وحبكة قصصية ، واستدراك مقحم ، قوامه ذلك الذى يصدنا به فى كل وقت . فاذا قمنا بعملية « الغربلة » والتنظيم والتنحية ، ظفرنا آخر الامر بمجموعة من القصص

الساذجة الفكرة ... » وختم مقاله بقوله : «حاول عميدنا ان يكتب قصصا ، وكاد ينجح لولا مغالبة ثقافته له ، ولولا اهتمامه بالعبارة » (مجلة الثقافة ، العدد ۷۳۰ ، ۲۲ ديسمبر ١٩٥٢ ، ص ٣٦ ، ٣٨) .

ويفهم من مقال اصداء للدكتور طه ان بعض الكتاب نهضوا بحملة ليثبتوا ان الاديب لا يحسن كتابة القصة بل انه عقبة في سبيل اتقان القصة (خصام ونقد ، سنة١٩٥٥، ص ١٢٩ ، ١٣٤) .

ولكن جماعة ممن يعانون القصة ، وعرفوا بها ، ادخلوا الاديب في زمرة القصاص ، وأعجبوا بما أنتج وأشادوا به ، بل ذهب أقدمهم الى ان ما كتبه طه حسين دارسا ومؤرخا ليس سوى قصة تمثيلية أو رواية ممتعة قال المازنى : « ان الدكتور طه قصصي بارع ، واديب روائى من الطبقة الرفيعة . وانه خير للأدب المصرى فى رايى ، أن ينضو عنه بردة العلم ، ويتناول قلم القصاص » .

وأتى الاستاذ سامى الكيالى بقول المازنى السابق ومهد له بوصف امتلاك فن الاديب القصصى للألباب ، فقال « ذهب غير واحد من كبار الادباء ، بعد أن قرءوا «الايام و «فى الصيف » ، الى القول : ان فى طبيعة الدكتور طه هذه النزعة القصصية التى لاتتحدث عن شيء الا استهوت قارئه ، وسحرته سحرا يسيطر على كل حاسة فيه » . (مع طه حسين ، العدد ١١٢ من اقرأ ، ١٩٥٢ ، ص ٧٧) .

وأبعد بعض الكتاب ، فلم ير فى الاديب قاصاحسب ، بل رأى فيه كاتبا لأنواع عدة من القصة ، أبدع فيها جميعا ما شاء له الابداع ، وأتى منها بالرائع الخلاب . فقد رأى الاستاذ فاروق خورشيد فى « على هامش السيرة » : القصة القصيرة التى تعنى برسم الشخصيات والنماذج البشرية ، والرواية التى تعنى بالاحداث وتسلسلها ، والقصة الذهنية التى يقدم لنا الكاتب خلالها صراعا فى الافكار ، ولقاء فى المذاهب والآراء ، والقصة الانفعالية القريبة فى هدفها وكتابتها من الشعر الخالص المعبر عن شعور الناس ووجدانهم .

وأجمل رأيه فى قوله : « هذه اذن « على هامش السيرة » قصص استكملت شروطها الفنية ، وتنوعت بين القصة القصيرة ، والرواية الطويلة ، وبين رسم الشخصيات، ورسم الاحداث ، وهى فى كل هذه الالوان متعة ما بعدها متعة ، متعة »

وأعمال استوفت شروطها كاملة ») محمد فى الادب المعاصر ١٩٥٩ ، ص ٨٥ ـ ٩٠ خاصة) ٠

فاذا نظرنا الى الاقوال السابقة نظرة هادئة ، واغضينا عما قد يكون فى بعضها من اندفاع ، بقيت لنا دلالتها واضحة : أن المتذوقين مختلفون في الاديب : هل هو قصاص أو غير قصاص ؟ هل هو قاص يفى القصة حقها ، ويستكمل لها خصائصها وشروطها أو لا يفعل ؟

وان اختلف المختلفون في فن طه حسين القصصي، فانهم لا يختلفون في اتصاله بذلك الفن منذ عهد بعيد ، بل في اتصاله بالوانه المختلفة ، وفي تعدد جوانب هذا الاتصال .

فقد كان من أول ماقدمه الاديب للقارىء العربى القصص التمثيلية التى ترجمها عن الادبين الاغريقى والفرنسي . ثم قدم له قصصا طويلة وقصيرة ، مترجما لها أو عارضا او محللا وناقدا . ثم قدم له ألوانا من القصص الطويلة والمتوسطة والقصيرة ، المبتكرة ، والقائمة علىأساس تاريخى أو اجتماعى حديث . وذلك اللون الاخير هو موضع الجدل والنقاش .

من أجل ذلك كله ، أكتب عن فن القصة عند الاديب ، محاولا أن أبين مفهوم هذا الفن عنده ، ومحاولا ألا أعتمد على الظنون أو ألجأ الى الفروض أو أمسك بالاستنتاجات، وانما هى أقوال الاديب نفسه ، أبحث عنها ، واضمها بعضها الى بعض ، وألقى الاضواء عليها ، فربما جلا بعضها جوانب بعض ، وأتم أحدها ما يعبر عنه غيره . فوضعت يدنا على ما يحل المشكلة . وان لم تفعل ، أمدتنا بما يرى الاديب في هذه المشكلة الدائرة حوله .

وأحب أن ألفت النظر بادىء ذى بدء الى أن ما عثرت عليه من أقوال طه حسين متعلقا بما أبحث يرجع أقدمه الى سنة ١٩٣٣ أحدثه الى سنة ١٩٥٦ ، فبينما اذن ما ينيف على عشرين عاما ٠ ومحتمل بل مرجح أن تتغير بعض آرائه فى هذه المدة ، أو تتخذ وجهات مخالفة ، أو ألوانا جديدة ٠ كذلك أدلى الكاتب ببعض هذه الاقوال عامدا واعيا ، وجاء بعضها الآخر فى أوقات كان منفعلا فيها يرد على من نقد قصصه وهاجم فنه القصصى ، وأتى بعضها فى أوقات ابداعه الفنى فى وقت غامت فيه الصورالتى يريد ان يدونها ، وافلتت من ذهنه ، واستعصت على مخيلته ، واشتد به التوتر النفسى ولا أستطيع أن أسوى بين هذه الاقوال جميعا ، على اختلاف أحوال صدورها من الأديب ، فالمرجح أن يعلق بها من ذلك

الفن ، والتاريخ الادبى · بل جلى أن الذى يتمسك بالصلة المتينة الدقيقة بين أقوال الناس وأعمالهم وبين بيئـاتهم هو التاريخ الادبى لا الفن القصصى · حقا لا بد أن تصدر القصة عن هذه الصلة ولا تنافيها ، ولكن لابد أن يكون ذلك أمرا تلقائيا عفويا ، وربما آكد الكاتبهذه الصلة كل هذا التوكيد لانه يمهد لقصة استمدها من تاريخ الادب ، ولكن التعميم المستفاد من الحكم يوجب على الدارس أن يناقشه ويبين جميع مدلولاته ·

وقد عاد طه حسين الى الكلام عن أحداث القصـة ، فابان أنها أهم من شخصياتها ، وأنها هى التى تعنيه عندما يسرد قصة · قال فى قصة صالح عن بطليها الصبيين : «فلم يكن شخص هذا الصبى ، ولم يكن شخص صالح ، يعنينى ، وانما كانت الاحداث التى حدثت للصبيين هى التى تعنينى»· (المعذبون فى الارض ٢٤) ·

وظاهر هذا القول يناقض القول الآنف الذى ناقشته· ولكننى أحب أن أفهم القولين تحت ضوء مسلط عليهما من قصتيهما · فاذا ما فعلت ذلك ، وجدتأنالقولين ، علىالرغم من التعميم فىأولهما والتخصيص فىثانيهما ، يمثلانجانبين من مسالة واحدة · فقد ذكـرت أن القول الاول يريد به القصة التى يقيمها على واقع تاريخى ، يستمده من أحـداث الماضى · أما القول الثانى فاظن أنه يريد به القصـــة التى لا يصوغها لذاتها ، وانما لغرض وراءها ، أو لايحاآت تشعها على قارئيها · وكان هذا شأنه فى قصة صالح ، بل فىكتاب « المعذبون فى الارض » ، كله · واذا استقام لنا ذلك ، كان لنا الحق أن نقول ان الاديب رمى الى كشف الصـلات بين الاشخاص وبيئاتهم فى قصصه التاريخية التى لم يرد بهـا الا وجه التاريخ ، وأن الاحداث فيها كانت فى المرتبة الثانية ، أما قصصه التى كان يرمى فيها الى هدف غير تصـــويرها فكانت الاحداث تحل فيها فى المرتبة الاولى· وبدلنا ذلك على أن الاشـــخاص عنده فى اللونين من القصص غـير كبيرى الاهمية ·

ونحن نفرق بين اللونين من الاحداث عندما ننظر اليهما من خارج ، أما الكاتب الذى ينظر اليهما من داخل فلا يفرق بينهما · بل يؤكد أن اللون الثانى ــ غير التاريخى ــ ليس بالمصطنع ولا المبتكر ، وانما هو الواقع الصادق : « اياك أن تظن أنه حديث مصطنع ، قد ابتـكره الخيال ابتـكارا · فلو

كان الأمر خيالا ، لإنبائك بذلك ، ولكنه حديث كله حق وصدق » . (الحب الضائع ، ١٩٤٢ ، ص ١٣٧) .

ويصر الاديب على شرط واحد في الحدث ، لابد أن يتوفر له حتى يكتب عنه . يصر على أن يملك عليه الحدث نفسه ، ويستولي على اعجابه . وقد يلتقي بهذا الحدث المعجب في أثناء قراءته في التراث العربى القديم ، فيدفعه الى أن يكتب عنه دفعا ، لا يملك الا أن يطيعه . كان ذلك ما حدث مثلا في أثناء اطلاعه على السيرة النبوية ، وما اتصل بها من أخبار وأشخاص . فكتب ما كتب على هامشها ، وقال موضحا مشاعره ازاءها : « لست أريد أن أخدع القراء عن نفسي ولا عن هذا الكتاب ، فانى لم أفكر فيه تفكيرا ، ولا قدرته تقديرا ، ولا تعمدت تاليفه وتصنيفه، كما يتعمد المؤلفون ، انما دفعت الى ذلك دفعا ، وأكرهت عليه اكراها . ورأيتنى اقرأ السيرة فتمتلىء بها نفسي ، ويفيض بها قلبى ، وينطلق بها لسانى . واذا انا أملى هذه الفصول ... فليس في هذا الكتاب اذن تكلف ولا تصنع ، ولا محاولة للاجادة ، ولا اجتناب للتقصير ، وانما هو صورة يسيرة طبيعية صادقة لبعض ما أجد من الشعور حين أقرأ هذه الكتب التى لاأعدل بها كتبا أخرى مهما تكن ،والتى لا أمل قراءتها والانس اليها ، والتى لا ينقض حبى لها واعجابى بها ، وحرصي على أن يقرأها الناس » .

(على هامش السيرة ، ١٩٣٣ ، ص ط) .

ولم يستلهم الاديب هذا الكتاب وحده من قراآته ، بل استلهم أيضا « الوعد الحق » من اطلاعه على السيرة أيضا ، كما استلهم عدة قصص قصيرة من قراآته في الآداب . فقد كتب « شياطين البيان » بوحى من التوابع والزوابع لابن شهيد الاندلسي ، و « ضمير حائر » بوحى من « صورة دوريان جراى » لاوسكار ويلد ، وغيرهما .

وقد يلتقى بالحدث الذى يعجبه فى سياحة له ، لا فى كتاب ، بل فى مجتمع آخر غير الذى يعيش فيه . فقد استمد أحداث قصة الحب اليائس من المجتمع الفرنسى ، وقال عنها : « لم أحدثك عن هذه الراهبة البائسة السعيدة ، الا لان حديثها أعجبنى وراقنى وأثر فى نفسى أبلغ التأثير » .(الحب الضائع ، ١٩٤٢ ، ص ١٣٧) .

وربما كنا أغنياء عن الاشارة الى أن الجملة الكبيرة من قصصه استوحاها من مجتمعه المصرى . ولكنا لسنا أغنياء عن القول بأن الشرط قائم فيها كما قام فى أخواتها السابقة . (أنظر المعذبون فى الارض ، ١٩٤٩ ، ص ٨٧) .

وتحدث طه حسين عن منـــاهج الكتاب حين يدونون قصصهم ، وأبان عن موافقته على بعض هذه المناهج ، واتباعها فى بعض قصصه ، وعن انكاره بعض المناهج ، وتنكبه اياها. فقد ذكر أن القصاص يعمدون الى اثارة حب استطلاع القارىء تشويقا له ، ودفعا الى متابعة الاحداث • ووضح أنهم يلجئون فى سبيل ذلك الى الغموض والالغاز ، وأنه راض عن هـذا المسلك منهم ، متبع له فى بعض قصصه • ثم أشار الى احدى الطرق التى يسلكونها من أجل الغموض ، حين يغيرون فى الترتيب الطبيعى للاحداث • قال : « الحق أنى لم أكن لألغز ولا لأوثر الرمز والايحـاء ، ولا لأقدم فى أول هـذا الفصـل ما حقه أن يكون فى آخره ، لـكن الـكتاب المحدثين يذهبون هذا المذهب حين يريدون أن يقصوا عليك أقصوصة لها حظ من قيمة ، أو نصيب من طرافة ، وهم فيما يظهرانما يذهبون هذا المذهب تشويقا للقارىء، وايقاظا لحبه الاستطلاع وميله الى تعرف الانباء • وأنا أظن أن القصة التى أريد أن اقصها عليك خليقة أن أشوقك اليها ، وأنبهك الى دقائقها • ومن ذهبت هنا فى أولها مذهب الكتاب المحدثين • ومن يدرى ؟ لعلى لم أفعل ذلك الا تقليـــدا لهم واقتفاء لآثارهم ، وتكلفا لبعض فنهم الطريف » • (الحب الضائع ١٣٥) •

وكشف الكاتب فى موضع آخر الخطوات الاخرى التى يلجأ اليها الكتاب فى عبارتهم للغموض واثارة الاستطلاع ، فقال : «قد استوفيت فيما أظن ما ينبغى أن يستوفيه الكاتب حين يريد أن يستأنف قصة خطيرة أو يسيرة • فالقيت الى القراء هذه الجملة الغامضة التى لا يذكر فيهـــا الفاعل ولا المبتدأ الا متأخرا ، لأثير فى نفوسهم هذه الغرابة التى تدعو الى الاستطلاع • ثم ذكرت بعد هذه الجملة اســـم حنينة وابنها نصيف ، لتزداد حاجة القراء الى هذا الاستطلاع • ثم فرقت بين الأم وابنها على هذا النحو الغريب المريب » • (المعذبون فى الارض ، فبراير ١٩٤٨ ، ص ١٢١) •

وذكر أن جماعة من القصـــــاص لا يحبون أن يعطوا القارىء القصة ثمرة ناضجة مقطـــوفة مهيئة للأكل ، وانما يحبون أن يعطوه الى جانب هذه الثمرة وصفا لمراحل نضجها، فيبينون له كيف اختاروا القصة ، والاســباب التى دفعتهم اليها ، والسبل التى سلكوها لتصويرها ، وما شابه ذلك• واعترف بأنه يحب هذا النهج من الصـــياغة • قال : « أريد أن أذهب فى هذا أيضا مذهب جماعة من الكتاب المحـدثين

الذين يريدون أن يظهروك لا على القصة التى يحبون أن يقصوها عليك فحسب بل على مذهبهم فى القصص وطريقتهم فى التفكير فى أثناء القصص • يريدون أن يظهروك على أنفسهم حين يتحدثون اليك لتراها واضحة جلية » • (الحب الضائع ١٣٦) •

وهو لا يحب أن يهيىء الادب للقراء كما يهيأ لهم الطعام لانه يربأ بنفسه وبالقراء عن القيام بهذا الطهى الادبى ، فهو يتخذ منهم زملاء أصدقاء • قال : « أما أنا فلا أحب هذا اللون من الطهى الادبى ، لانى أكبر نفسى وأكره أن تكون خادما للقراء من جهة ، ولانى أكبر القراء وأكره أن تكون آذانهم أفواها ، وعقولهم بطونا ، يلقى اليهم الكلام فيسمعون ثم يسيغون • لا أحب شيئا من هذا ، وانما احب أن أنشىء بينى وبين القراء نوعا من الزمالة ، بحيث نبدأ القصة معا ، ونمضى فيها معا ، وننتهى منها معا ، تتفق أحيانا ، ونختلف أحيانا أخرى ، ويشجر بيننا الخصام من حين الى حين » • (ما وراء النهر ، مجلة الكاتب المصرى ، نوفمبر ١٩٤٦ ، ص ٢١٩) •

وفكرة الزمالة بين الكاتب والقارىء لها خطرها عند الأديب ، ولها آثارها الكثيرة المتنوعة • فقد فرضت عليه أول ما فرضت الصدق فى التعبير عما يحس به من مشاعر • قال : « ولكنه حديث كله حق وصدق • ولا بد لك من أن تقبل منى ذلك ، لا لشىء الا لانى أنبئك به • والأصل فى الكاتب أنه صديق القارىء ، ينصح له ولا ينبئه الا بالحق ، أليس كذلك ؟ » • (ما وراء النهر ١٣٧) • فهو لا يتصور امكان قيام علاقة بين الكاتب والقارىء على غير الصدق الفنى ، ولا يتصور كاتبا لا يؤمن بالصدق ولا يتحراه •

وفرضت عليه الزمالة أن يبين منزلة الكاتب والقارىء فيها • فذهب الى أن الاول مجرد طليعة تيسر على الثانى أن يتخذ طريقه فى الحياة • ورفع من مكانة القارىء للنص الادبى الى مستوى المشارك فيه ، الذى يعطيه صورته النهائية وجعله هذا - حين يصف ما يصف - يلجأ الى الاجمال ، ومد خيال القارىء بأسباب الاستثارة ، ليكمل بنفسه الصورة التى بدأ الكاتب فى رسمها وتركها غير تامة • قال: « ولست فى حاجة الى أن أفصل ما تمتاز به الربوة من جمال ، وما تمتاز به القرية من قبح • فقد لا يكون من الخير ولا من الذوق ولا من حسن الرعاية للقراء أن أستأثر وحدى بهذا

الوصف ، فانا لم استأثر بالخيـال من دون القراء بل أنا قد أكون أقل الناس حظا من الخيـال وقدرة على الوصف وبراعة فى الاداء • ولم يخلق الله أديبـا يستطيع أن يستأثر وحده بوصف ما يعرض على قرائه من الاشيـاء والأحيـاء • فهـذا الوصف شركة دائما بين الاديب المنتج والقارىء المستهلك • وليس من المحقق أن الاشيـاء التى يعرضهـا الادباء تقـع فى نفوس القراء ، كما يعرضونها عليهم • وانما الشىء الذى ليس فيه شك هوأن القراء يشاركون فىالخلق والانشاء ، ويسبغون من ذات أنفسهم على ما يجلو لهم الكتاب من صور ألوانا ، لعل الكتاب أنفسهم لم يروها ولم تخطر لهم على بال • فهذهالربوة التى تحدثت عنها ، وهذه القرية التى أشرت اليها ، تقعان من نفوس القـراء على اختلافهم مواقع مختلفـة متباينة ، لعلهـا لا تلتقى ولا تتشـابه الا فى القليـل • فالانتـاج الادبى اذن شركة بين الاديب وقارئه • وليس الاديب فى حقيقة الأمر الا رائدا يمهد الطريق » • (نفس المرجع ٢١٨) •

ونحن نستطيع أن نرىفى هذا الأمر أسلوبين:أسلوب يحيط بالموصوف من جميع جوانبه ، ويشتمل على ما كبر منه وما صغر ، ولا يغادر منه جزءا ، فلا يترك لخيال القارىء غير قسط ضئيل غير ملموس ، وانما جهد القارىء فى تحويل الصور اللفظية الى صور بصرية ، وأسلوب يمد القـارىء بالقواعد والأسس التى يقيم عليها ما شاء وما حلا له من صور وتماثيل • وكان أديبنا من أصحاب الاسلوب الثانى•ولست أشك أن أحدا يجادل أن هذا الاسلوب فرضته على الاديب ظروفه الخاصة ، التى أفقدته ما يتمتع به غيره من الكتاب •

وذكر أن الكتاب يسـلكون عـدة طرق في التعبير عن خواطرهم ، وايصال العبرة والعظة الى القارىء ، ليضطر الى قراءتها ثم التأثر بها . اما هو فلا يدعى لنفسه رسالة اصلاحية ، ولا دعوة أخلاقية ، ولا غرضا تهذيبيا فيقصصه. قال : « والكتاب البارعون في الفن يؤرخون خواطر عقولهم، وعواطف قلوبهم ، وأحزان ضمائرهم ، الى آخر الحديث . يجعلون من هذا كله عبرة لمن يريد أن يعتبر ، وموعظة لمن يريد أن يتعظ . فيجعلون من أنفسهم أساتذة في الاخلاق ، ومصلحين لنظم الاجتماع ، ويرضون عن أنفسهم بعد ذلك كل الرضا . ويجهلون أن القارىء أشد منهم مكرا ، وأبلغ منهم دهاء .•. ومن الكتاب البارعين من يشيمون خواطر عقولهم ..• في حديثهم كله منذ يبدأونه الى حيث يفرغون منه ، يتخذون من قصصهم أغشية لهذه المواعظ والعبر . فيخدعون بذلك بعض القراء عن أنفسهم ولكنهم لا يخدعون

القراء جميعا ... فأما أنا فقد قلت — ومازلت أقول — انى لا أريد أن أعلم جاهلا ، ولا أريد أن أعظ غافلا ، ولا أن أنبه ذاهلا . فلست من هذا كله في شيء . »

(المعذبون في الارض ، ١٩٤٩ ، ص ٨٨) .

فالكاتب اذن يسيء الظن بالقصة التي تتخذ وسيلة الى غاية غير الادب ، ولو كانت هذه الغاية اصلاحية أو تهذيبية . بل قد يرفض القصة كل الرفض ، ويخرجها عن دائرة الفن القصصي لهذا السبب وحده . قال عن كتاب «القرية الظالمة» للدكتور محمد كامل حسين : « ولكنى لا أحب لك أن تخدع نفسك ، وأن تقبل على الكتاب على أنه قصة أو طـائفة من القصص . فلن يلبث هذا الخداع أن يزول لمجرد النظر فيه فالقصص فى هذا الكتاب وسيلة لا غاية . وقد اكتفى الكاتب من هذه الوسيلة بأيسرها وأهونها ، ليقدم اليك الاشخاص الذين يحاور بعضهم بعضا بين يديك ، فى هذا الموضوع أو ذاك من موضوعات الحيـاة الانسانية » . (نقد واصـلاح ، ١٩٥٦ ، ص ٦٦) .

ولكن هذه الاقوال الصادرة عن الاديب يجب ألا تضللنا ، وتجعلنا نظن أنه جعل قصصه جميعا غايات لا وسائل الى غايات أخرى . فلا يمكن لقارىء أن يواصل الاطلاع فى أحلام شهرزاد ، أو الوعد الحق ، أو المعذبون فى الارض ، دون أن يرى وراء أحداثهـا وأشخاصها غايات جليـة ، يهدف اليهـا المؤلف فى اصرار ووضوح . وأغنانا هو نفسه عن التساؤل عن « على هامش السيرة » ، فذكر فى مقدمته الغـايات التى رمى اليهـا ذكرا صريحا . وانمـا الامر الذى يعيبه أن يوجه الكاتب عنايته كلها الى الغاية — مهما كانت — ويهمل الصورة القصصية التى تحمل هذه الغاية ، ولا يوفر لها من الوسـائل الا أيسرها وأهونها .

ثم أهمل الاديب الاقوال التى تبين منهجه على ضـوء مناهج القصاص الآخرين ، وتحدث حديثا مباشرا عن منهجه فاقام هذا المنهج على الحرية ، والحرية وحـــدها . فلا يأبه لقول قارىء أو ناقد أو مذهب فنى . فهو لا يريد أن يضـع ما ينتجه بحيث يرضى عنه أحد منهم ، أو وفق الشروط التى يمليها أحدهم . بل يبعد ، فيدعى أنه لم يدرس أى مذهب فنى من مذاهب القصص ، وأنه لا يريد أن يضع قصة تتوفر لها شروط القصة الفنية .

قال في قصة صالح : « ولكني لا أحاول أن أضع قصة فاخضعها لما ينبغي أن تخضع له القصة من أصول الفن ، كما رسمها كبار النقاد ... لاأضع قصة فأخضعها لاصول الفن . ولو كنت أضع قصة لما التزمت اخضاعها لهـــذه الاصول ، لاني لا أومن بها ولا أذعن لها ، ولا أعترف بان للنقاد مهما يكونوا أن يرسموا لي القواعد والقوانين مهما تكن .. »

(المدبون في الارض : يناير ١٩٤٦ ، ص ٢٢ ، وانظر ص ٣٥) .

ولست أدرى الاسباب التى دعت الاديب الى أن ينكر على نفسه وضع القصص ، ويضيق باصولها . ولكن أحدا لا ينكر انه قدم المضمون الذى أراد تصـــويره في صـــورة قصصية . فالانكار والقبول سواء في هذه الحالة . أما أن هذه الصورة توفر لها الكمال القصصي أو لم يتوفر، فتلك هى المسالة . ولا اظن أحدا ينكر على الاديب الـكبير أن يتحرر من بعض الاصول التى يضعها النقاد . ولكن الاديب نفسه يبين لنا أن هذا التحرر جزئى وليس بالتحرر التام، لان الفن له قواعده التى لابد منها ، كما يظهر من قوله الذى أوردته في صدر هذا المقال . بل لقد رأى هو نفسه أن قوانين الفن أقـوى من قوانين الطبيعـة ، حين قال : « ولكني استبعد ذلك لالانه في نفسه بعيد أو مخالف لقوانين الطبيعة ، فقوانين الطبيعة لا تستطيع أن تثبت أمام قوانين الفن ... » (ما وراء النهر ، ص ٢١٥) .

وسخر الـكاتب من قوانين النقـاد وشروطهم ســخرية مريرة ، وتهكم بمن يتهمونه بأنه لا يحسن كتابة القصة تهكما لاذعا ، اذ قال : « فمـــا زعمت في يوم من الايام أنى قاص أجيد فن القصص أو أقارب اجادته . ومن أين لى اتقان هذا الفن أو مقاربة اتقانه ، وأنا لم أدرسه فيمدرسة ، ولم أتلق أصوله عن أستاذ من أساتذة النقد.ولم أحفظ هذه الشروط العشرة أو العشرين أو التى هي أقـل أو أكثر من العشرة أو العشرين ، والتى ليس من حفظها بد ، وليس من رعايتها بد أيضا ، ليكون الكاتب قاصا متقنا لفنه ، ولتكون القصة التى ينتجها رائعة بارعة تستحق أن تسمى قصة ، وتستحق أن يقرأها القراء ، وتستحق بعد ذلك أن يتخذها القصـــــاص الناشئون نموذجا ومثالا . لم أزعم قط أنى قاص ، لانى لم أتعلم فن القصة ، ولست أدرى أين يسـتطيع النـــاس أن يتعلموه ، ولم يرزقنى الله الموهبة فأتقن فن القصـة دون أن أتعلم أصوله » . (خصام ونقد ، ١٩٥٥ ، ص ١٢٩) .

ويتضح من الغضب الذى تنطق به عبـــارة الاديب لما

اتهم به أنه حريص كل الحرص أن يوصف بالقاص المجيد ، الذى يستحق أن يكون قدوة للناشئين • واذن فهو يرى فى نفسه كاتب قصة ، ولا ينكر ذلك الا غاضبا ساخرا • ويتضح من سخريته بالقواعد والمذاهب لا احتقار لها واغفال شأنها ، وانما نفور من الاديب أن ينطوى تحت مدرسة واحدة أو مذهب معين ، لا يخرج ما يخرج الا على نمطه • فانا لا أشك بعد ما أوردت ما أوردت أن أديبنا عارف بالشروط الفنية للقصة • ولكن نظرة واحدة الى القصص التى دونها تكشف عن أساليب مختلفة من الصياغة القصصية ، أو المنحى القصصى • فعنده القصص التاريخى الخالص فى « على هامش السيرة » ، والتاريخى الهادف فى « الوعد الحق » والتاريخى الرمزى فى « أحلام شهرزاد » ، والاجتماعى الخالص فى « دعاء الكروان » و « الحب الضائع » ، والاجتماعى الهادف فى « المعذبون فى الارض » ، وما يشبه التراجم الذاتية فى « الايام » و « أوديب » وغيرهما • فهى قصص مختلفة الاتجاه وان لم تختلف فى البناء والصياغة كثيرا •

فاذا ما وجدنا فى عبارات الاديب ما يفيد بحريته المطلقة فى التصرف فى أحداث القصة وأشخاصها ، وجب علينا أن نفهم الظروف التى أحاطت بهذه الاقوال ومدلولها الحق • فقد قال مثلا فى قصة صالح : « وسواء رضى القارىء أم لم يرض ، فقد كانت أم صالح حية من غير شك ، لأنى أنا أريد ذلك ، وليس يعنينى ما يريد غيرى من الناس • فأنا الذى اخترع صالحا من لاشىء أو آخذ صالحا من عرض الطريق •• وأنا أستطيع أن أصنع بأمه بعد هذا الطلاق ما أشاء ، أستطيع أن أدعها مطلقة تعمل خادما فى بعض الدور ، وأستطيع أن أجد لها زوجا تعيش معه سعيدة موفورة ، وأستطيع أن أسخرها لعمل من هذه الاعمال التى يعيش منها امثالها من البائسات • فقد أسخرها لبيع الخضر ، وقد اسخرها لبيع الفاكهة ، وقد أكلفها أن تصنع الخبز فى بيوت الأغنياء وأوساط الناس ، وقد أكلفها أن تغسل الثياب فى هذه البيوت • وقد أجد لها ما أشاء من الاعمال غير هذا كله، لانى حر فيما أحب أن أسوق الى القارىء من حديث » • (المعذبون فى الارض ، ٣٥ ، وانظر ص ٥٠) •

والنقاد يعترفون للاديب بأنه خالق هؤلاء الاشخاص ، وبأنه حر فى التصرف فيهم • ولكنهم يرون لهذه الحرية حدودا ، فيعترفون بالحرية التى لا تجعله يخرج بالشخص

عن الدور الذى تحتمه له القصة ، أو يخرج بالحدث أو الموقف عن الاتجاه الذى تحتمه الشخصية ، أو يخرج بأمر من أمور القصة عن المدلول العام له • وقد اضطر أديبنا الى الاعتراف بهذه الحدود . فبعدما منح نفسه ماشاء من حرية وقدرة ، قال : « والواقع من الامر انى لا أكلف أم صالح شيئا من هذه الاعمال التى ذكرتها ، ولا أفرض عليها شيئا من هذه الخطط التى رسمتها ، لانى على حريتى فى أن أصنع بها ما أشـــاء أوثر الأمانة فى رواية التاريخ » (نفس المرجع ٣٦) •

ولا تاريخ ولا رواية له ولا أمانة علميـــة فى الأمر • فنحن بصدد قصة ، فما يريد اذن بالأمانة انما هو الصدق الفنى ، والتناسق القصصى فى بناء الاحداث والاشخاص ، ولكن الاديب عندما أراد أن يعبر عن ذلك استمد من مصطلحات المؤرخين • وقد رأينا قبل اختلاط فنى التاريخ والقصـــة فى عبارات الاديب ومصطلحاته •

ولعل هذا يسلمنا الى منهج المؤلف فى قصصه التاريخى وقد كشف عن جانب منه فى مقدمة « على هامش السيرة »، ففرق فيها بين نوعين من الاشخاص ، عامل كلا منهما معاملة خاصة ، قال : « أحب أن يعلم الناس أيضا أنى وسعت على نفسى فى القصص ، ومنحتها من الحرية فى رواية الاخبـــار واختراع الحديث ما لم أجد به بأسا ، الا حين تتصـــــل الاحاديث والاخبار بشخص النبى ، أو بنحو من أنحاء الدين، فانى لم أبح لنفسى فى ذلك حرية ولا سعة ، وانما التزمت ما التزمه المتقدمون من أصحاب السيرة والحديث ورجال الرواية وعلماء الدين » • (ص ك) •

وينطبق هذا المنهج كل الانطباق على ما فعل في الوعد الحق أيضا . فقد التزم التاريخ ـ كما رواه رواته الذين اشار اليهم ـ في الاحداث الاسلامية ، ورجال الاسـلام ، ووسع على نفسه بعض التوسع في الاحـداث التى وقعت قبل الاسلام ، ولم يسجلها المؤرخون . وجلى ان هـــذا المنهج قريب اشد القرب من منهج المؤرخين . ولاشك ان القارىء قد لفت نظره تعدد الاشارة الى المؤرخين. فالكاتب يتخذ منهجا قريبا من منهجهم في قصصه التاريخى ، وتختلط في ذهنه مصطلحات فنى القصـــة والتاريخ . وأرجح ان اختلاط المصطلحات هذا ليس بالظاهرة العفوية ، بل لها دلالتها على ما وراءها . فانى أميل الى أن الاتجـــاهات الثقافية المختلفة التى عنى بها الاديب ، وأسهم فيها ، اثر بعضها في بعض ، وأميل الى أن كونه مؤرخا ـ ومؤرخا أدبيا

خاصة — كان له أثره في كونه قاصا . فتبادل الفنان التأثر والتأثير ، واقترب كل منهما من الآخر في تصوره ، بحيث صلحت مصطلحات الواحد في الدلالة على مفاهيم الآخر في الدلالة على مفاهيم الآخر .

ولاأذهب الى ان ذلك قد حدث في القصص التاريخي عنده حسب ، بل في القصص غير التاريخي أيضا . وأعتمد في ذلك على ما قاله المؤلف في قصة صالح : « وقد يخطر للقارئ أن يسائلني عن هذا الصبي : ما اسمه ؟ وما موطنه؟ وما بيئته ؟ وما أسرته ؟ ومن عسى أن يكون ؟ ولكني ... أجيب القارئ بأنه يسرف على نفسه وعلى بهذه الاسئلة التي قد يكون الرد عليها مفيدا لتكون القصة منسقة حسنة البناء ملتئمة الأجزاء ، يأخذ بعضها برقاب بعض ، كما كان النقاد القدماء يقولون » . (المعذبون في الارض ٢١) .

فالاديب يتصور أن النقاد يرون أن الرد على الاسئلة التي ذكرها ضروري لاخراج قصة تتصف بالصفات التي ذكر . ولكنني أتصور أن المؤرخين يرون أن الرد على هـــذه الاسئلة ضروري لاخراج ترجمة تتصف بتلك الصفات . أما القصة فليس من الضروري أن يرد فيها على شيء مما قال ، بل ان الرد عليه قد يبعد بها عن فنيها الخاص .

ومهما يكن من أمر ، فان هذا التصور المختلط أثر في قصص أديبنا تأثيرا عظيما ، جعل الاديب يحاول أن يوضح الامور التي يتعرض لها في القصة ، ولوكانت غير ذات خطر ، ولو كان التعرض لها يبعد به عن جو القصة طويلا أو قصيرا وأمثلة ذلك منثورة في كثير من قصصه ، ولكن أبرزها وأقربها حديثه عن الأختام في قصة صالح . (نفس المرجع ٢٨) .

ولعل أصدق لفظ ينطبق على هذا اللون من الادب هو المقال القصصي ، أو الفصل القصصي من حيث الظاهر ، كما قال هو محقا في وصفه للقرية الظالمة : « الكتاب في ظاهره قصة أو قصص كثيرة تدور حول موضوع بعينه يجعل منها وحدة واضحة لا اختلاف بينها ولا اضطراب » « نقد واصلاح ٦٤) .

والحق أنني أرى أن هذا الفصل الذي قدم به الاديب كتــاب « قرية ظالمة » ، له قيمتــه الـكبيرة في الـكشف عن تصوره للقصة . فقد ميز كاتبنا بين الكتاب برمته وجـزء منه ، فأنكر عليه مجتمعا صفة القصة ، على حين أطلقها على

هذا الجزء · فقال : « ولكن فى الكتاب قصة متقنة رائعة حقا يمكن أن تستقل بنفسها ، أن تقف على قدميها إن صح أن تقف القصة على أقدامها ·· وهى قصة المجدلية وصاحبها الفتى الرومانى » (نفس المرجع ٧٧) ·

ولكن الكاتب يعتمدعلى هذه القصة الجزئية،فيتساءل ويرى امكان وصف الكتاب كله بالقصة ، فيقول : « وأنابعد هذا كله أخشى أن أكون ظالما للكاتب مسرفا عليه حين زعمت أن كتابه ليس قصة وليس فيه شىء من القصص » (ص ٧٦)· ويمنحنا هذا القول ركيزة أخرى نستطيع أن نعتمد عليها فى توضيح تصور الكاتب · فهو يرى الامعان فى الصورة أمرا سخيفا ، غير جدير بالالتفات : « ما أريد أن أدخل فى هذا الحوار السخيف الذى يحب الناس أن يخوضوا فيه ، فى هذه الايام ، حول طبيعة هذا الكتاب : أقصة هو لأنه يحدثنا عن أشخاص ، وعن أحداث عرضت لهم وخطوب ألمت بهم ، فى زمان بعينه ومكان بعينه ، أم هو شىء آخر غير القصة لانه لم يستوف الشروط التى يشترطها المتكلفون من النقاد ؟ » · (ص ٦٩) ·

ويؤدى بنا ذلك الى الصورة الأخيرة · فالقصة هى التى تضم أشخاصا ، تعرض لهم أحداث ، فى زمان ومكان معينين · ولا بد من تحديد الزمان ، والمكان ، والاشخاص لتكون القصة (ص ٦٥) · ولا يتنافى تحديد الاشخاص مع تعميم الدلالة المأخوذة منهم ، ولو انطبق على الناس جميعا فى كل زمان ومكان ·

ولعل المازنى كان يذهب الى شىء قريب من ذلك حين قال : « وهل « ذكرى أبى العلاء » و « ابن خلدون » و « حديث الاربعاء » الا قصص تمثيلية ؟ و « الادب الجاهلى » بحث علمى حر · ولكنه على هذا رواية ممتعة ... »

(سامى الكيلانى : مع طه حسين ، العدد ١١٢ من اقرأ)

وارانى على حق ، اذ اقول ان هذا البحث ينتهى بنا الى أن أديبنا ، الذى اخذ من كل فن بطرف ، دخل القصة متأثرا بمنهج التاريخ الادبى ، فاقترب مفهوم الفنين عنده ، واقتربت الكتب التى أخرجها فى التاريخ الادبى أن تكون قصصا ، واقتربت القصص التى صورها من أن تكون تاريخا أدبيا · وجعله هذا لا يوجه العناية الكافية الى الاشخاص فى بعض قصصه ، ويعنى بالاحداث لانها المعبر الاول عن الفكرة التى يريد نقلها · فالقصة عنده – فى الغالب –

هادفة الى غرض وراءها . وقد جعله هذا الهدف يرسم جميع أشخاص المعذبون في الارض والوعد الحق رسما واحدا ، ويمهد أمامهم طريقا واحدا للسير فيه ، فاشتبهت ملامحهم ، وكاد القارىء لا يميز بين أحد منهم . واكتفى أديبنا بالصورة القصصية ـ ولو لم تكتمل لها جميع الشروط الفنية ـ ما حملت للقارىء أفكارا قيمة، وعواطف كبيرة . فالشروط الفنية غير ضرورية ولا لازمة في كل الاحوال ، وانما يجب أن تقوم العلاقة بين الكاتب والناقد والقارىء على الحرية . وليس معنى ذلك اهمال الاتجاهات والالتفاتات القصصية جميعا ، بل لقد استعار الكاتب أو تابع جماعات من القصاص في مذاهبهم وطرق كتابتهم .

واذن ، فالقصة لها مفهوم خاص لدى الاديب ، يجعله ينهج نهجا خاصا في بنائها وصياغتها . ولكن ذلك كان السبب الذى دعا بعض النقاد الى مهاجمة ما أخرج من قصص .



شجرة عيد الميلاد

تأليف للكاتب الروسى : دستوفسكى

ترجمة : عبد المنعم جلال

شهدت اخيرا حفلة زواج ... او بالأحرى لا ... سوف احدثكم أولا عن شجرة عيد الميلاد فان حفلة الزواج التى شهدتها أخيرا كانت رائعة وقد اعجبتنى كثيرا ولكن الحفلة الاولى كانت أروع وامتع ، وسوف ترون لماذا أعادت هذه الحفلة الى ذهنى ذكرى شجرة عيد الميلاد .

كان ذلك منذ خمس سنوات تقريبا ... وقد دعيت الى حفلة أقيمت بمناسبة عيد الميلاد دعانى اليها رجل أعمال واسع الشهرة والثراء كثير الاحباب والصحاب بحيث ان تلك الحفلة التى أقاموها احتفالا بمولد طفل لم تكن غير سبب لاجتماع الاهل والاصحاب للتحدث والتشاور فى المواضيع التى تهمهم حتى يبدو أن الحديث قد جاء صدفة واتفاقا .

ولما كنت بعيد الصلة عن كل ما يمت بالاعمال فقد قضيت ليلتى فى معزل عن هذه المشاورات ورحت اشغل نفسى بالنظر الى المدعوين ومراقبتهم ولهذا لم البث أن لاحظت مدعوا آخر كان مثلى يبدو كأنه كان فى غير مكانه فى هذه الحفلة ... كان رجلا طويل القامة هزيل الجسم صارم القسمات انيق الملبس ، وكان يبدو بعيدا عن المرح والبهجة لانه ما كاد ينسحب الى احد الاركان حتى تلاشت ابتسامته من على شفتيه وقطب حاجبيه الفزيرين بطريقة تدعو الى القلق .

وكان يبدو من هيئته انه لا يعرف احدا بالقاعة فيما عدا المضيف وانه عزم على أن يقوم بدور الرجل السعيد على الرغم مما يحس به من ضجر .

وعلمت فيما بعد أنه رجل ريفى دعته الى المدينة صفقة تجارية كبيرة . ولما كان يحمل رسالة توصية لمضيفنا فقد أضفى عليه هذا الاخير سترا من حمايته ودعاه لحضور حفلة عيد الميلاد مجاملة منه .

ولم يلعب المدعوون الورق ولم يقدم اليه احدهم سيجارا ولما لم يوجه اليه احد الحديث (ولعلهم عرفوا الطير من وشه) فقد اضطر صاحبنا احتفاظا لوقاره الى ان يصقل فوديه ، وكان شكلهما جميلا حقا . وكان يفعل ذلك فى جد ومثابرة حتى ان المرء ليظن ان الفودين قد وجدا أولا وان السيد عين بعد ذلك للاشراف على صقلهما .

وفيما عدا ذلك الرجل الذى شارك بهذه الطريقة حفل مضيفنا صاحب الاطفال الخمسة تحول انتباهى الى سيد آخر .

كان ذلك السيد موظفا كبيرا اسمه جوليان مستاكوفيتش ، وقد لاحظت ان الجميع كانوا يعاملونه فى احترام كبير كما لوكانوا يعرفون انه ذا مكانة مرموقة وكان مضيفنا نفسه يعامله بنفس المودة التى يعامل بها السيد ذا الفودين .

وقد أحاطه أصحاب البيت بكل مودة واكرام واعتنوا به عناية فائقة فقدموا اليه الشراب كما قدموه الى اغلب المدعوين ولاحظت ان مضيفنا تندت عيناه بدموع الفرح عندما ذكر جوليان مستاكوفيتش فى نهاية الحفلة بانه قط لم يستمتع فى حياته بوقت طيب كما استمتع فى تلك الليلة .

وينبغى ان اعترف باننى احسست برهبة كبيرة عندما رأيت نفسى وحدى مع ذلك الموظف المرموق . ولهذا ما ان ابديت اعجابى بالاطفال حتى انسحبت الى ركن من الصالون الصغير ولجأت خلف مجموعة من الاشجار اقيمت فى منتصف القاعة .

اما الاطفال فقد ضربوا عرض الحائط بنصائح مربياتهم وتوصياتهم وبدوا لى ظرفاء . وفى بضع دقائق نزعوا عن الشجرة كلها ما عليها من حلوى وفاكهة ثم تحولوا الى اللعب واجتهدوا فى تكسيرها حتى قبل أن يعرفوا لمن كل لعبة منها .

واقبل طفل صغير ذو شعر مصقول وعينين فائقتى الجمال فطاردنى حتى مخبئى وقد استقر منه العزم على ان يقتلنى ببندقيته الخشبية . اما التى نالت اهتمامى اكثر من غيره فهى اخته وتبلغ من العمر احدى عشرة سنة وكانت جميلة رائعة الجمال ، صامتة شاحبة ، ذات عينين واسعتين حالمتين . ولا ريب ان احد الصبية اهانها لانها لجأت الى الصالون الصغير الذى لجأت اليه وجلست فى ركن قصى منه لا يشغلها شىء غير عروستها وكنت قد سمعت بعضا من المدعوين يقولون ان اباها تاجر غنى وآخرين يقولون انه سوف يكون لها ثلاثمائة الف روبل مهرا . واذ كنت

أنظر الى الجماعة التي يدور بينها هذا الحديث وقعت عيناى على جوليان مستاكوفيتش ، وكان واقفا عاقدا يديه خلف ظهره ومال راسه الى جانبه وراح يصغى الى ثرثرة الناس فى اهتمام شديد .

وفيما بعد ، لم يسعنى الا ان ابدى اعجابى بحكمة المضيف فيما يتعلق بتوزيع هدايا الاطفال فالطفلة ، صاحبة الثلاثمائة الف روبل منحت أجمل عروسة فى المجموعة كلها . وهكذا كانت اللعبة تقل قيمتها نظرا لدرجة واهمية اهل الطفل المالية . وكان آخر السعداء طفل فى العاشرة من عمره نحيف اشقر اللون يملأ وجهه النمش فقد منح كتابا صغيرا رخيصا يتكلم عن عظمة الطبيعة والدموع والحنان ولا تتضمن صفحاته صورة واحدة .

ولم يمض وقت طويل حتى علمت ان الطفل الصغير هو ابن مدرسة أطفال المضيف وهى أرمل مسكينة ليس لها غير هذا الطفل الاحمق الهلوع .

وكان يرتدى جلبابا عاديا من القطن الاصفر وعندما اخذ هديته راح يتسكع طويلا حول اللعب الاخرى ، وكانت عيناه تنطقان بالرغبة فى مشاركة الاطفال الآخرين لهوهم ومرحهم ولكنه لم يجرؤ على ذلك وهو يعرف بلا شك مركزه منهم .

وانا احب كثيرا ملاحظة الاولاد واجد اغرب ما فيهم هى البوادر الاولى ممارستهم حياتهم الحرة . وهكذا لاحظت ان الصبى الاشقر قد اخذه الحماس عند رؤيته بقية اللعب المقرر توزيعها على بقية الاولاد وعندما وقعت عيناه خاصة على المسرح اذ كان يريد ان يقوم بدور صغير اندمج مع اترابه من الاطفال فأعطى تفاحته لطفل سمين يمسك منديلا مملوءا بالحلوى ثم لم يرفض فيما بعد ان يكون مطية لأحد زملائه وكل ذلك حتى لا يبتعد عن جوار المسرح . ولكن على الرغم من كل ذلك لم يسلم من لكمات طفل اكبر منه ، وعلى الرغم من ذلك لم يجرؤ حتى على البكاء لان أمه أقبلت فى هذه اللحظة ونهرته حتى لا يحول بين الاولاد وبين لهوهم . وبعد وقفة طويلة بالباب لحق بالطفلة الصغيرة . وكانت الطفلة طيبة القلب كريمة الخلق فلم تطرده وراح الاثنان يتعاونان فى حماس فى الباس العروس ثيابها .

كنت فى مكانى خلف الاشجار اشغل نفسى بالاستماع الى حديث الصبى والطفلة صاحبة الثلاثمائة الف روبل

عندما رأيت جوليان مستاكوفيتش يدخل فجأة . وقد انتهز هذا الاخير معركة دارت بين الاطفال في الصالون الكبير فأسرع هو الآخر الى الصالون الصغير . وكنت قد رأيته قبل ذلك يتحدث طويلا مع المضيف ، وكان يبدو حالما وهو يعد على أصابعه قائلا :

ـ ثلاثمائة ... ثلاثمائة ... احدى عشرة سنة ... اثنى عشر ... ثلاثة عشر ... ستة عشر ، اى بعد خمس سنوات ... لنفرض ٤٪ ـ ٥×١٢ شهرا لنفرض أن هذه الثروة تصبح بعد خمس سنوات اربعمائة الف روبل ... نعم ... نعم ولكن هذا الوغد لا يقرض بفائدة ٤٪ طبعا ... لنقل خمسمائة الف روبل على أقل تقدير .

واذ فرغ من هذه العملية الحسابية وهم بمغادرة الغرفة وقعت عيناه فجأة على الطفلة . وكنت أنا من غير شك مختفيا خلف الاشجار لانه لم يرني . ولكني رأيت الانفعال يبدو على محياه ... أكان ذلك نتيجة العملية الحسابية أو بسبب شيء آخر ... وفرك يديه في ارتياح ونظر الى الخطيبة المقبلة نظرة أخرى زادت من ارتباكه وانفعاله .

وقبل ان يتقدم من المكان الذي جلس فيه الصبيان نظر حوله نظرة سريعة ثم تقدم على اطراف قدميه كما لو كان قد أحس انه مخطيء . واقترب جوليان مستاكوفيتش من الطفلين وعلى شفتيه ابتسامة خفيفة وانحنى فطبع قبلة رقيقة على رأس الطفلة .

ولم تكن هذه تتوقع مثل هذا المجرم المفاجيء فأطلقت صيحة تدل على الدهشة وقال هو :

ـ ماذا تفعلين هنا أيتها العزيزة الصغيرة .

وبسط يده وربت على خد الطفلة التي اجابته قائلة :

ـ اننا نلعب .

والقى جوليان مستاكوفيتش الى الصبي بنظرة بعيدة عن كل رقة وقال :

ـ معه ؟ .

ثم التفت الى الصبي وقال في حدة .

ـ ينبغي أن تذهب الى الصالون الآخر يا صغيري .

واذ رأى الصبي واقفا لا يريم ولا يحول بصره عنه دار بعينيه في انحاء الغرفة فاحصا ثم انحنى فوق الطفلة وقال :

ـ أهذه التي معك عروسة ياعزيزتي الصغيرة ؟ .

فأجابته الطفلة وقد ظهر عليها الارتباك ...

ـ نعم . عروسة .

ـ وهل تعرفين يا عزيزتي الصغيرة مم صنعت ؟

ـ فقالت وهي مطرقة برأسها : ـ لا . لا أعرف .

ـ من الحرير يا عزيزتي الصغيرة .

ونظر جوليان مستاكوفيتش الى الصبي نظرة صارمة وقال له .

ـ ينبغي أن تذهب لتلعب مع زملائك.

ولكن الصبى لم يشأ أن يبتعد عن صاحبته بل ازداد دنوا منها حتى كادا يتلاصقان وتحول جوليان مستاكوفيتش الى الطفلة وسالها .

ـ وهـل تعلمين لماذا قدموا اليـك هذه العروسة ؟ .

ـ كلا .

ـ ذلك لانك طفلة رقيقة . . . لطيفة.

ونطق الموظف الكبير بهـذه الكلمات وهو لا يستطيع ان يخفى انفعاله ونظر حوله متوجسا ثم خافت بصوته الذى ازداد اضطرابا وقال :

ـ هل تحبينني يا عزيزتى الصـغيرة اذا انا ذهبت لزيارة أبـويك ؟ واراد جوليان مستاكوفيتش ان يقبل الطفـلة مرة اخرى ولكن الصبى عندما راى ذلك أجهش بالبكاء وشدها من ذراعها وراح ينتحب كما لو كان مشفقا عليها . . .

واصـطبع وجـه جـوليان مستاكوفيتش بحمرة الغضب وصـاح محنقا :

ـ اخرج من هنا ايها الشقى . . . اذهب والعب مع زملائك .

ولكن الطفلة صاحت من خلال دموعها

ـ لا . . . لا ينبغى أن يذهب . . . بل اذهب انت . . . دعـه . . . دعه وشأنه .

وصدرت بالباب حركة جعلت جوليان مستاكوفيتش ينتفض ويعتـدل على الفور . وكان خوف الصبى اشد وهو يحاول بلوغ الباب وهو يتسلل فى هدوء ويتمسح بالجدار ورأى الموظف الكبير ان يغـادر الصـالون هو الآخر منعـا للشبهات، وكان لونه شديد الاحمرار. ونظر الى صورته فى المرآة وهو يجتاز الغرفة وبدا عليه الارتباك . هل أحس بالخجل لتسرعه ؟ . . . لعل الحسـبة التى قام بهـا على أصابعه قـد أغرته وجعلته يتصرف تصرف الاطفال محاولا الدنو من موضوع أحلامه الذى لا يمكن أن يصبح حقيقة الا بعد خمس سنوات.

وتبعت الموظف حتى صالة الطعـام حيث رأيت منظرا عجيبا . فان جوليان مستاكوفيتش ، وقد زاد احمرار وجهه لفرط غضبه راح يحاول افزاع الصبى الذى لم يعد يعرف أين يذهب .

ـ ماذا تفعل هنا أيها الشقى ؟ . . . اذهب ، اذهب أيها الوغد . انك تسرق الفاكهة . . . اخرج . . . اغرب عن وجهى ايها المجرم . . . قلت لك اذهب .

واقدم الصبى المذعور على عمل يائس فاختبأ تحت المائدة ولكن الموظف أخرج منديله من جيبه وراح يهزه تحت المائدة وهو يحاول أن يصل الى الصبى .

وهنا ينبغى ان نلاحظ ان جـوليان مستاكوفيتش كان رجلا قوى البنيـة

احمر الوجه قصير القامة ذا كرش مستدير قائم على فخذين سمينين .

وتفصد وجهه بالعرق وكاد يختنق وهو يتحرك ويكثر من التحرك بدون نتيجة واخيرا اخذه الحنق واستولى عليه الغضب ، ومن يدرى ، لعله كان شعورا بالغيرة .

ولم املك نفسى فاطلقت ضحكة كبيرة واعتدل جوليان مستاكوفيتش عندئذ ونظر الى فى ارتباك ظاهر ونسى وقاره وزاد الطين بلة أن ظهر مضيفنا بالباب . وخرج الصبى من تحت المائدة وراح ينظف ركبتيه . أما جوليان مستاكوفيتش فقد سارع برفع منديله الى انفه ليخفى انفعاله .

ودهش المضيف عندما وقع بصره علينا ونحن فى هذا الموقف الغريب وبدا عليه الانزعاج ولكنه كرب بيت عليم بأمور الحياة انتهز على الفور هذه الفرصة التى تقربه من الموظف وقال وهو يشير الى الصبى الاشقر .

ـ هذا هو الصبى الصغير الذى حدثتك عنه .

فقال جوليان مستاكوفيتش ، ولم يكن قد تغلب على انفعاله بعد .

ـ آه ... آه ...

واستطرد المضيف فى التماس : ـ انه ابن المدرسة التى تشرف على تعليم اولادى وهى أرملة مسكينة مات زوجها وليس لها معين . وهذا هو السبب ياجوليان مستاكوفيتش فاذا كان فى مقدورك ....

فقاطعه الرجل القصير البادن على الفور وقال : ـ آه كلا ... كلا ... معذرة يا فيليب الكسيافيتش ... هذا غير ممكن ... لقد استعملت عنه وليس هناك مكان ما ... وعلى فرض أن هناك مكانا فهناك ايضا عشرة مرشحين احق منه ... آسف ... آسف جدا .

فقال المضيف : هذا شىء يؤسف له ... انه صبى ظريف صموت ومطيع .

فقال جوليان مستاكوفيتش وقد زم ما بين شفتيه :

ـ بل شقى صغير ... اذهب ... أما زلت واقفا ... اذهب الى زملائك .

ولم يستطع ذلك الموظف الكبير المرموق ان يتمالك نفسه فارسل الى نظرة قلقة . اما انا فقد رأيت أن من المستحيل ان ابدو بمظهر غير المكترث فارسلت ضحكة كبيرة وانا احدق فى الموظف الذى تحول الى المضيف ليسأله طبعا عمن أكون ...

وتمتم المضيف ببضع كلمات ثم انصرف الرجلان .

وعدت بدورى الى الصالون . كان الرجل الثرى واقفا فى حلقة من المضيف والمدعوين يتحدثون جميعهم الى سيدة امسكت فى يدها بيد الطفلة الصغيرة التى وقع معها ما تقدم ذكره مع الموظف .

وكان الموظف المرموق نفسه واقفا

يمدح جمال الصبية ويطرى أخلاقها وتربيتها العالية وراحت الام تصغى الى كلماته والدموع تكاد تطفر من عينيها ورأيت أيضا ان شفتى الاب اختلجتا فى ابتسامة حافلة بالانفعال بينما لم يستطع المضيف ان يخفى السرور الذى سببته له هذه الكلمات . وانضم المدعوون أنفسهم الى الحديث وانقطع الاطفال عن اللعب حتى يصفو الجو للحديث .

وسمعت الام توجه الدعوة فى انفعال الى الرجل الثرى وترجوه أن يشرف بيتهم بصداقته الغالية . وقبل الثرى الدعوة وكذلك قبلها جوليان مستاكوفيتش وهو لا يتمالك نفسه من الانفعال . وراح الجميع يمتدحون المضيف وزوجته والتاجر الثرى والام وابنتها الصغيرة وخاصة جوليان مستاكوفيتش .

والتفت أنا الى أحد المدعوين وقلت اسأله .

ــ هل هذا الرجل متزوج ؟

وسمع الرجل البدين سؤالى فرشقنى بنظرة قاتلة وأجابنى جارى فى استياء وقد اعتبر سؤالى مفرضا وفى غير موضعه .

ــ كلا .

ومنذ أيام كنت مارا أمام الكنيسة عندما لفت نظرى جمع غفير من الناس وحشد من العربات وسمعتهم يتحدثون عن زواج وشيك الوقوع . كان اليوم كئيبا والثلج يتساقط رذاذا ودفعنى الفضول فدخلت الى المحراب واخذت ابحث عن الزوج فرأيته رجلا قصيرا ممتلىء الجسم بارز الكرش يحمل على صدره عدة نياشين وكان يجرى فى انفعال يصدر الاوامر هنا وهناك . وأخيرا سمعت همسا بين الحاضرين ادركت منه أن العروس قد أقبلت .

وتدافعت بالمناكب حتى بلغت الصف الاول ووقعت عيناى على فتاة فائقة الجمال فى فجر ربيعها . وكانت شاحبة، حزينة تنقل عينيها بين جموع الحاضرين، وقد خيل الى أن هاتين العينين قد اضطرمتا من فرط البكاء . وكانت نقية الملامح ذات مهابة ووقار ولكن كان يتخلل هذا الوقار وتلك المهابة شىء صبيانى ساذج كان يبدو كما لو كان يسأل الموجودين الرحمة .

وايقظت هذه النظرة فى نفسى ذكريات مبهمة . ودققت النظر الى الخطيب وما كدت أفعل حتى عرفت فيه فجأة ذلك الشهم جوليان مستاكوفيتش ، وكنت لم أره منذ خمس سنوات وعدت انظر الى الفتاة من جديد و . . . يا الهى . . . ومن غير أن أحاول رؤية المزيد اسرعت الى الباب تلاحقنى كلمات المدعوين .

ــ ان العروس تملك مهرا قدره خمسمائة الف روبل .

وعندما خرجت الى الشارع تمتمت أقول :

اذن فقد كان حسابه مضبوطا .

نافذة على الليل

عبد الحميد جوده السحار

وقف فى شرفته فى الفندق يطل على دمشق، كانت السيارات تذرع الطرقات، والمارة فى غدو ورواح ، والمصابيح الكهربية تبدد ظلام الليل ، نظر الى ساعته وزفر زفرة ممدودة ، فما أشرفت على التاسعة بعد، انه يحس مللا يتسرب الى روحه وفراغا هائلا يحتويه ، ورغبة فى أن يفر الى شيء ، أى شيء •

وسمع صوت سيارة تقف فجأة ، اعقبها صوت جندى المرور يسب ويتوعد، فالتفت فى اهتمام ، وراح يتابع السباب، وقد رفت على شفتيه بسمة ، كان الجندى يصب اللعنة على السائق ، ويشعل النيران فى دينه ودين أجداده وسرعان ماخبت الثورة وانطلق السائق بسيارته فى طريقه كأنما لم يحدث شيء •

وعادت كل حركة تحركت فى نفسه الى مرقدها ، وراح يمد بصره الى محطة السكة الحديد فى ملل ، وانتابه خوف من الزمن الذى يسير فى بطء يرهق أعصابه، آه لو كان ممن يدمنون الشراب لهرع الى حانة يؤنس وحدته برفقة كأس ، وشارك روادها حياتهم •

انه منذ أن جاء الى دمشق وهو وحيد، يفرق فى العمل الذى ترك القاهرة من أجله حتى منتصف النهار ، ثم تبدأ وحدته القاتلة التى ترهقه ، وتلقى به فى غياهب فراغ مخيف • انه منذ أن وطات قدمه أرض دمشق لم يلق مايثير، يذهب فى الصباح الى عمله ثم يعود الى الفندق ، حتى اذا ماجن الليل راح يجوس خلال الطرقات حتى يتعب ومن ثم يعود الى الفندق لينام •

التقى بفتاة أول أمس فى فناء الفندق، راحت تحدق فيه برهة ، ثم قالت :

ـ من مصر ؟

ـ نعم .

ـ هلا . لى أصدقاء كثيرون فى مصر .. أتعرف الدكتور محمد مراد . انه ساكن فى الدقى . انه من أعز أصدقائى . أتعرف الاستاذ صدقى عارف ، انه هو الآخر صديقى . انى عشت فى مصر سنوات ، لى فيها أصدقاء أعزاء .

ـ تشرفنا .

ومد يده وتناول مفتاح غرفته وقال لها وهو ينصرف :

ـ عن اذنك .

لماذا فعل هذا ؟ لماذا رفض صداقة مدت له يدها وهو فى أشد الحاجة الى انسان يؤكد له أنه حى ، وأن ذلك الذى ينبض بين ضلوعه هو قلبه ، وأن الهواء الخارج من أنفه هو أنفاسه وأنه موجود على اليقين ، فهو فى كثير من لحظات فراغه يشك فى ذلك الوجود .

وسرى صوت فيروز حنونا يغنى : « زورونى كل سنة مرة حرام تنسونى بالمرة .. حرام .. » فأحس كأن تيارا من دفء الحياة يتدسس فى وجدانه ، وينساب الى قلبه ليحرك عواطف رقيقة فى نفسه ، تبلل عيناه بالدموع .

ووقف خاشعا يصغى ، الانغام تنسكب من أذنيه الى روحه فتشيع فى نفسه أسى وحزنا بيد أنه فى قرارته كان سعيدا بتلك المشاعر التى جعلته يحس أنه يعيش . وسكت الصوت ، وظلت لمسة الحياة التى خلفها مشتعلة فيه ، فتحرك لبغادر الشرفة وينطلق الى الطريق .

وسار يتلفت ، يحس رغبة فى أن يتحدث الى الناس ، وكلما وقعت عيناه على اثنين يتناجيان راح ينظر اليهما نظرة محروم ، حتى اذا ما بلغ مقهى والفاه يعج بالناس عجيجا عرج اليه وجلس على أول كرسى قابله عند المدخل ، وراح يدير عينيه فى الموجودين ، كانوا يدخنون النرجيلة ويلتفون حول من يتبارون فى لعب الطاولة .

انه لم يشته يوما أن يلعب الطاولة ، بيد أنه كان فى هذه اللحظة يكاد يذوب شوقا الى انسان يدعوه الى منازلته ، ومادار بخلده أبدا الفوز أو الهزيمة ، كل ما يتمناه أن يسمع صوتا يوجه اليه ، ولو ظل ذلك صوت يسخر منه ومن لعبه ويتهمه بأنه غشيم .

جاء أحد العاملين بالمقهى ووقف أمامه وقال :

ـ نرجيلة ؟

ـ شكرا ، شاى باللبن .

وانصرف الرجل وسرعان ما عاد بالشاى ، ووقف برهة دون أن يضع الشاى على النضد ثم قال :

ـ ألا تتفضل بالداخل ؟

وقرأ الرجل فى عينيه الدهشة ، فقال له :

ـ حتى لا تأخذ « أحه » .

ورأى الرجل أن الدهشة زادت فى عينيه ، فقال له :

ـ مصرى ؟

ـ نعم .

فقال الرجل مفسرا :

ــ أحه عندكم يعنى ٠٠ يعنى كحة ٠ ثم انفجر الرجل ضاحكا كأنما كانت كلمة « كحة » تحمل معنى يثير الضحك الذى تهتز لهالبطون وتنفرج لهالاوداج!

وقام ودخل وجلس بعيدا عن الهواء حتى لا يصاب « بأحه » وراح يتناول الشاى وسرعان ما عاد اليه سأمه ، فنهض وغادر المكان ٠

وراح يضرب فى شوارع دمشق ، يلف ويدور ، حتى وجد نفسه أمامملهى الكروان ، فأخذ يقتل الوقت بمشاهدة صور الراقصات وقراءة الاعلانات ، ووقفت عيناه عند صورة فتاة المانية ، تسكن فى الغرفة الملاصقة لغرفته بالفندق ، كان يراها وهى صاعدة أو هابطة ، ولم يدر بخلده أنها فتاة من فتيات الفرقة الالمانية التىتعمل فىملهى الكروان ٠

وشرد ذهنه ورأى نفسه يعيد خياله وهو يحمل علبة شيكولاتة انيقة ويطرق باب غرفتها ، فتفتح له، ويقدم لهاالعلبة وهو يقول : « تفضلى ٠ كنت بالامس رائعة » وأفاق من شروده فوجد نفسه يتقدم ويدخل الملهى الليلى ٠

وجلس بين‌الناس ، وعزفت الموسيقى وارتفع الستار وامتلأ المسرح براقصات عاريات أخذن بصره لحظات وسرعان ماشعر بالفراغ يملأ وجدانه ، وخطر له أن يبحث عن الفتاة التى صور له خياله أنه يطرق باب غرفتها ، فراح يتلفت حوله ويتفرس فى الواقفات عند المداخل يعرضن أنفسهن على طلاب المتعة ، الا أنه لم يجدها ، فعاد يمد بصره الى الفتيات اللاتى يخطرن على المسرح ، فرآها عارية مثلهن ، الا أنها أرفعهن

لم تمتلىء أردافها بعد وبرز صدرها فى حياء، كانت فى‌السابعة عشرةمن عمرها، تتعجل نضجها لتمارس أول تجارة مارستها المرأة ٠

واستمر ينظر دون أن يستشعرشيئا كأنما الصلة التى‌بين عقله وبصره وأذنيه قد انقطعت ، وبدأ يحس بصدره يضيق، كأن المكان كله قد جثى على أنفاسه ، فنهض‌وسار متثاقلا لا يدرى ماذا يفعل٠

وخرج الى‌الطريق ولفح الهواء وجهه، فاذا بذهنه ينشط ، راح يفكر فى أمره، كان وهو صغير يعتقد أن جيبه لو امتلأ بالمال لحلت كل مشاكل دنياه ، وهاهى ذى النقود تكاد تملأ كل جيوبه وتعجز عن أن تقنعه بوجوده !

وجذب بصره‌اثنان يترنحان من السكر، يقع أحدهما على الارض ، فيحاول زميله أن ينتشله ، فوقف يرقبهما ، لا يدرى أيحسدهما أم يرثى لهما، وظل الزميلان فى جهاد حتى استويا على أقدامهما ، فسارا خطوات‌واذا بعمود النور يعترض سبيلهما ،فامسكا به وأخذا يدوران حوله ، وكأنما أعجبتهما اللعبة ، فطفقا يضحكان فى براءة الاطفال ٠ وخطر له أن ينسى كبرياءه وأن يتظاهر بالسكر وأن يمسك بهما ويدور معهما وأن يطلق نفسه على سجيتها ، يقفز ويجرى ويمرح دون أن يحفل بعيون الناس ، وكاد أن يستجيب لهواجس نفسه ، فى الوقت الذى ظهر فيه الشرطى الى جوار الرجلين اللذين أغرقا همومهما فى الكئوس، فانسل وقد طارت‌أفكاره وعاد اليه الخواء ليملأ تجويف رأسه وفراغ قلبه ٠

وراودته فكرة العودة الى الفندق ،



الا أنه لم يكن يشعر برغبة فى النوم ، فسار على غير هدى ، وآنس نورا يتلألأ على البعد ، فذهب اليه ، وقرأ « ثريا حلمى وفرقتها » ، فأحس حنينا يتحرك بين أحشائه ، وتقدم ليدخل الملهى دون أن يتردد ٠

كانت المناضد والكراسى منتشرة فى قاعة واسعة ، وكان شرف من الخشب الذى كسى بسجاجيد حمراء يتوسط القاعة ، انه المسرح من غير شك ٠ والفى نفسه يتقدم ليجلس بالقرب من المسرح٠

وقال المذيع السورى الذى يقدم النجوم :

ـ منولوجست الشرق ثريا حلمى ، فى منولوج : « انت تزقنى » ٠

وظهرت ثريا ترتدى ثوبا أبيض من ثياب أولاد البلد وقد تحزمت بحزام وفى يدها عصى ، ودوى المكان بالتصفيق ، وراحت تلقى منولوجها ، وبدأت ترقص ، الا أنها كانت تتوقف بين لحظة وأخرى لان الطلبة أخفقت فى أن تتتبع هزات جسمها وبلغ ضيقها من الفرقة المصاحبة لها منتهاه ، فقالت :

ـ أين أنتم يا اولاد مصر !

فتحرك فى مقعده وكاد يصيح : « نحن هنا » ، ولكنه كبح جماح نفسه ، وان كانت قوة طاغية فى قراره تحاول أن تدفعه ليصعد على المسرح ويتناول الطبلة ، ويجارى ثريا فى هزات أردافها وحركات وسطها ٠

وانتهت ثريا من منولوجاتها ورقصاتها وصعد المذيع السورى وراح يعلن :

ـ والآن تشاهدون الرقص الشرقى من فاتنة النيل سلوى فريد ٠

ودق قلبه فى عنف ، وسرت دماءحارة فى عروقه وأرهفت حواسه جميعا ، وتركزت عيناه على المسرح ، ودبت فيه حياة لم يستشعر مثلها منذ أن جاء الى دمشق ، بل منذ أمد طويل ، وأحس وجوده وساعد على ذلك الاحساس المشاعر المتباينة التى كانت تتدفق الى فؤاده وتنبعث منه لتنبه كل الحواس ٠

وظهرت على خشبة المسرح راقصة أشبه ببرميل يعلوه رأس ، راحت تهتز فى بطءشديد وحاولت أن تميل بصدرها الى الخلف ، الا أن وسطها لم يعاونها ، وانبعثت من أرجاء القاعة الضحكات ٠

كان الجميع يسخرون منها ، وكلما حاولت أن تهز البرميل الذى يعلو ساقيها المكتنزتين باللحم ، كلما ارتفعت ضحكات الاستهزاء ، بينما ظل هو ينظر اليها ولكنه لم يكن يراها بعينيه بل كان يراها بخياله ، عادت به الذكريات سنين طويلة ، الى تلك الايام التى كان فيها طالبا ، وكانت سلوى تعمل فى كازينو بديعة بالقرب من كبرى الجلاء ٠

كانت فى تلك الايام فاتنة النيل حقا، كانت ممشوقة القد ، ناصعة البياض ، زرقاء العينين ، ذهبية الشعر ، وقد أطلق عليها رواد الليل : سلوى الانجليزية، فقد كانت أشبه بالانجليزيات وكانت مفضلة عند الجنود الانجليز ٠

انه يرى نفسه يوم كان طالبا فى كلية الحقوق ، ويذكر ذلك اليوم الذى ساقته قدماه الى ملهى بديعة ، انهجلس فى الصف الاول يشاهد الراقصات ، وما كان يعرف عنهن شيئا فى ذلك

اليوم ، كل ما كان يبغيه أن يمضى ليلة يروح فيها عن نفسه ، ثم يعود الى دروسه ، وراحت الرقصات تتتابع وهو يشاهدها فى عدم اهتمام ، حتى اذا ما ظهرت سلوى على المسرح ، أحس قوة تجذبه اليها وراحت ترقص فخيل اليه أنها ترقص له وحده ، وابتسمت فابتسمت الحياة كلها وغمزت بعينها فى دلال فاستشعر كأن يدا حانية تعبث فى رقة بأوتار قلبه ٠

وانتهت من رقصتها ، فأخذ يصفق لها فى حماس ، دون أن يحفل بالعيون التى تعلقت به ، وسار كالمسحور حتى وقف تحت أقدامها وهو يصيح : برافو ٠ برافو ٠ والتقت عيناه بعينيها فرأى فيها جمال الدنيا وبهجتها ٠

وعاد الى بيته وهو مأخوذ بسحر سلوى وتمدد فى فراشه وطفق يفكر فى البسمة والغمزة والروح الخفيفة التى كاد يرى صفاءها من خلال عينيها ، وشخص ببصره الى بعيد ، كان يراها فى غلالة شفافة ترقص له ، وشرد خياله فرآها تميل عليه وتضمه بين ذراعيها وتقبله قبلة شهية كادت روحه تستشعر حلاوتها ٠

وفى الصباح مر وهو فى طريقه الى الجامعة بالكازينو ، فخفق قلبه ومد عينيه من خلال نافذة الاوتوبيس يبحث عنها ، كأنما كان يظن أنها فى الكازينو لا تغادره أبدا ، وانطلق الاوتوبيس فى طريقه وخلف الكازينو خلفه ، الا أن سلوى كانت فى ذهنه وفى قلبه ٠

وقفزت الى رأسه فكرة وهو فى المدرج بين زملائه ، لماذا لا يذهب الى الكازينو الآن يشاهدها وهى تتدرب على الرقص فى الصباح ؟ وأعجبته الفكرة فلن يناقشها وانسل من المدرج وانطلق اليها ٠

وقف أمام الدرجات التى تقود الى الملهى وهو خافق القلب ، يتلفت فى خوف ، ومست أذنيه موسيقى راقصة ، فلم أطراف شجاعته وتقدم ، وأشرف على المكان فرأى المدرب واقفا بين فتيات وهو يدربهن على رقصة جديدة ويقول وهو يصفق بيديه : واحد اثنين ٠٠ واحد ٠ اثنين ٠٠٠ » ، وتقدم على استحياء ثم جلس ينظر ٠

وانتهت التدريبات ولاحت سلوى بثياب الصباح ٠ كانت بسيطة بساطة جعلتها فى عينيه أروع مماهى وهى عارية تغمرها الاضواء ٠ خفق قلبه فى شدة بين جنبيه ، وفكر فى الفرار ، الا أنه حقد على نفسه التى تريد أن تخرجه من الجنة التى عرف طريقها ، وتشبث بكرسيه ٠

وأخذت تغدو وتروح على أنغام التخت كالطيف وتميل تمايل الاغصان وهو يتبعها بعينيه أينما سارت كعباد الشمس وانتهت من رقصتها ثم هبطت الى حيث كان يجلس واتجهت اليه فاشتد وجيب قلبه حتى انه استشعر أنه سيفر من بين جنبيه ٠

وأصبحت على بعد خطوة واحدة منه ، ووقفت ثم قالت :

ـ سيجارة من فضلك ٠

فقال فى تعلثم :

ـ آسف أنا لا أدخن ٠

وراحت تتلفت ثم نظرت اليه وقالت وهى تفتح حقيبة يدها :

ـ هل تتكرم بشراء سجاير لى ·

ومدت اليه ورقة من فئة الخمسين قرشا ، فاخذها منها وهو حانق على نفسه ، لم يكن فى جيبه الا أجر الاوتوبيس ، آه لو كان معه نقود لطار يشترى لها بماله ما تريد ·

وخف يشترى لها السجاير وسرعان ماعاد اليها بما طلبت ، لايجد غضاضة فى أن تكلفه بشراء سجاير لها ، هوالذى كان يثور على أمه وهو صغير اذا ماسألته أن يشترى لها شيئا من دكان البقال الذى كان على بعد خطوات من منزلهم ·

وراح يتردد على الكازينو فى الصباح يشاهدها وهى تتدرب على رقصتها ، حتى اذا ما انتهت منها أسرع اليها يقدم لها سيجارة من علبة صار يحملها فى جيبه ، كان يشتريها بما يوفره من أجر الاوتوبيس ·

وشغف بها حبا حتى انه ظن أن لا حياة له بدونها ، ووطن العزم على أن يفاتحها بحبه ، ويعرض عليها قلبه ، وكان كل ما يملكه فى دنياه ·

ووقف يرقبها وهى ترقص ومشاعر طاغية تتفاعل فى جوفه ، وكانت أول مرة يتمنى فيها أن تنتهى من رقصتها ، ولاح القلق الذى يمور بين ضلوعه على حركاته ، فكان يعبث فى شعره وفى أصابعه وفى ازرار جاكتته ويرفع رجلا ليهبط أخرى وأخيرا انتهت من تدريبها وسارت الى مقعد وجلست تستريح ، فذهب اليها وسحب كرسيا وجلس الى جوارها وقال :

ـ اريد يا سلوى أن أحدثك فى أمر هام ·

فقالت دون أن تلتفت اليه :

ـ تكلم ·

فقال فى انفعال :

ـ أحبك يا سلوى ·

فقالت فى بساطة :

ـ متشكرة ·

ولم تؤثر فيه لهجتها الساخرة ، بل قال مندفعا :

ـ وأريد أن أتزوجك ·

والتفتت اليه وقالت فى استخفاف :

ـ وبماذا ستشترينى ؟

فقال فى حرارة :

ـ انى بعد سنة واحدة سأحصل على الليسانس ·

فقالت له فى هدوء :

ـ وبماذا سنعيش حتى تحصل على الليسانس يا روح ماما ؟

وظل ينظر اليها فى وجد دون أن ينبس بكلمة ، فقالت له :

ـ اسمع يا ·· أنا لا أعرف اسمك حتى الآن · ولا أظن أن الامر سيختلف كثيرا لوعرفت اسمك· اسمع نصيحتى· أنا خلقت لطريق · وأنت خلقت لطريق آخر ·

فقال فى حماس :

ـ لا يا سلوى · أنت خلقت لى · لى وحدى · أنا أحبك ·· أعبدك ولا قيمة لحياتى بدونك ، سأعمل من أجلك ، من أجل أن أسعدك ··

ـ لا تزال صغيرا يا صديقى ، اذهب الى مدرستك ٠

ـ أنا أوفى بكل كلمة أقولها ٠ سنة واحدة ثم أصبح محاميا وبعدها نتزوج٠

فنهضت وهى تقول فى سخرية :

ـ وبعد بضع سنين تصبح وزيرا ٠

وسارت وسار خلفها وهو يقول :

ـ سلوى أرجوك ٠٠

فوقفت والتفتت اليه وقالت فى عزم:

ـ اسمع ٠ لا أريد أن أراك هنا ، ولا أحب أن تضيع وقتى ٠

ـ أحبك يا سلوى ٠

ـ وانا لا أحبك ٠

ووقف كالتمثال وان أحس خنجرا يطعن قلبه ويمزق أحشاءه وراحت توسع من خطوها حتى ابتعدت عنه ، وهو يتلوى من الألم ويئن فى النار التى اشتعلت فى جوفه ٠

وأفاق من شروده على ضحكات السخرية التى كانت تدوى فى أرجاء القاعة ونظر الى سلوى التى أصبحت أشبه ببرميل وراح يتبعها بعينيه وهى تهبط من على المسرح وتسير بين الموائد، لتحتل مائدة فى مؤخرة القاعة ، بالقرب من باب الدخول ٠

وجاء رجل مفتول الشارب ، يرتدى ثوبا رثا وعلى رأسه طربوش ، يبدو كأنما نصفه الاسفل قد غمس فى الزيت، كان منظره يوحى بأنه حوذى ، واتجه الرجل الى المائدة التى جلست اليها سلوى وجلس معها ونادى الجرسون وطلب منه شيئا ٠

وجاء الجرسون بكاس نبيذ ، فراحت سلوى والرجل يتقارعان الكئوس ، وهو ينظر اليها من طرف عينيه ، وقد غمره أسى وطافت به موجة رثاء ، وتفجرت فى جوفه شفقة ، بللت عينيه بالدموع٠

وأشار باصبعه للجرسون ، فجاء يلبى اشارته وقال :

ـ فى الخدمة سيدى ٠

ـ ارسل زجاجة شمبانيا للسيدة سلوى ٠

وأومأ برأسه الى حيث كانت تجلس فقال الجرسون فى دهش :

ـ زجاجة شمبانيا ؟!

ـ نعم ٠

وأخرج من جيبه حافظة منتفخة ، ودفع للجرسون ثمن الزجاجة ، فتناول منه الجرسون المبلغ وهو يرمقه فى بلاهة ثم قال :

ـ معوضين سيدى ٠

ودس حافظة النقود فى جيبه ، ثم انساب صوب الباب ، ومر بالمائدة التى تجلس اليها سلوى ، والتقت عيناه بعينيها ، فاضطرب وخفق قلبه ، وراح يوسع من خطوه ليخفى اضطرابه بينما راحت تلقى بكأس النبيذ فى جوفها ، دون أن يبدو عليها أنها رأت شيئا ما يذكرها بماضيها ٠

مشكلات فى حياتنا الأدبية

بقلم : محمد عبد الحليم عبد الله

فى حياتنا الادبية حيال فن القصة عدة ظواهر محتاجة الى تفسير هدفه الاول والاخير المحافظة على النتاج القصصى الذى اهدته الى المكتبة العربية ثلاثة اجيال على مدى نصف قرن .

وليس ازدهار القصة العربية فى مصر منذ الثلث الثانى من القرن العشرين الا ثمرة طبيعية لاكتمال التزاوج بين الثقافة العربية والثقافات الاخرى ، فالكاتب العربى يفتش عما يقوله قبل أن يشرع فى الكتابة والبيان العربى — الذى كان قديما مهتما بالصورة — أصبح مهتما بالمشكلة والصورة فى وقت واحد . وسلب الفن القصصى فن الشعر بعض مخصصاته وبعض سحره ومعظم قرائه .

ثم ان انتشار فن من الفنون يعنى انتشار الاهتمام بهذا الفن والتحدث فى مشكلاته وتعدد الآراء حول المشكلات ... ثم وقوع حوادث تصادم نتيجة الزحام ورغبة السبق التى تولد مع كل نفس ... وهذا هو موقف فن القصة .

أما تلك الظواهر التى تبرز اليوم فى حياتنا الادبية فاحملها فيما يلى :

الظاهرة الاولى : الشكوى من عدم اتاحة الفرصة على الرغم من كثرة وسائل النشر والاعلام .

ويمكن تعليل هذه الظاهرة تعليلا علميا بزيادة عددنا الذى استتبع زيادة عدد المتعلمين فينا ثم زيادة عدد الموهوبين او أصحاب الطموح الذى تسانده الموهبة أو الوهم والغرور والفرص دائما اقل من طلاب الفرص . وحتى لو فرضنا أن

عدد الفرص متساو مع عدد طلابها فانه من المحال أن تتاح الفرصة لكل من يستحقها لوجود الانتهازيين فى كل زمان ومكان . وهذه المقدمة تعطى نتيجة مؤكدة هى ان وسائل النشر والاعلام مهما تكن كثيرة فانها لن تكفى كل أصحاب المواهب حتى الحقيقيين منهم لان من أهم قوانين النشر والاعلام التعامل مع المشهورين . فتتحكم فى الموقف منجديد قاعدة أن الفرص أقل عددا من طلاب الفرص فينشأ التزاحم والتصارع والشكوى .. وحوادث التصادم .

لكن ... من المؤكد أن من بين الذين يرفعون أصواتهم بالشكوى مواهب لو اتيحت لها الفرصة تلو الفرصة لاثرت حياتنا القصصية . وانا لاأشك فى ذلك .

لكننى احسست ان شكوى الشاكين من أصحاب المواهب تستفل صحفيا أكثر مما تبحث عن حب وعقيدة . وأصبح النشر مرة واحدة لكاتب موهوب ثم التوقف بعد ذلك مما يسبب عذابا أقسى من عذاب الحرمان .

وليس بين وسائل الاعلام ماهو أقوى على خلق الكاتب الثابت من الصحيفة أو المجلة لان الكلمة المكتوبة (وان كانت بطيئة الانتشار) تنتقى بنفسها وبقدرة ذاتية البيئات الحقيقية التى تعيش فيها عمرا طويلا وهذا سر خلودالكتاب والكتاب .

وطبيعى جدا أن يقوم بناء مجلة «القصة» على اقلام المشهورين لانها بغير ذلك لن تستطيع خدمة كاتب غيرمشهور لكن الذى ارجو أن تعمله مجلة القصة ازاء أصحاب المواهب هو أن تتبنى طائفة منهم فتقدم انتاجهم القصصى وتنوه به لكى تسد فراغا أحس بوجوده . ناشىء من ان كاتب القصة فى أول عمره يعانى من احد أمور ثلاثة : فاما أن يترك لقدره كشجرة وحيدة على قارعة الطريق قد تدوسها الاقدام وقد تصبح دوحة ظليلة . واما ان يوضع فى يده قلم من الذهب من التدليل فلايكتب ، واما تنهال عليه السياط فينطوى ويتعقد

هذه هى الحالات الثلاث التى تظلل أقلام الكتاب فى أول عهدهم بالكتابة . لكن الحضانة الادبية من أول واجبات كل مجلة أدبية تصدر عندنا واعتقد أن مجلة (القصة) ستفعل ذلك .

الظاهرة الثانية : النسبة العكسية بين رواج قصة ما ورأى الناقد فى هذه القصة ·

وهذه الظاهرة معناها ان القارى شديد الارتباط بالكاتب بصرف النظر عن راى الناقد فيه · وانه قد لا يستجيب لرأى الناقد فى كاتب ما فيقبل على قراءته تجاوبا مع رأى الناقد ·

وارجو ألا يظن النقـــاد اننى أهاجمهم لاننى سأزيد الموقف توضيحا ·

ان الدائرة الادبية تتكون من هذه الاطراف الاربعة : الكاتب ، القصة ، القارىء ، الناقد ·

والقصة هى مركز الدائرة التى يلتقى فيهـا الثلاثة الآخرون ·

وقد يحدث أن يكون هنـاك كاتب ··· ولا قصة · فتحفظ القضية أن يكون هناك كاتب وقصة بلا قارىء ولا ناقد · فتبقى القضية معلقة وقتا ما · الى أن يكتشف الكاتب والقصة ·

أن يكون هناك كاتب وقصة وقارىء بلا ناقد · وهنا يجب التساؤل · كيف استطاع هذا الكاتب أن يخاطب هذا العدد من القراء حتى تعلقوا به ؟ وتختلف الاجابة عن هذا السؤال من فرد لفرد · ومن القارىء والكاتب والناقد · نعم تختلف وقد تحتدم · لكن الذى لا جدال فيه هو أن الدائرة الادبية تتم بوجـود الكاتب والقصة والقارىء ، وان غاب الناقد · أما الوجه الاخير للمسالة وهو وجود الاطراف الاربعة فى اتساق وتفاهم وحرص على الحياة الادبية الرفيعة ··· هذا الوجه يمكن تصوره ذهنيا ويمـكن وقوعه على صورة ما ثم انتشـــاره حتى يصبح تقليدا · وذلك فى الوقت الذى سنفرق فيه بين الجدل الفنى والجدل الشخصى والعلاقة الاخوية والقيمة الفنية والذى نعتقد فيه أن الكاتب الجاد قد يحلق وقد يسف وأن الناقد الجـاد قد يهتز الميزان فى يده بغير قصد لانه انسان بكل نوازعه وأعصابه · ثم النظرة الى العمـــل القصصى نظرة موضوعية شاملة وتحرسهـــا المسئولية الكاملة ··· عنـــدما يتم ذلك على صورة ما

ستكون النسبة (طردية لاعكسية) بين رواج القصة ورأى الناقد فيها .

ولعل مجلة القصة فيما سننشره من نقد - تفتح الباب لهذه العلاقة الطبية .

الظاهرة الثالثة : دعوى أن هناك جيلا بلا أساتذة .

وهذه الدعوى رفعها بعض الشبان ضد مجهولين أمام محكمة الرأى العام الادبية . واشتبك فى الخصومة حولها عدد من الشخصيات المعروفة وغير المعروفة .

وأنا هنا لا أريد أن أفصل فى هذه الدعوى ولكنى أريد أن أناقشها كظاهرة . وربما أدى نقاشها الى نوع من الحكم . ربما ..

بيننا الآن خمسة أجيال من الكتاب :

جيل السبعين من العمر . جيل الستين . جيل الخمسين أو حولها . جيل الاربعين أو حولها . ثم جيل الثلاثين أو حولها ..

وجيل السبعين - أطال الله بقاءه - هو تاريخيا أستاذ لهذه الاجيال لانه هو الذى خاض معركة القديم والجديد فى الادب العربى من وجهة الى أخرى .

وجاء جيل الستين فاعتبر الجيل السابق استاذاله بلا جدال ولا حتى مجرد التفكير فى الجدال لان أدباء هذين الجيلين كان لهم صفة الاديب العام الذى يأخذ تطرف من كل نوع أدبى ولم يكن وقت التخصص عندنا قد حان بعد . ثم بدأ التخصص واشتهر أمره بظهور تيمور والحكيم . ثم جاء جيل الخمسين أو ما حولها فاستقر عصر التخصص فى العلم والفن والادب . وأصبح بيننا شعراء ونقاد وقصصيون وكتاب مسرح ثم امتد هذا للجيل الرابع .

وهنا يمكن أن نسأل : هل يعترف جيل الاربعين بالاستاذية (يعنى بمجرد السبق فى التجربة فقط) لجيل الخمسين ؟ سواء فى الشعر أو القصة أو النقد؟!

وهل يعترف هذا الجيل للجيل الذى سبقه بأنه صاحب فضل فى تمهيد جزء من الطريق ؟!

الجواب : أن هذين الجيلين لم يقر أحدهما هذه

القضية بل ربما شعر أنهما جيل واحد يدينون بالاستاذية لمن سبقوهم · وذلك لاختلاف الظروف الاجتماعية والادبية بالنسبة لهم ولجيل الثلاثين الذى هو صاحب الدعوى ·

ظهر هذا الجيل من كتاب القصة فى فترة اصطرعت فيها الايدلوجيات واتخذ النقد الادبى مقعده من منصة الحكم وانتشرت وسائل الاعلام بكل اغرائها وفتنتها ومكاسبها · وأصبحت فرصة الشهرة أكثر توفرا وبالتالى كثر المتطلعون اليها · وبدأوا هم يكتبون ·

فى جو مشحون الى حد بعيد بالرغبة والخوف والارشادات والقواعد فلم يجدوا نفسهم أحرارا مع عوالمهم الخاصة وتجاربهم التى لم يعشها أحد سواهم ·

وقفوا فى مفترق الطرق يكتبون وأمام أعينهم «أسهم» تشير الى اتجاهات متضادة بعضها يحقق الشهرة سريعا وبعضها يتفق مع ميول الكاتب نفسه وبعضها يتفق مع الارشادات وبعضها مطلوب لوسائل الاعلام ·· دوامة لا يستطيع الكثير من شبابنا أن يبتعد عن مركزها لانه ان فعل عاش فى وحشة وان رمى بنفسه فيها عاش فى دوار · فأى الطريقين يختار ؟!

ولعل الدعوى بأنهم جيل بلا أساتذة ترجمة لكلمة القلق الذى يصاحب الاديب فى كل أطوار حياته حتى ولو ولد وعاش حتى مات فى مجتمع مستقر القيم · فما بالنا بمجتمع يحول اتجاهاته أو يرسى قيما جديدة على أرض جديدة ·

انهم سيجدون أساتذتهم يوم يجدون نفسهم وسيجدون نفسهم يوم يخفت فى صدورهم صوت القلق فيستمعون الى صوت القلب وكل ذلك محتاج لجو من الأمان والضمان والهدوء النسبى عسى أن يتوفر لهم ·

الظاهرة الرابعة : المدارس الادبية :

والمدارس الادبية لها مغزى أكبر وأكثر خدمة للحركة الادبية من الحرب الباردة · ولها وظيفة فى حياتنا الادبية والفنية غير العزل أو اتخاذ الموقف المشاد بصورة مطردة لاتتخلف · ولكل فعل رد فعل · وستبقى حياتنا الادبية فى هزات بين الفعل ورد الفعل الى أن نؤمن جميعا بأنه من المحال بان يكون للناس ميل واحد

ومذهب واحد ومدرسة واحدة وذوق واحد وان اختلاف في الرأى شيء والعمل الادبي لمن نختلف معه في الرأى شيء والعمل الادبي لمن تختلف معه في الرأى شيء آخر من حيث هو عمل أدبي أولا وقبل كل شيء ٠

ومجلة القصة مجـــلة كل المدارس الادبية ٠ ومن المأمول أن تكون سجلا ناميا متحركا للانتـــاج الفني والرأى الحر ٠ ومن المأمول أن يقرأها القراء فلا يخمنون مقـدما ما سيقوله كاتب في كاتب وأن تقدم باستمرار أقلاما جديدة وآراء جديدة ٠

واذا كانت المجلات الادبية ذات مهمة قيادية (ويجب ذلك) فان مهمتها ينبغي أن تكون نحـو الادب الرفيع والاماني القومية والانسانية وتحت هـــذا اللواء تكتب الاقـــلام من كل مدرســـة أدبية بحب وبصيرة ودرية ووفاق ٠

ومنذ أصبحت الصحافة ملك الشعب أيقن كل كاتب (ويجب أن يوقن) أن كل صحيفة ومجلة منه وله ٠٠ تماما مثل أرض هذا الوطن الذى قلله أجدادنا ثم تركوه ملكا لنا لنتركه نحن بالتالي ملكا لاولادنا ٠

والعظيم فينا هو الذى يترك آثار أعماله البيضاء على مرافقه الطبيعية أو العلمية أو الثقـــافية ٠ ثم يفتـــح التاريخ سجل البشرية ليقـــدم حساب جيل بين يدى جيل ٠

ورحم الله من قال :

« ما أروع الخلق ٠٠ ما أروع أن تخلق طفلا أو كتابا أو رغيفـــا ٠٠٠ ان لذة الخلق هي اللذة التي لا تعقب ألما ٠٠٠ أبدا ٠٠ » ٠

محمد عبد الحليم عبد الله

البارونة أم أحمد متولي

بقلم : محمود تيمور

البارونة أم أحمد

هي لا تدري على وجه التحديد : متى بدا الناس يدعونها ، « أم احمد »؟

لقد وجدت نفسها ، وما برحت صبية ــ تحمل هذا اللقب الذى لايطلق الا على كل من كان لها ولد

أما تلقيبها بـ «البارونة» فذلك هو الحادث الجلل فى تاريخ حياتها المديد .

نشأت يتيمة ، لا أب ولا أم ، فكفلها خال علت به السن ، يعمل ملقنا فى « المسرح الكبير » الذى عاصر التمثيل العربى فى بواكيره .

ولم يكن للخال مأوى غير هذا المسرح ، ينتبذ منه حجرة خشبية صغيرة ، او بالأحرى حطام حجرة . وكانت الصبية مقيمة معه ، يتعاونان على النهوض بأعباء العيش .

ونظرة الى هذه الحجرة التى يتخذها الرجل مبيتا له ، تريك أنها ليست الا خنا آخر شبيها بذلك الخن البارز على منصة المسرح ، حيث يقضى الرجل الساعات الطوال لأداء مهمة التلقين .

وقضت الصبية «أم احمد» مرحلة الحداثة فى جو المسرح ، جو العجائب والخوارق والتهاويل،تشهد التمثيليات، من فرجة هنا وفرجة هناك ، ووراء المناظر والاستار ، فكانما يتجلى لها عالم سحرى من عوالم الرؤى والاساطير .

ولطالما ملكها النوم ، وهى قابعة فى احدى الزوايا والاركان ، لا توقظها الا أقدام الرائحين والغادين من زملة التمثيل ، ترتطم بها على غير عمد .

وتعاقبت شهور وأعوام .

ويوما الفت الصبية نفسها وحيدة، لا « خال » لها على مسرح حياتها . لقد اختفى عنها كما تختفى الشخوص فى تمثيلية تم عرضها ، ولا امل فى أن تعود .

وفوجئت «ام احمد» بأن خن الملقن فى صدر المسرح يستقبل رجلا غير خالها المفقود ، فجعلت ترنو اليه مليا فى صمت حزين .

اما الخن الآخر ، حطام الحجرة ، فلم يأبه له احد ، فعاشت فيه الصبية على هامش الضجة التى تحيط بها ، لا ناصر لها ولا كفيل .

وكانت تتصيد رزقها من خدمات تؤديها لزيارة المسرح فاذا بدا التمثيل استكن فى الدخائل والزوايا ترقب المشاهد ، وقد استهواها ما فيها من طرافة وبريق .

وحين يخلو المسرح من اهليه ورواده، وتسوده وحشة وظلمة، تنشط الصبية « أم احمد » وتخطو على المنصة ، لا ينير طريقها الا تلك الومضات التى تتسرب الى الداخل من مصابيح الطريق.

ويحلو للصبية ان تعيد على المنصة تمثيل مشاهد مما رات، وملء جوانحها اعجاب وتيه .

وازداد بها الشغف ، فحرصت على ان تلتقط ما تسمع من الحوار المسرحى،

حتى لقد استطاعت ان تستظهر الكثير من مواقف البطلات .

وعلى مر الايام استأثر التمثيل باهتمامها كله ، ولكن ذلك ظل بينها وبين نفسها سرا حبيسا .

وباغتها ذات ليلة فنان من شيوخ التمثيل ، وهى على المنصة تعيد تأدية موقف بطولة لاحدى الممثلات النابهات ، فراعه ما تبديه الصبية من حيوية وما لبث اولاها عطفه ، وشملها برعايته .

وبدأت « أم احمد » مرحلة جديدة من حياتها فى كنف ذلك الفنان الشيخ ، وكانت يومئذ تستقبل نضارة الصبا ، ومخايل الشباب .

وامام استاذها وراعيها ، وقفت مرة تمارس التجارب الفنية لدور «البارونة» فى مسرحية « فرسان الليل » فمرنت عليه مستهدية بما لشيخها من توجيه وتبصير .

وفى احدى الاماسى قذف بها الممثل الشيخ على منصة المسرح ، وسط الاضواء الوهاجة ، فسطع لها نور مفاجىء ، تضاءلت بجانبه أنوار اخرى ، والتمع لها بريق خاطف بهر العيون .

وما أسرع ان هبت فى ارجاء القاعة عاصفة من تهلل وتصايح وتصفيق .

فى تلك الليلة احست طفلة الامس ، وفتاة اليوم ، بميلاد لها جديد ، ميلاد البارونة « أم احمد » !

ولم يلبث هذا اللقب ان شاع : الألسن تتناقله ، والصحف تتحدث به ، مقرونا دائما بهالة من الحفاوة والتمجيد .

وتصاعدت بها الخطا فى طريق الشهرة الجبار ، ودارت بها دوامة الحياة دوراتها العاتية .

وتغير كل شىء فيها ، وفيما حولها ، حتى انها بدأت تنكر نفسها ، أو بالأحرى تنكر تلك الصبية الصغيرة التى كانت تقبع كومة منسية عالقة بدخائل المسرح وزواياه ، لترقب التمثيل فى دهشة المسحور .

وامتدت بها الايام ، وهى كالصاروخ يشق أجواز الفضاء .

واحست ذات يوم ان الصاروخ قد اختل توازنه .

واذا هو يحيد عن طريقه .

واذا هو يهوى .

... وفى معزل أشبه بالمنفى ، يعشش فيه الخمول ، تراءت البارونة « أم أحمد » وحدها لا أنيس لها الا ذكريات غالية تسنح اطيافها كأنما هى رؤيا منام .

ويا لها من ذكريات .

ذكريات ماض حافل بالمغامرات العارمة ، فى دنيا الهوى والشباب ،

هذه هى الحالات الثلاث التى تظل فى أفق المجد والجاه ، فى أتون المنافسات والاحقاد .

ذكريات مختلطة متدامجة ، لا تكاد معالمها تبين فى وضوح .

ومن بين هذه الذكريات ، تتجلى لناظرها ذكرى خالدة .

انها ذكرى حبها المضطرم لفتاها البطل ، فى مسرحية « فرسان الليل » .

كان هو « فارسها » فى المسرحية ، وكذلك اصبح هو « فارسها » فى واقع الحياة .

انه حبها الاول ،

وانه هو حبها الاخير .

كم ضحت فى سبيله بعشاق من وجوه القوم ، بذلوا تحت قدميها القلوب والثروات .

لقد لبثت وفية لحبيبها المختار ، على الرغم مما كابدت من صد وهجران .

وتوارى هذا الفارس عن عينيها ، لا تعرف اية موجة طوته ، فلم يعد الى لقائه من سبيل .

... ...

... كانت « ام أحمد » تعرض ذلك الشريط الخاطف من صور حياتها ، وهى جالسة على متكئها المريح ، عن كثب من النافذة ، ترمى ببصرها فى الفضاء ، وقد تخايلت على وجهها ذى الغضون اشراقة اهتياج .

وبغتة نهضت تتأهب للأمر العظيم .

لقد زارها ، منذ قليل ، رئيس «نقابة الفنانين» ينهى اليها أن «النقابة» اعتزمت احياء حفل تكريم لها فى « المسرح الكبير » ، تقديرا لما اسدته الى الفن فى ايامها المواضى من جميل .

وكان من برنامج هذا التكريم أن تعرض « النقابة » مسرحية « فرسان الليل » ، على أن تضطلع « ام أحمد » فيها بدور «البارونة» ، دورها الاصيل الذى شيدت عليه مجدها العريض .

اما موعد هذا الحفل ، فقد اختارت له النقابة اليوم الموافق لليوم الذى اعتلت فيه « أم احمد » منصة المسرح، لأداء ذلك الدور أول مرة .

نهضت « ام احمد » بغتة تحاول ان تجمع شتات أفكارها ... من اين تبدأ ؟ لا تدرى ! بيد أن أمرا واحدا استولى على ذهنها : انها سترتقى منصة المسرح ، وان الاضواء ستسلط عليها من جديد ... وما تبالى وراء ذلك شيئا .

حسبها من الامر انها ستلتقى بجمهور المعجبين بها ، وستحظى منهم لا ريب بالاعجاب والاحتفاء .

وخطت فى حجرات الدار ، وكأنها « بارونة فرسان الليل » تتهادى على منصة المسرح ، رشيقة الحركة ، متفتحة القلب ، كريشة تميل بها نسمات رقاق .

ووجدت نفسها ماثلة أمام صوان الثياب .

عليها أن تستخرج ثوب «البارونة»، وتميط عنه غبار الزمان ، لتعيد اليه شبابه ، حتى يكون ملائما لها فى شبابها الجديد .

ولم تكد تمد يدها داخل الصوان ، حتى انصرفت عنه فى غير وعى الى صندوق القبعات ، باحثة عن تلك الجمة الذهبية اللون من الشعر المستعار ، شعر « البارونة » فى مسرحية « فرسان الليل » . وبينما هى تتفحص محتويات الصندوق احست حافزا يدفعها نحو خزانة النصوص ، لتفتش عن الدفتر الذى احتوى دورها فى تلك المسرحية،

فما اشـوقها الى ان تقرأ منه الساعة بعض فقرات .

وما هى الا ان تراجعت خطوات ، وقد انسرح بها الخاطر .

وما هى الا ان توسطت الحجـرة ، وقد علت بقامتها ، ورفت على محياها شاعرية الاقة . واذا هى تتلو مناجاة غرامية لفارسها المحبوب :

« رميت قلبى بسـهام لحظك ، فاصبت منه مقتـلا ، ثم اختفيت عن ناظرى ، فلم اعثر لك على أثر .

ترى اين انت يا «فارسى» الجميل؟

اليس من امل فى أن تكتحل عينـاى بمرآك ، فتبرد نار شوقى بلقياك ؟

تعال الى تعال ...

فما من حبيب لى سواك !

ومدت ذراعيهـا ، مطبقة الجفنين ، تغشاها غيبوبة حالمة .

واذا يدان تلامسان يديها !

واذا صوت هيمان حنون يقول :

« هانذا اعود اليك يا حبيبتى ... هانذا ارجع بعد طول مغيب !

ورفعت « ام احمـد » جفنيهـا ، امامها « فارسها » القديم ... فتى احلامها فى مسرحية «فرسان الليل».

ورنت اليه مبهورة الانفاس ، وقـد جاشت فى صدرها أشتات المشـاعر .

فى منزلها تحلم هى ، أم على منصة المسرح تمثل ؟

ولم تطـل دهشتها ، فقـد صكت سمعها ضجة بالباب ، وسرعان ماتراءى جمع من الفنـانين ، رجال ونسـاء ، يقتحمـون الحجـرة ، فى زبطة عارمة ويرددون :

« فلتحى البارونة

وليحيى فارس الليل ! »

ووقفت « البارونة » وسـط ذلك



الجمع ، وعن يمينها فتاها الاول ، تحيى فوج الزوار ، وكان بعضهم من رفاقها الذين اشتركوا فى حفلتها الاولى ، باكورة ظهورها على المسرح فى عهدها السالف .

هاهم أولاء قد تسامعوا بنبأ تكريمها ، فاقبلوا يحتفون بها ، ويعدون العدة للاشتراك معها فى تمثيل المسرحية المجيدة .

وياله من لقاء حار طريف ، توهجت فيه العواطف والاحاسيس ، وثارت لطائف الذكريات والأفاكيه .

انه لقاء وصل بين الماضى والحاضر ، وامتزج فيه الخيال والواقع ، وتشابكت فيه أمانى شتى : أمانى شباب مضى واندثر ، وامانى شيخوخة ما برح فيها رمق الحياة .

وبرز الملقن ، والرواية بين يديه ، وانتظم الجمع حياله صفا ، كانهم جنود امام قائدهم يتلقون منه الأوامر .

وبدأت على الفور تجربة « فرسان الليل » استعدادا للحفل العظيم .

...   .

وحل اليوم الموعود .

واقبلت طلائع العشية .

وبرزت « أم أحمد » بباب الدار ، فرأت مركبة خيل تنتظرها ، كما كان شأنها فى العهد القديم !

وطرحت على كتفيها شملتها الحريرية ، ذات اللون السماوى ، على نحو ما كانت تفعل من قبل .

وانطلقت بها المركبة ، تسلك سبيلها الى « المسرح الكبير » .

وكان يخيل الى « ام احمد » وهى تخترق الطريق ، أن الانظار كلما تتعلق بها . وصافحت سمعها هواتف تردد فى اكبار واعجاب :

« البارونة أم أحمد » ... البارونة ام احمد ذاهبة الى التمثيل !

وعن كثب من الباب الخلفى للمسرح ، تراءى البواب يحييها فى هيجة ترحيب .

وعجل اليها يساندها فى النزول عن المركبة .

ثم تقدمها يفسح لها الطريق ، كدابه فى الايام الخوالى .

ودخلت « البارونة » المسرح ، وتلفتت حواليها تتوسم ، منتشية بذلك العبق الذى يسطع من الاستار والمناظر وكل ما حوت القاعة .

انه مسرحها عينه ، مسرحها المعمور ، ذلك الذى تجاوبت ارجاؤه بصوتها مبتهجة تجلجل ، أو باكية تنوح .

وانساقت بها خطاها الى حجرتها ..

ها هى ذى المرآة تعلو خوان الزينة ، وها هى ذى أدوات التجميل مبسوطة أمامها تتطلع اليها فى اشتياق .

ووقعت عينها على المشجب يحمل جملة « البارونة » فى مسرحية « فرسان الليل » فاقبلت عليها تعتنقها فى هيام .

وجاء الماشط اليها يحييها فى ثرثرة مرحة ، ونشط فى اداء مهمته ، يحيل « أم أحمد » ذات الاعوام الستين الى « البارونة » ذات الاعوام العشرين .

ووقفت « البارونة » وسط الحجرة، مزهوة بحلتها الفاخرة ، وبشعرها الذهبي المتوهج ، ووجهها تتألق فيه عاطفة جياشة .

وارتفعت الستارة .

وهلت « البارونة » على المنصة فى عاصفة من التصفيق ، وطاقات الازهار تستقبلها من كل جانب .

وشرعت تمثل ، وقد سرت فيها حيوية عجيبة ، وكلما مضت فى التمثيل ازدادت احساسا بأنها تفنى فى دورها، حتى انها لم تعد تشعر الا بشخصية البارونة قد تقمصتها واستحوذت على اعماق روحها .

انها بحق تلك « البارونة » الفاتنة ... تحيا حياتها الصاخبة ، حياة الحب والمغامرة ، حياة الامل واليأس ، حياة التواصل الحلو والهجران المرير .

وحل المشهد الاخير .

فراحت « البارونة » تناجي حبيبها الغائب ، وصوتها ينم عن شجو وتدله: « رميت قلبي بسهم لحظك ، فأصبت منه مقتلا ، ثم اختفيت عن ناظرى ، فلم اعثر لك على أثر .

ترى اين انت يا « فارسى » الجميل؟

اليس من أمل فى ان تكتحل عيناى بمرآك ، فتبرد نار شوقى بلقياك ؟

تعال الى تعال ...

فما من حبيب لى سواك »

ومدت ذراعيها ، مطبقة الجفنين ، تغشاها غيبوبة حالمة .

واذا يدان تلامسان يديها .

واذا صوت هيمان حنون ، يقول :

« هاأنذا اعود اليك يا حبيبتى .

هاأنذا ارجع بعد طول مغيب » .

وما لبث أن احتواها فى حضنه ، فتشبثت به ، وأراحت رأسها على صدره .

وانطلقت انغام القيثارة ، تشدو بألحان الحب العذاب .

ومضى العاشقان ينقلان خطاهما على ايقاع النغم ، وهما فى نشوة الاحلام .

لقد عاد الى « البارونة » فارسها بعد طول شتات .

لن يكون بينهما بعد اليوم فراق ...

سيظلان هكذا متعانقين لا يفصل بينهما شىء .

سيظلان ينقلان الخطا متمايلين على ايقاع النغم ، دون انقطاع ...

لقد تحققت لهما امنية العمر ... !

واحست « البارونة » أن أوصالها يسرى فيها خدر لذيذ .

وتراخت ذراعاها ...

وملكها سبات عميق ، سبات شامل

وهبت اصوات المتهللين تشيع المشهد الاخير ، المثير !

وانسدلت الستارة وئيدا ، وئيدا.. موصول ... !

وطن الغاب

للكاتب الاسبانى
هوراشيو كويروجا
ترجمة : خيرى حماد

من منا لايعرف شريعة الغاب وطريقة الحياة فيها ٠٠ فلقد أصبحت مثلا نضربه على السنتنا دائما ، وكل ما نشاء ٠

لقد عاشت الحيوانات من متوحشة واليفة ، فى الغاب ، قرنا بعد قرن ٠٠ وجيلا بعد جيل ٠٠ يسودها الصفاء والوئام، ويسيطرعليها التفاهم والانسجام ولا يعكر هدوء هذه الحياة ورتابتها الا معارك متعجلة ، ومنازعات وقتية لاتلبث أن تهدأ ، ليعود الغاب الى مالوف عادته ، ترفرف عليه روح واحدة ، هى روح الحرية ، وصفاؤها ٠٠ وما دامت الحرية قائمة ، فالسلام مستتب وارف الظلال ٠

وهكذا خيمت السعادة أمدا طويلا على الغاب ، الى أن جاءت النحل ذات يوم نعكر صفوها ، وهى التى ألفت منها جماعات الغاب دائما شيعا من مشاعر التعالى، تحس بها نحوالحيوانات الاخرى التى تعيش معها فىوطن واحد، وتجعلها دائمة التحويم فى الفضاء منتقلة من فنن الى فنن ، تمتص رحيق هذه الا قحوانة لتنقل الى تلك تجنى منها رضابها ٠

اجل كانت النحل هى التى قطعت على حياة الغاب رتابتها ، فلقد رأت ذات يوم ، قاربا ينساب مع مياه النهر ٠٠ متجها الى الغاب ، وفى داخله انسان ، وسرعان ماصفقت بجناحيها تدعو حيوان الغاب الى التشاور فى أمر جلل ، فلما تكامل الجميل وانعقد المجلس ، راحت النحل تنقل الى الحيوانات الاخرى ما رأته ، وتقدم اليها تقريرا عن الاعمال التى قام بها الانسان منذ وطئت قدماه أرض الغاب ٠

وقالت القطة وهى تومىء بعينيها الى الساحة التى اختارها الانسان وسط الغابة مقرا لسكناه ٠٠ وماذا يهمنا من أمره ، انه مخلوق طيب ، وانا أعرف من يكون ٠٠ انه الانسان ٠

وقال السناد ، وهو حيوان لا يقل فى ضخامة حجمه عن الفيل ٠٠ وأى خطر نخشاه من هذا المخلوق ٠٠ وهو لايعدو ان يكون صاحب ساقين ليس الا ٠ ؟

وانبرى النمر يرد عليه قائلا ٠ ٠ ولكن معه بندقية وفى وسعه أن يقتل بها عددا من السناد ٠

فقال السناد فزعا : اذن ماالعمل ؟ أرى أن نفر من طريقه ، ونهرب ٠

ورد النمر وقد تجهم وجهه ولماذا نفر أو نهـــرب ؟ ألم يختر هو العيش فى الغاب ٠٠ انه حر ٠٠ وفى وسعه أن يقتلنا ، كما ان فى وسعنا أن نقتله ٠ لا ٠٠ لا لن نهرب بل يجب أن نبقى ٠

وقال الثعبان ٠٠ أجل لن نهرب ٠٠ وسنبقى ٠

ورددت أرجاء الغاب، هتاف الحيوانات وهى تعلن التصميم على البقاء ، والحياة فى الغاب ٠

وهكذا عاش الانســـان والحيوانات جنبا الى جنب ، فى الغاب الذى لايعرف الحدود ، ولا يعرف القانون ولاالشرائع الا شريعة القوة ٠٠ فكل من فيه عرضة للقتـــل ، وعرضة للهجوم ، ومع ذلك ، فكلهم يعيشون فى هدوء ودعة وأمان ٠

وانقضت سنوات طويـــلة ، ومضى الرجل عن الغاب وكانت جماعة الحيوان قد راقبت ماقام فى استعداد للمضى فى رحلته٠ ابصرت به وهو ينزل قاربه الى الشاطىء ثم يمضى بعد عبر الغابة هابطا



مع النهر واحترمت جمــاعة الحيوان منزل الرجل ومعداته ، علم تغر عليهـا بعد رحيله ، اذ اعتبرت أن ضـــياع ذلك الجزء الصغير من الغابة ، لم يؤثر كثيرا على نفوذها الواسع الحدود فى مملـــكة الغاب ٠

لكن النحل ، لم تحترم عزلة هـــذا المنزل الهادىء الوديع ، فى وسط الغاب فاقتحمته مع أشـــــعة الشمس ، عبر النافذة المفتوحة ، وعرتها الدهشة من كل ما رأته فى البيت من عتاد ومتاع ٠

ودأبت النحل على اقتحام البيت فى كل يوم ، وفى ذات صباح سقط كتاب من أحد الرفوف وانفتحت صفحـــاته أمام النحل، فقرأت٠٠ وقرأت٠٠ واستوعبت ما ضمنته هذه الصفحات من حكمة الرجل ثم عادت طائرة الى الغابة ، وقد استفزها الفرح والنشـــاط ٠٠ ودعت جمـــاعة الحيوان الى اجتماع عاجل ، ثم بادرت الرفاق قائلة : لقد عرفنا الآن ما يتحتم علينا ان نعمله ٠٠ لقد تعلمنا حكمـــة الانسان وعلينا أن نتخذ لنا وطنا ، ان الانسان متفوق علينا ، لانه صاحب وطن وعلينا أن نحذو حذوه ٠

وعرت الدهشـــــة وجوه الحيـــوانات التى لم تفهم ما قالته النحل ، وما فيـــه من حكمة ونفع ٠٠ وراح النمر يتساءل ولماذا يكون لنا وطن ؟

فردت النحل ٠٠ لـــكى نكون أحرارا فلكل حر وطنه ، ولـــكنكم لا تفهمون ما يعنيه الوطن للاحرار ، لانكم لا تفهمون معنى التوالد العذرى الذى نفهمه نحن٠ ونحن كالانسان ، سواء بسواء ، دعونا نقيم لنا وطنا كوطنه، لنكون فيه أحرارا

وردت الحيوانات كلها بصوت واحد :



ولكن ألسنا بالاحرار الآن ، فقالت النحل ٠٠ لا ، وليس هذا هو موضوعنا اننا بحاجة الى بلاد؛ فأني وطنكم؟ وهل لاي منكم بلاد ؟ ، فلا معنى للحرية ، اذا لم يكن لكم بلد أو وطن ٠

وسكتت الحيوانات على مضض ، فهي لاتستطيعان تفهم لانماتقوله النحل فوق مستوى عقولها المحدودة ٠ وأمسكت الببغاء بالاغصان ، وطاطات براسها الى الارض موافقة على فكرة النحل ، وسرعان ماانتقل الهمس من حيوان الى آخر ، وعم التجاوب معالفكرة واتخذ القرار باقامة الوطن ٠

وعهدت جماعة الحيوان الى النمل والنحل بتأمين المطلبين الاساسيين للوطن وهما الحدود والراية ، فاختارت النحل الوان «قوس قزح» لتكون الراية مؤلفة منها ، وسرعان ماتولت نسجه ورفعته مرفرفا فوق الغابة رمزا للوطن الحر ٠

وشرعت النمل في اقامة الحدود ، ولم يمضطويل وقت حتىكانت الاسوار ترتفع ثمرة الجهد المضني حول الوطن وتولت العناكب احاطة سقفه بسياج من نسيجها ٠

وعاشت الحيوانات داخل هذهالاسوار مرحة ، يوما بعد آخر ٠ ودأبت على ارتقاء الاسوار يعلو صوتها بالنشيد والغناء، بينما يرفرف العلم فوق الوطن الحر ، الذي منع على الحيوانات الغريبة الدخول اليه ٠

وتعاقبت الشهور ، وخفت الحماسة وضعفت بصورة متدرجة واخذت الحيوانات تقف علىالاسوار ، متطلعةالى

الخارج ، تحرمها اللهفة ، ولكنها لاتلبث أن تسرى عن نفسها بأن البلاد بلادها ، وان لانظير لها ولا لاسوارها ، وان عليها أن ترضى بها وطنا سعيدا ، ومستقرا آمنا لها .

وأحس النمر ، وكان أكثر الحيوانات فرحا بوطنه فى البداية ، بشعور غريب يستبد به ، انه يشكو الظمأ لاول مرة فى حياته ، فهو يشرب ويعب الماء عبا ولكن الماء لايروى له غليلا ، ولا يطفىء له عطشا ، انه يحس بجفاف مرعب فى حلقه ، لايدرى له سببا ، وسيطر عليه القلق ، واستبد به ، وظل يخطو من مكان الى آخر ، داخل أسوار الوطن .

وسرعان ما انتقل هذا القلق الى الحيوانات الاخرى ، فهى لا تهدأ ولا يستقر لها قرار .

وجاءت نحلة من الجنوب ذات يوم تقول .. ان الرجل الذى غادر الغاب قد مضى الى الحرب مدافعا عن وطنه .. وقالت للحيوانات ، انه عندما يعود ، سيوضح لها سبب ما نعانيه من ضيق ، فنحن نفتقد شيئا ، ولا ريب فى أنه يعرف مانفتقد ، فهو يحارب دفاعا عن وطنه منذ أربع سنوات ، ولا بد له أن يؤوب ، فلننتظر أوبته .

وتلهفت جماعة الحيوان لعودة الرجل الا النمر ، فلقد كاد الظمأ يقتله .. وأخيرا عاد الرجل الى بيته المهجور .. يقوده ولده الصغير من يده .

وقال الغراب عندما رأى الرجل والطفل يقوده .. أنا أعرف ما حدث له فلقد سبق لى أن رأيت رجلا مثله .. انه أعمى ، لايرى شيئا ، ولذا فهو فى حاجة الى ولده ليدله على طريقه .

أجل لقد عاد الرجل مريضا وقد فقد بصره ، واعتكف فى منزله أياما لايبرحه وأخيرا ، خرج فى ليلة دافئة يجلس أمام منزله ، وقد لفته الغابة الكثيفة بأشجارها الباسقة ، المرتفعة الى السماء ، التى رصعتها النجوم ، وراح نسيم الليل الدافىء يداعب وجنتيه .

وأحس الرجل الضرير ، انه ليس وحيدا فى هدأة الليل . ولم تمض لحظات ، حتى سمع صوتا يبادره من أعماق الظلام قائلا .. لقد أقمنا وطنا ولكننا لاندرى ما نفتقد ؟ ولقد كنا ننتظر أوبتك بفارغ الصبر لتشرح لنا ما نعانيه والعلة فى ما نحس به من آلام ، قل لنا بربك .. لم نحس بالتعاسة؟ لقد دافعت عن وطنك سنوات أربع ، ولا ريب فى أنك تعرف سبب شقائنا . فلم لاتدلنا عليه .

ومضى الصوت المتردد يتلو على مسامع الرجل كل ماحدث فى غيبته ، وأحنى الضرير ، هامته قليلا ثم رفع رأسه ، وانطلقت الكلمات من فيه بهدوء ورصانة قائلا .. نعم .. فى وسعى أن أبين لكم سبب شقائكم وتعاستكم .. ان الوطن الذى أقمتموه ، لاينقصه شىء ، وليس فيه مجال لمزيد من التحسين ، لكن كل ماحدث هو انكم باقامتكم حدودا لهذا الوطن ، أضعتم بلادكم وحريتكم .

وشعر النمر ، ان ظمأه قد انتهى ، وان حلقه الجاف قد ترطب بشىء بارد وانبعثت من أحاسيسه موجة دافقة من الحرية الكامنة العنيفة ، وانفجر بصوت راعد ، هو الزئير بعينه يقول .. حقا هذا هو الصدق كل الصدق . لقد فقدنا حريتنا .

ومضى الجندى يقول .. أجل ، لقد

بنيتم لانفسكم سجنا ، فقد كنتم أحرارا بلا حدود ، لكنكم أضعتم حريتكم ٠ ٠ عندما أقمتم لانفسكم حدودا ، فبلادكم ليست هذه الرقعة الصغيرة من الارض، ولا شاطىء النهر ، وانما الغابة كلها هى بلادكم تماما كما ان بلاد الرجل هى ٠٠

وهنا توقف الرجل عن الحديث ٠٠ فقد سمع صوتا ساخرا ٠٠ يسائلهلاول مرة ، ولم يكن قد سمعه يتحدث من قبل ٠٠ وما هى بلاد الرجل ؟

وتريث الجندى لحظة ثم استدعى ولده البالغ من العمر ثمانى سنوات ٠ واقعده في حضنه ثم شرع يقول ٠

أنا لاأعرف هذا الصوت الذى وجه سؤاله الى ، ولا أعرف اذا كان من أهل الغابة أولا ، ولكنى سأجيب على سؤاله على اى حال ٠٠ اجل لقد حاربت دفاعا عن بلادى أربع سنوات ، وفديتها بدمى وبحياتى ٠٠ وها أنا اخاطبك يا ولدى وقد لاتفهم ممـــا أقوله الكثير ، فأنت مازلت فى نعومة اظفارك ، ولكن شيئا مما سأقوله لك ، سيظل حيا في قرارة نفسك ، يشب معك كحلم ، لا تلبث أن تذكره عندما تصبح فى عنفوان الشباب

الوطن ياولدى، هو خلاصة كل مانحب فهو يبدأ من النار التى نتحلق فىالدار حولها لنصطلى بدفئها ، ولكنه لا يقف عندها ٠ فالصديق الصدوق الذى نحبه لا يجلس معنا الى تلك النار ، كمـا لا يجلس اليها معنا ، ذلك الرجل ذوالقلب الكبير الذى نجله ونحترمه ، ولايجود به التاريخ الا جيلا بعد جيل ، ولا يضـم مجلسنا ذلك الفيلسوف الذى يبعثفينا العزم كلما لحق بنا الاجهاد فى كفاحنا المضنى ، ولا الحبيبة التى نتعشقهـــا

ولكن أينما يوجد هؤلاء الناس الذين يشتركون فى حبنا ، أى أرض يقيمون فيها وأى نسيم يعبون منه ، هو أرضنا ووطننا وهواؤنا ٠

فكل شبر من الارض يقيم فيه انسان ذو نية صافية طيبة ، هو جزء من بلادنا فالوطن حب لا واجب ، والمدى الذى تصل اليه الروح ، هو جزء من هـــذا الوطن ٠

وما نعتبره شرفا ونبلا فى هذا الجانب من الحدود ، قد يكون كذلك فى الجانب الآخر ٠٠ فالنهر طريق يصل بيننا وبين من نحب ، والرجل الذى يفلق قلبه عند احد الانهار ، يحيل هذا القلب الىسجن مقيت ٠

ضع ياولدى حدود بلادك بدماءقلبك، فكل ما يخفت من قلبك خفقانه ، سواء كان قريبا منك ، أو على بعد ألف ميل هو غريب عنك ٠

وتعتمد قوة بلادك على قيمتك ، فقطعة الارض لاتساوى شيئا اكثر من الرجل الذى يخطو عليها ، وعندما يختزنفؤادك بحرارة حب ذوى القيم الحقيقية ، دون اكترات بنسبهـــم أو أهلهم ، فآنذاك تصبح بلادك ، وهى خلاصة حبك البلاد التى لامثيل لها فى العالم ٠

واذا ماشهدت يابنى قبسا من الحب والعدالة أو شهابا ، فاتبعه اتباعا أعمى وذلك لان بلادك هى جماع هذه اللمح أو القبسات ، واذا رأيت أن العدالة قد ديست فى بلادك ، وان الخير قد امتهن، فانسحب منها كوطن لايليق بك ٠ ٠ واذا رأيتنى ، أنا والدك الذى طالمـــا آمنت بى، ارتكبت خطأ، فأخرجنىبعيدا من فؤادك ، مع اننى أنا الذى كونتـك

وتوليت تنشئتك ورعيتك ، أعز اليك من بلادك ٠

وانني أحذرك من بضع كلمات قد تسمعها أحيانا ، وهي أن المثل الأعلى للبلاد يرتكز على المنطق الجاف ، وينوو مع العاطفة ٠

كلا يابني ٠٠ وألف كلا ٠٠ انه المنطق الجاف الذي يقـــاتل في المعنى الحقيقي للوطن ، فيجعل منه أنانية قاسيـــة ، والعقل وحده هو الذي اخترع للحدود والجمارك والحواجز فائدة ، وهو الذي حصد المثال الأعلى للوطن في نطـــاق المنفعة وشـوه الطريق الطبيعي للوطن وتفكير العقل السقيم هو الذي شـوه المنطق ، فجعلنـــــا نتآخى مع الغريب ونبتعد عن الغريب ٠

ان الوطن الذي يرتكز الى مثل هذا المنطق ، يدمر كل احساس ، واذا نبعت العاطفة الوطنية من الحب ، وكان الحب تلهفـا للحصول على مثـل أعلى ، فوطن كل انسان ، يمتد الى أبعد الحـدود ، حتى يجد خطا يوقف امتداده ، والبشر ذوو القلوب العمياء هم وحدهم الذين يستطيعون بلوغ الرضى داخل حـدود معينة وتحت خفق راية واحدة ٠

ويحدد العقل الوطن ، بالاراضي التي يشملها ، أما الاحساس ٠٠ فيحـــدده بقيمة الناس الذين يعيشون فيه ، وكل رجل ينسجم في دقات فؤاده ، مع دقات فؤاد أخيه الذي قد يكون بعيدا عنه ٠٠ وكل رجل يتالم لحيف يقع مهمـا كان بعيدا ، يملك ذلك الشيء النادر النقي ، وهو المثل الأعلى ، وهو وحده ، يستطيع أن يفهم الاخوة السعيدة التي تربط بين البشر ، وهي الاخوة التي تقيم الوطن الحقيقي ٠

تذكر هذه الاقوال ياولدي ، عنـــدما تكبر وتشب عن الطوق ٠

وتوقف الرجل عن الحديث وتفرقت الحيوانات التي ظل الصمت يلفها طوال حديثه ، وقد اهتزت مشاعرها ، ولكن أيا منها لم يعد الى الوطن الذي ابتدعته ففي تلك الغابة الفسيحة ، يقوم السلام الذي خسرته ، وتوجد تلك الحرية التي افتقدتها ، ونحو هـــذا السلام وتلك الحرية ، مضت الحيوانات ، بعـد أن دمرت الحواجز التي أقامها النمـــل ، ومزقت نسيج العناكب ، ونشرت راية النحل ٠

أما الغراب وهو المعروف بحكمته، فقد أدار راسه من ناحية الى أخرى وتفرس في الجندي الضرير قائلا ٠٠ هذا حسن وجميل ٠٠ ولكن الرجل الذي حـارب طويلا من أجل بلاده ، ثم جاء يتحـدث بمثل هذه الاقوال ، لا يستحق أن يظل حيا ٠٠

ومضى الغراب مصفقا بجناحيه ٠

وحقا ، فقد مات الرجل بعد ايام ٠٠ ولكن شيئا منه ظل حيا ٠٠

لقد ظل ولده يتذكر أقواله ، ليعيش في المستقبل رجلا حرا ٠

الخل

بقلم : ثروت أباظة

تفضل يا سيدى بالجلوس . لا لن تجد منضدة خالية . ان المقهى الآن بالذات لا تخلو فيه منضدة . لعلك لا تعرف هذا المقهى يا سيدى ، انه مقهى الموسيقيين وافراد الكورس وهم الآن يتناولون غداءهم ليعودوا الى الاذاعة وهكذا تجدهم يزحمون المقهى . فى هذا الوقت بالذات يزحمون المقهى . ثم هم اذا فرغوا يجلسون هنا ايضا ليجدهم من يريدهم فى عمل ... لماذا تظل واقفا يا سيدى ... تفضل يا سيدى بالجلوس . لا . لاتندهش انى كلمتك دون سابق معرفة فانى كثيرا مارأيتك ، وجهك مألوف بالنسبة لى . ثم انك ستسدى الى معروفا كبيرا اذا جلست فانى اريد أن أتكلم ... اريد أن أقول وكل هؤلاء سمعوا ما اريد أن أقوله ولكنى مع ذلك اريد أن أقوله مرة اخرى تفضل بالجلوس واعدك أنك لن تشعر بالملل فحكايتى ـ على كل حال ـ لاتجلب الملل ... شكرا ... والآن هل تأمر بقهوة أم بكازوزة ... أنا الذى سادفع فانه يسعدنى ان اجد من احكى له ... لا شك انك تريد عبد المنعم قاصد ... انت شاعر

وهو يلحن لك ... اليس كذلك ... نعم انا متأكد .. سيأتى عبد المنعم حالا .. كازوزه ؟ حسنا ... ياكوشه · ياكوشه · زجاجة كازوزة وحسابها عندى· وعجل ياكوشه اتريد أن تسمع الآن · أولا أحب أن اعرفك بنفسى . انا ياسيدى جزء على عشرة من انسان واحيانا انا جزء على عشرين من انسان واحيانا . ولكن قليلا ما أصبح جزءا على ثلاثين من انسان · وعلى كل حال أنا لست انسانا كاملا لم أكن كذلك فى يوم من الايام · تصور أننى حتى وأنا فى بطن أمى كنت نصف انسان . نعم ان لى أخا توأما شاركنى المكان الوحيد الذى كان يمكن أن اكون فيه انسانا كاملا ، واحدا صحيحا · وحين نزلنا الى الحياة ظللت أحس أننى لست انسانا كاملا . العجب أن هذا الشعور لم يكن يراود أخى أبدا كنت أسأله :

ـ اتحس انك انسان كامل

فكان يقول فى عظمه بلهاء

ـ كامل ونصف

يظهر أن الشعور بالكمال تسرب اليه ونحن فى بطن أمنا ولم يبق لى منه شىء ·

وأكدت الحياة معنى هذا النقص فى نفسى ، لم أنفرد بشىء أبدا ، كنا اذا أكلنا تقاسمت أنا وأخى الطعام ، واذا ما اشترى ابى لى شيئا كان لابد ان يشترى نفس الشىء لأخى كنت أخشى أن ينسى يوما ويحضر لى فردة حذاء ولاخى فردة حذاء · وذهبنا الى المدرسة . وكان اخى ذكيا يحسن المذاكرة ويحسن الاجابة على المدرس ويحسن الاستماع ويحسن أن يجعلهم يقولون عنه انه تلميذ ممتاز . وكنت فى أولى عهدى بالمدرسة مثله · ولكن حين تقدمت بى السن والدراسة بعض الشىء نبتت فى رأسى فكرة لا ادرى مأتاها ··· جميع الافكار تأتى من حيث لا ندرى ولكنها تؤثر فى حياتنا حتى نهاية الحياة ... مصاير الانسان يا سيدى مرتبطه بفكرة كهذه الفكرة التى نبتت فى رأسى ونفذتها .. تصور ياسيدى مجردفكرة طيف من ظن ، لمحة من أوهام ، ظل من رأى ، مجرد

فكرة فاذا أنا الذى ترانى اليوم واذا أخى - والعقبى لآمالك - مدير خطير يحرك بسبابته عشرات من الكيانات البشرية من أمثالى ... كانت فكرة ياسيدى ... لا .. لا أريد أن أكون مثل أخى أريد أن أكون .. انا .. انا ... انا ... فقد بحثت عن انا هذه كثيرا وقررت -مادمت لم أجدها- أن أخلقها أنا... وخلقتها يا سيدى فاذا هى هذا المخلوق الشائه الزى تراه الآن امامك .. جزءامن عشرة من انسان او جزءا من عشرين او جزءا من ثلاثين ... كانت فكرة مجرد فكرة ... كثيرا ما تطوف بأذهان أقوام لكنهم لم ينفذوها ، وانما أنا ... أنا ... نفذتها ... قلت فى نفسى لن أكون صورة لاخى ... لا لن اكون ... ساكون انا منفردا فى كيانى لا أماثل هذا الاخ فيما يسعى اليه من آمال ولا فيما يسير فيه من طريق ... لأكن شبيها له فى الخلقة ولكنى لن اكون شبيها له فى الامال والاحلام .. كنت قد مليت أن أكون نسخة كربون من أخى ... كانت فكرة .. لو تركتها تذوب مع الافكار الاخرى التى تراود عقلى ، لو أنى لم اتمسك ... لو .. بغيضة « لو » هذه ياسيدى الشاعر اليس كذلك ... اتعجبك « لو » هذه ياسيدى ... انها لفظ الحسرة على ما فات والالم على الماضى .. لفظة لا تحمل الا اليأس ... لعلك تحبها فى شعرك لا انها تعطيك الفرص للظهور بمظهر الحزين الاسى ... هذا المظهر الذى يحب الشعراء دائما أن يتخذوه ... اكره انا « لو » هذه ياسيدى ... لو كنت تركتها تذوب لكان شأنى غير شأنى ... المهم أنى نفذتها... اهملت المذاكرة وكنت أجاهد الا التفت فى الحصة وأجاهد ان اجعلهم يقولون عنى تلميذ فاشل اتعرف ياسيدى أننى لم الاق النجاح الا نادرا فى حياتى ... اقول نادرا لاخادع نفسى ... الحقيقة اننى لم الاق النجاح الا فى هذه المرة ... نجحت يا سيدى فى ان اكون تميذا فاشلا ... نجحت فى ذلك نجاحا جعل أبى ينتهى الى اليأس الكامل من ان أكمل دراستى... وأخرجنى ...

كان يومى الاول مع الفراغ وزملائى فى المدرسة يوما عجيبا بالنسبة لى ياسيدى حتى لقد خطر لى أن

اعدل عن فكرتى واعود الى مدرستى ولكن هذه الفكرة ... فكرة العدول يا سيدى سرعان ما ذابت وتلاشت ورحلت الى حيث لاادرى ولايدرى احـد .. أتعرف أين تذهب الأفكار ياسيدى ... لاماأظنك تعرف ، بل ماأظن أن احـدا يعرف . قضيت اليوم وحيـدا ، ولكنى كنت فردا ... شعرت بالتوحد . لم أجـد نفسى بين صفوف التلاميذ ولا وجدت نفسى جزءا من جماعة ، بل وجدت نفسى فردا كاملا . ولكن لسبب لاادريه لم اشعر بهذه الانفرادية وانما شعرت بالضياع ... كم هو مر مذاق هذا الضياع ياسيدى حتى لقد اضاع على شعورى بالتفرد .

وكان لى زميل سبقنى الى الطريق فذهبت اليه فوجدته قد حقق آماله فى كمنجة يحملهـا وتخرج له أنغاما ٠ وكان سعيدا ، وأصبحت فى أيام افلاسى وأنا لاعمل لى الا أن استمع للموسيقى التى ترسلها كمنجة صديقى الذى سـبقنى الى الطريق ... لا لم اكن حينذاك اقدر النغمه الحلوه ولا النغمه الرديئه . وانا كنت استمع ... اتشرب فنجان قهوه ... يسعدنى ان اقدمه لك٠٠ اتشربها مضبوطه٠٠٠ ياكوشة فنجان قهوه مضبوطه .. لا .. لا تشكرنى ... فانه يسعدنى ان اقول ... خيل الى بعد حين أننى استطيع ان افهم النغمات ، ورحت اسـتحسن موسـيقى صديقى ، وشـيئا فشيئا واتتنى الجراة أن أدندن وما لبثت أن غنيت ... نعم كنت اغنى مع موسيقى صديقى وقال صديقى الله وحين سمعتها وجدت « أنا » التى كنت ابحث عنها ... وجدت نفـسى احس بالتفرد ياسيدى اصبحت اغنى واجد من يقول الله ...

وتمسكت بلفظة الاستحسان هذه واسترسلت .. غنيت ، وكان صـديقى يدعو بعضـا ممن يعـرفهم ويعزف هو واغنى انا ... والعجيب ياسيدى انهم كانوا يقولون الله ... لاادرى اى دافع كان يبعثهم الى قولها .. اصبحت الآن لاادرى ... اما فى ذلك الحين فقـد كنت واثقاان صوتى وخيم .. كنت واثقاياسيدى.. ولاادرى كيف استطاع صديقى أن يدبر لنـا ليلة نغنى فيها فى فرح ... فـرح كامل يجلس فيـه المدعـوون

والعريس والعروس واغنى انا ويعزف هو على كمنجة ويعزف آخر على عود وبوق ثالث على طبلة ٠٠ وأغنى ... وغنيت ياسيدى وقال الناس الله ... لا لم يكونوا ساخرين ... قالوا الله ولكن ماأقل ماقالوها ... ان هى الا دقيقة او اثنتين واذا بالكراسى تقذف الينا واذا الفرح يصبح ميدانا للمصارعة واذا نحن واهل المغنى والموسيقى نتلمس مخبأ نحتمى فيه ولكن كأنما كان المدعوون لا يريدون أن يضربوا أحدا الا العازفين ٠

نجونا بحياتنا ولكن لم ننج من الجروح والكدمات ضع القهوة هنا يا كوشه٠٠٠ هل الماء بارد٠٠٠ شكرا ياكوشه ... العجيب ياسيدى ان هذه الحادثة كانت تتكرر فى الافراح التى ندعى اليهابطريقة منتظمة لاتخطىء ٠٠٠ لم نكمل حفلا أبدا ٠ يئست يا سيدى ٠ وكفرت بالتفرد وكفرت بنفسى وكفرت بكل شىء الا السماء .. اتعرف ياسيدى ان فكرة الكفر بالسماء لم تخالجنى ابدا ... ان عقلى لايتصور أن السماء تتركنا ، كما لايتصور عقلى أن يكون هذا الكون البديع من غير خالق ولايتصور عقلى أن تكون هذه الدنيا هى نهاية القصة .. انا مؤمن بالله وبالحياة الاخرى ، ولم أفقد ايمانى هذا فى أشد الاوقات حلكة وسوادا . مات ابى ياسيدى وانا اقطع طريقى فى الفشل . وازدادت الدنيا سوادا امام عينى ولكنى لم اكفر بالله ... وفجأة قال صديقى صاحب الكمنجة انه تعرف على شخص يستطيع أن يجعلنى اغنى وحين سألته « ولايضربنى المستمعون » قال « ولايضربك المستمعون » قلت «كيف ؟» قال « ستغنى فى كورس » كورس !؟ واعود شخصا غير كامل مرة اخرى ... طلبت اليه الا يذكر هذا العرض امامى ... طلبت منه ذلك فى صلف وكبرياء .. ولكن قليلا مادام هذا الصلف وذلك الكبرياء ... كان ابى موظفا وكان يعولنى وهو حى ولكنه حين مات لم يترك لى شيئا الا خوفى ان اشعر باننى انسان لايكتمل الا بغيره ، جعت ياسيدى فذهبت الى صديقى ولم ينتظر ان اطلب .. يبدو ان منظرى وحده كان كافيا ، واصبحت احد افراد الكورس اغنى مع غيرى ولايتبين احد صوتى انما أنا صدى بين الاصداء ظل يختلط بظلال جزء من عشرة

او عشرين أو ثلاثين من انسان ... انسان لايعرف جنسه فهو خليط من رجال ونساء واطفال احيانا . ولكنى لم أعد جائعا وان عدت الى شعورى بعدم الاكتمال لا ياسيدى ان قصتى لم تكتمل . كنت ياسيدى ملزما ان أشترى بدلة سهرة ... كنت ابدو فيها انيقا . فحين كنت أغادر منزلى وأنا لابسها تسارع بنات الحارةالى النظر من الشبابيك وكنت أحس بالزهو فى داخلى ... زهو سرعان مايزاملنى حين أجد نفسى أكمل الانسان الظل فى الحفل . ولكن فتاة من بين أولئك الفتيات اعجبتنى وخطبتها وتزوجتها وعشنا معا سعداء أول الامر ... لم تكن تعرف معنى اننى كورس ... لم تكن تتصور أننىجزء منظل انسان···حتى جاء التلفزيون فكانت ترانى فيه ...اجل اشتريت جهازافيمن اشترى فلملك لاتعرف ياسيدى ان مهنتى تدر على ربحا لابأس به ... اترى السيارة التى هناك ... هى قديمة نعم ولكنى املكها ... رأتنى زوجتى فى التلفزيون ... رأت المهنة التى امتهنها ... سيدى عدت يوما من احدى الحفلات فوجدت زوجتى قد غادرت البيت وحينذهبت اليها أحاول ارجاعها .. قالت أريد شخصا موجودا لا ضائعا خافيا لايبين ... أريد انسانا لاجزءا من انسان ··· ما حزنت يا سيدى ·· لقد تركت أنا فترة الحزن من زمن بعيد .. انما أقص عليك لانى لم اعد اجد حزنا فيماأقص ... لا سيدى انالست سعيدا وانما أنا قانع ... لاتصدق ياسيدى أن السعادة هى القناعة ... وانما القناعة هى الشقاء ... هى ركود ياسيدى ولكنى أرتضيه ... أرتضيه لانى لاأملك له دفعا ولاعنه حولا··· ماذا ياسيدى الا تنتظر عبدالمنعم قاصد .. لابد انه قادم الآن ... لابأس ياسيدى ... أمرك ... سأخبره بقدومك ... مع السلامة ياسيدى ... مع السلامة ... ياكوشة ... ياكوشة كم تريد .. نعم كازوزة قهوة ... وهذه خمسة قروش لك ياكوشة شكرا ياكوشة .

القصة فى الأدب الانجليزى

طه محمود طه

١ ـ التربة والجذور :

القصة رواية نثرية خيالية ، وكلمة « القصة » لاتستعمل بدقة فى اللغة الانجليزية وهى انما تعبر عن انواع كثيرة من الانتاج الادبى ، وكثيرا ما يتسع التعريف ليشمل قصصا منظومة وانواعا جديدة من النثر الخيالى القصصى . وقد استعملت الكلمة بادىء ذى بدء بمعناها الشائع الآن فى القرن الثامن عشر الميلادى وسرعان ما حلت محل كلمة «الرواية» او ما يعرف بالرومانس

وجدير بالذكر ان الفرق بين الكلمتين لم يحدد تحديدا دقيقا ، فبينما نجد ان الرواية قد تطلق على اعمال أدبية قصصية ، شعرية كانت أم خيالية بالرغم من اختلاف الاسلوب النثرى المستعمل وهو يتأرجح مابين الاسلوب الواقعى البسيط والاسلوب الشاعرى المعقد . أما من ناحية الشكل اوالصورة فلم يتحدد بعد مفهوم القصة من ناحية طولها تحديدا دقيقا وايا ما كان الامر فانه يمكننا ان نرتب انواعها المختلفة ترتيبا تنازليا من حيث طولها على النحو التالى : اولا : القصة ، ثانيا القصة الموجزة .

وهى اقصر من القصة القصيرة . ثالثا القصة القصيرة وهى اقصر من القصة الموجزة واطول من الاقصوصة ولاتحلل الشخوص تحليلا دقيقا وانما تعالج شخصية او حادثة واحدة . رابعا الاقصوصة وهى أقصر انواع القصص ولاتحتمل التحليل الدقيق للشخوص او الحوادث وانماتعطى رسما «كروكيا» لشخصية أو حادثة ما وتكتب بأسلوب سهل . ويطلق على هذا النوع احيانا . او رسوم الشخوص .

وقد كان كتاب القصة الاوائل يعتبرون القصة سردا واقعيا للاحداث سواء اكانت هذه الاحداث حقيقية او مختلقة ، وينظرون الى الرواية على انها نتاج ارستقراطى يوحى بالهروب من

الواقع والعيش فى عالم القيم والمثل العليا والشهامة والفروسية والحب . فالقصة فى القرن الثامن عشر مثلاكانت ثورة على قواعد وأصول الرواية من حيث الموضوع والشكل وكانت تكتب للطبقة الوسطى لتعبر عن أمزجتها وخلقها وآمالها وآلامها ونظرتها الى الحياة والحقيقة . والقصة الحديثة مدينة بالكثير لما سبقها من فروع الادب المختلفة ، شعرية كانت أم نثرية ، وخاصة التراث الاغريقى والرومانى . وان كان الشعر قد سبق القصة فى الظهور غير أن الشعر والنثر القصصى يشتركان فى شىء واحد وهو «الحكاية» أو « الحدوتة » . فالأوديسة ملحمة اغريقية شهيرة ومع ذلك نجد الكاتب الايرلندى جيمس جويس فى القرن العشرين يستعمل حوادثها وحلقاتها كهيكل ضخم يبنى عليه أحداث قصته المشهورة عويلس وهى تعالج ثلاث شخصيات علاجا مستفيضا فى خلال ثمانى عشرة ساعة فى مدينة دبلن . وللآن لم يستقر النقاد على رأى بشأن اطلاق كلمة « قصة » عليها .

ويطلق القصصى فيلدنج فى القرن الثامن عشر على قصته جوزيف أندروز التعريف الغريب التالى : «ملحمة هزلية منثورة» .

ولا توصف الملحمة بأنها هزلية ولا منثورة ولكنه تحايل من الكاتب لكى يضرب عصفورين بحجر واحد: التخلص من نفوذ القدامى مع التظاهر باتباعهم، ومحاولة خلق تعريف جديد للقصة . وقد حافظ فيلدنج الى حد ما على وجه الشبه بين تركيب القصة والملحمة من ناحية الشخصيات والحوادث ولكن المحاكاة كانت ضعيفة .

وجذور القصة بوجه عام تمتد الى آلاف السنين ، وقصة القصة ليس لها بداية أو نهاية . فنحن نجد القصص فى أدب قدماء المصريين وفى «البانشانترا» وهى مجموعة من الاقاصيص على ألسنة الحيوان على غرار كليلة ودمنة ترجع الى القرن الرابع الميلادى أو ما قبله وفى الادب الاغريقى فى حكايات ايسوب فى القرن الخامس قبل الميلاد وفى مجموعة حكايات ألف ليلة وليلة .

والقصة فى الادب الانجليزى غنية غنى اللغة نفسها وفى الوقت نفسه أداة طيعة وتعبير مرن ، تطورت بمرور الزمن ، ففى الوقت الذى تضع لنفسها الأسس والقواعد والقوانين نجدها تخرقها وتحيد عنها اذا دعت الضرورة، تستعير من هنا ومن هناك وتستوعب كل فكرة جديدة سواء كانت علمية أم فلسفية ، وقلما تنبذ شيئا مما تحمل على أعضائها وانما تمتد فروعها وتزهر على يد كل فنان يشذبها ويسقيها ويرعاها . ويمكننا القول بأنها أخذت تتسلل وئيدة لتحتل المكانة الاولى التى كانت تحتلها المسرحية فى عصر النهضة والشعر منذ القدم . والقول بأن ريتشاردسون (١٦٨٩ — ١٧٦١) هو أبو القصة الانجليزية لا تنقصه الدعامة القوية ، فقد كان حقا أول من استطاع أن يجمع بين التحليل النفسى ودقة رسم الشخوص لان الانسان كان يستمتع بخلق القصص ورواياتها قرونا قبل ريتشاردسون وكان ينصت بشغف لقصص المغامرات وكان تذوقه للواقعية

عند قدماء المصريين (الثورة الفنية فى عهد اخناتون) كتذوقه للواقعية فى عصرنا هذا .

وقبل غزو النورمانديون لانجلترا فى عام ١٠٦٦ م بقيادة وليم الفاتح كان الانجليز والساكسون يجتمعون حول النار ليمضوا بالليل الطويل للاستماع لقصص المخاطرات لبيوولف وكينولف. وكانت هذه القصص ملاحم شعرية يتغنى بها الادباء وهى تشبه الى حد كبير المسلسلات الاذاعية الحديثة من حيث الاطناب والمبالغة لتسيطر على آذان السامعين أكثر من سيطرتها على اعينهم وكان كاتبها وهو مجهول يستعمل التكرار والسجع والجناس والكنايات والمبالغة فى الوصف .

وللقصة قواعد يجب مراعاتها ، فلكى تكون « قصة » بمعنى الكلمة يجب ان تكتب لتقرأ فى صمت ، وفى هذا الصمت يتم التقاء الكاتب والقارىء ويندمجان فالقصة، على عكس المسرحية ، لاتتطلب مشاهدين او نظارة ولكنها تتطلب قراء واعين لتقاليدهم ومدركين لما يدور من حولهم من تغييرات اجتماعية أوثقافية. ويرجع تأخر ظهور القصة الى انه لم يكن فى انجلترا مثل هذا المجتمع الواعى فى العصو رالوسطى . والسبب الآخر هو سيطرة المسرح والشعر وشيوعهما وحب الجمهور لهما فى العصر الاليزابيثى. ولم تظهو القصة كما نعرفها فى الادب الانجليزى الا بعد أن أخذت المسرحية فى الذبول وفقدت المقام الاول الذى كانت تحتله فى الادب الانجليزى .وليس لدينا فى الادب الانجليزى الى ما قبل نهاية القرن السادس عشر ما يمكن أن نطلق عليه «النثرالقصصى» أو«القصة» بتعريفها الحالى ولكن جمهورا غفيرا من قراء القصة كان قد بدأ فعلا فى الظهور وتبع ذلك صحوة فنية وأدى هذا الى ظهور الكاتب القصصى والقصة ليعبرا عما يشعر به هذا الجمهور . وظهر مثل هذا النوع من الجمهور قبل ذلك بقرون فى أثينا ثوروما حين كان الشعب يستمع بشغف لحكايات الحب والمغامرات . وكل أنواع النثر القصصى التى نجدها فى الادب الانجليزى والادب الفرنسى ـ الرواية الرعوية أو الريفية (الباستورال رمانس) وأدب الشطار والصعاليك (البيكاريسك) والقصة العلمية والخيالية ـ لها جذورها فى الآداب الاخرى فى أعمال اخيليس تاتيوس وهيليودورس ولونجس . وقد بقيت بعض قصص هؤلاء الادباء وكان من الممكن ان يكون العدد اكبر من هذا ولكن بعضها فقد . وبطريقة غريبة معقدة شقت هذه القصص طريقها الى شمال أوروبا بواسطة التجار والقساوسة والفرسان أيام الحروب الصليبية . وكان ابسط هذه الانواع هو الذى يدور حول فشل حب البطلة والبطل لمولدهما تحت نجمين مختلفين. وقد وصل هذا النوع الى انجلترا ونما وترعرع خاصة بعد دراسة كتب أرسطو فى المسرحية وقواعد كتابتها وتفرع الى سلسلة من المغامرات والمواقف والحوادث المصطنعة التى تحل عقدتها عن طريق التعرف على الاشخاص بواسطة الشامات والعلامات الجسدية المميزة . ويمكن القول بأن جذور القصة الانجليزية يحتمل العثور عليها بين حطام الحضارة القديمة فى اليونان وايطاليا وبيزنطة

حيث ظهرت قصة الكاس المقدس وما دار حولها من حكايات عن الملك آرثر وفرسان المائدة المستديرة . وهكذا نرى فى ادب العصر الاليزابيثى وفى القصص الشعبى شخصيات وافكار وحوادث من العصر البيزنطى . ولم يفقد الناس اهتمامهم بالسحر والشعوذة والمغامرات والفروسية حتى بعد انتهاء تلك العصور بل ظلت تلك الافكار تحظى بمكانة عالية فى النثر القصصى .

وقد ساعد الفزو النورماندى لانجلترا على انتشار التراث الكلاسيكى ، كما ساعد احتكاك الصليبيين بالشرق على تغذية الخيال الانجليزى كما نراه فى قصة فلورنس وبلانشفلير التى تقدم لنا لونا شرقيا . وقد تحسنت حالة الشعب أثناء الاستقرار النسبى الذى تلا الفزو النورماندى وعاش كثير من الكتاب الفرنسيين طوال قرنين من الزمان فى بلاط ملوك انجلترا وكان معظمهم من المؤرخين الذين احيوا الاهتمام مرة اخرى بتاريخ حرب طروادة كما انكب الرهبان فى صومعاتهم على نسخ روائع الادب الاغريقى والرومانى . وكان من اشهر هؤلاء الكتاب بنوا دى سانت مور الذى عاش فى بلاط هنرى الثالث وترجم درايس (ويقول عنه هومر انه كان قسيسا عاش أثناء تدمير طروادة) الى رواية شعرية من ٣٠٫٠٠٠ بيت .

وفى ترجمته أضاف حواش كثيرة الى القصة الاصلية فى النص اللاتينى القصير وانقلب ابطال طروادة الى فرسان عصور وسطى واصبحت البطلات سيدات بلاط . ويحكى بنوا ، وربما لاول مرة ، قصة ترويلس وكريسدة التى اوحت لتشوسر بنفس الموضوع .

والرواية فى العصور الوسطى فى انجلترا تعتمد على أصل لاتينى أو أو فرنسى . وقد ازدهر هذا النوع من الادب فى انجلترا فيما بين عام ١٢٠٠ ، ١٠٠ م واصبح يكون جزءا هاما فى الانجليزى . ومن أهم خصائص الرواية عدم مطابقتها للواقع سواء فى رسم الشخوص او فى سرد الحوادث ولهذا لا تخرج عن كونها اولا : مبالغة فى وصف رذائل الطبيعة البشرية أومحاولة لوصف الفضائل بصورة مثالية ، ثانيا ، ميل شديد لوصف كل ما هو غريب وبعيد ورائع ومستحيل . ثالثا ، اهمية التفانى الشديد فى حب سيدة جميلة وعبادتها بطريقة عاطفية مبالغ فيها ، ومصدر هذه الفكرة هو تقديس العذراء مريم . رابعا ، وجود هدف يسعى اليه البطل كالعثور على الكأس المقدس مثلا . خامسا ، وجود عنصر دينى هام أو الاغراق فى الخيال وخوارق الطبيعة او كليهما . سادسا ، تحليل الشخصيات بطريقة مثالية نموذجية رمزية . سابعا ، التحلل الى حد ما من قيود تسلسل الحوادث تسلسلا عضويا منطقيا .

القرن الرابع عشر :

وفى القرن الرابع عشر اكتفى الشعب بالروايات المنظومة مثل روبن هودوماريان ومغامرات بيفيز أوف هامتون وكانت تصور معارك العمالقة وورع العصور

الوسطى التى كانت عصورا يسهل فيها الخلط بين ما هو طبيعى حقيقى وماهو اسطورى خارق للطبيعة ، وبين العلم والسحر . وكان المنشدون يطوفون البلاد من مكان لآخر يروون هذه الاساطير الشعرية التى لا نهاية لها ، ولكنها كانت قصصا ، كما يقول سير فيليب سدنى، « تنسى الاطفال لعبهم وتلهى الكبار عن مدفئتهم » .

وبمرور الزمن فتر حماس الناس لهذه الاساطير التى تتصارع فيها العمالقة وتظهر فيها الوحوش العطشى الى الدماء وأصبحت هذه القصص تروى للاطفال واخذ المنشدون يتفنون بقصص الحب بين الفرسان . وحتى بعد ظهور الطباعة فى عام ١٤٤٠ م لن يكن المتعلمون الذين يستطيعون القراءة سوى طبقة المهنيين والطبقة الراقية من سيدات ورجال . ولكن عامة الشعب ، بالرغم من جهلهم بالقراءة والكتابة ، كان لديهم قدر كبير من المعلومات . ففى القرى كان الناس يعرفون سيرة القديسين وقصص الاغريق والرومان ولديهم قدر كبير من المعلومات عن الميثولوجيا الاغريقية ، ومن كان منهم يعرف اسم الاسكندر لم يفته حتى معرفة اسم حصانه .

ولكن بالرغم من كل هذه القصص وسرد الاساطير والحكايات لم يظهر اى شىء يمكننا ان نطلق عليه كلمة «قصة» او النثر القصصى ، وربما لو كتب تشوسر رواية ترويلس وكريسدة نثرا للقبناه ابو القصة الحديثة بدلا من ريتشاردسون مثلا ، لان تشوسر فى هذه الرواية المنظومة يسرد لنا قصة بأسلوب طبيعى طبيعى وبرقة ومرح وتحليل نفسى قل ان يوجد مثله فى عصره ذاك . فتحليله لشخصية كريسده وتفهمه لها وما تعرضت له من اغراء فى المعسكر الاغريقى ورغبتها الصادقة وفشلها فى أن تكون مخلصة لحبيبها الغائب تظهر لنا عبقرية لا نجدها فى الادب الانجليزى قبل ان يطلع علينا ريتشاردسون ببطلته كلاريسا . ولكن النثر ، الذى يعتبر الوسيلة الوحيدة فى كتابة القصة ، تطور ببطء شديد ولم يتحقق الامل الكامن فى رائعة تشوسر الفنية الا بعد مضى ثلاثة قرون .

وتعتبر سنة ١٣٧٧ تاريخا مشهودا فى تطور النثر القصصى فى انجلترا بظهور رحلات سير جون ماندفيل وهى مترجمة عن الفرنسية . وقد اعجب الشعب فى بادىء الامر بهذه الرواية لمغامرات هذا الفارس الانجليزى ورحلاته الى فلسطين والصين واعتبرها سردا واقعيا حقيقيا ولو ان فيها شيئا من الغرابة لفارس غربى بين شعوب شرقية وما كان على الشعب الا أن يتقبلها فقد كان يؤمن كما قلنا، بكل شىء دون تمييز أو تدقيق. وكانت الرواية كلها مختلفة ولا تمت للحقيقة بصلة على خلاف ما سيفعله ديفو بعد ذلك بثلاثة قرون .

القرن الخامس عشر :

وفى القرن الخامس عشر ساعد ظهور الطباعة على انتشار تذوق النثر القصصى وسهولة تداوله . ومن الغريب شخص مثل كاكستون اسس النثر الانجليزى البسيط ويضفى على اللغة سهولة ووضوحا فى التعبير وبهذا يعطى

للقصة اهم عامل من عوامل انتشارها الا وهو جمهور القراء . وقد اعجب كاكستون ، بعد ان عاش لسنوات عدة في فرنسا ، بالاسلوب الفرنسي وسهولته وجماله وحاول ان ينتقل هذه الخصائص الى الانجليزية بترجمة «عودة تاريخ طروادة» عام ١٤٧٤ وكان اختياره للموضوع مهما . ولما كان من رجال الاعمال فقد كان من الطبيعي ان يفضل النثر على الشعر في ترجمته فوق هذا كان يشعر ويحس بما يشعر ويحس به عامة الشعب . وكانت مادة حروب طروادة في أذهان الناس وتعتبر موضوعا محببا الى نفوسهم مما دعاه الى طبع رواياته على مطبعته في وستمنستر . وهكذا ظل ادب العصور الوسطى حيا في اذهان جمهور القراء فيما بعد من الاجيال الجديدة . وبمرور الزمن ظهرت طبعات مختصرة وملخصة لهذه الروايات ووجدت طريقها الى زكيبة البائع المتجول ونقلت الى القرى والمدن في انجلترا في ذلك العصر .

وكان حب الجمهور للروايات هو الذي دعا كالستون الى نشر ترجمة سير توماس مالورى لقصة موت الملك آثر واصبح هذا العمل النثرى كنزا ضخما جمعت مادته من مصادر مختلفة لقدر عظيم من ادب الفروسية الرومانتيكي . وعاش سير توماس في هذه الفترة العصيبة وجمع رواية موت الملك آثر في السجن بين عامي ١٤٦٩ ، ١٤٧٠ والقصة تلخص لنا وجهة نظر مالورى الى الماضي بحسرة وحزن سنجدهما فيما بعد في قصص سير والتر سكوت . وكان للجو الرومانتيكي الذى خلقه مالورى في هذه الرواية اكبر الاثر فيمن اتوا من بعده من كتاب القصة . وقد قام كاكستون بطبع هذه الرواية واصبح من السهل سرد القصة نثرا وتمكن النثر بواقعيته وسهولته من التغلب على محسنات الشعر وكان لهذا الصراع بين الشعر والنثر أثره في تطور القصة في الادب الانجليزي .

ولم يكن للقصة ان تظهر الى حيز الوجود الا بعد ان ندرك الحاجة الماسة الى أسلوب نثرى طبيعي . فالرواية المنظومة مخلوق مريع والوزن شيء مفتعل يوحى باثارة مفتعلة للعاطفة ويعتبر الى جانب ذلك نوع من التقييد تفرضه علينا طبيعة حياتنا اليومية . كما أن لغة الخيال تختلف اختلافا كبيرا عن لغة الحياة والواقع واللغة الشاعرية هي نتاج لحظات عابرة قصيرة في حياة الانسان وليست غذاء اليومى التى تعنى به القصة عناية فائقة .

وكان من أثر هذا التاخر في تطور القصة عدم وجود فن واع لرواية القصة واصبحت الجودة محض صدفة وليست نتيجة لتخطيط منظم أو دراسة واعية . فارسطو لم يضع قواعد لكتابة القصة وانما وضع قواعد للمأساة وكذلك لم يشير الى أثرها الفني وعلى أحسن الفروض كانت القصة تعتبر ملحمة نثرية (فيلدنج) واذا كان هذا يعتبر من الناحية الفنية تأخرا في ظهورها ، فقد كان ميزة لكتاب القصة ، لان الكاتب القصصى أصبح في حل من قيود القدامى بعكس كتاب المسرحية .

وهكذا تمكنت القصة ، وقد اصبحت حرة من قيود المسرحية ، من ان

تتشكل وتتطور فى عصورها المختلفة وتعكس احتياجات العصر الذى تكتب فيه من ناحية الشكل ومن ناحية المضمون . وعن طريق التجارب ، واحيانا عن طريق الصدفة ، اهتدت القصة الى احسن اداة للتعبير واصبحت لها حساسية فائقة لاستقبال التقلبات المختلفة سواء كانت اجتماعية او سياسية او علمية .

ومن أهم الاسباب التى ادت الى تطور النثر القصصى فى العصر الاليزابيثى التراجم التى نشرت للروايات الكلاسيكية التى اكتشفت فى عصر النهضة لانه ، كما أوردنا ، لولا هذه التجارب فى الادب الكلاسيكى لما امكن للقصة ان تظهر بشكلها الحالى فى الادب الانجليزى . فلولا هذا التراث لبقيت عقلية العصور الوسطى بخرافاتها وعدم حرصها على التمييز متسلطة على القصة كما فى دون كيشوت . وحتى لو فرضنا ان الادب الكلاسيكى يزخر بالمغامرات والحكايات الخيالية البعيدة الاحتمال فعلى أقل تقدير كان أبطال رواياته من دم ولحم حتى ولو كانوا آلهة .

ولم تحل سنة ١٥٩٧ م الا وكان معظم التراث الكلاسيكى مترجما الى الانجليزية واصبحت هذه التراجم فيما بعد شائع شيوع المؤلفات الانجليزية نفسها وبعضها كان له اثر قوى مماثل لاثر روائع العصر نفسه . واشهر ما ترجم فى العصر الاليزابيثى كان التاريخ الاثيوبى لهليودورس ، كلوتوفون وليوكيب وهى من نوع البيكاريسك لاخيليس تاتيوس وكتب فى القرن الثالث الميلادى وهما روايتان اغريقيتان . ومن اشهر الروائيين القدامى لونجس مؤلف الرواية الرعوية

دافنيس وكلو وقد عرفها الشعب عن طريق ترجمة فرنسية لاميو

وفيها وصف لأركيديا

تلك الارض الخيالية للعشاق من الرعاة ، تجرى فيها الجداول وينبت فيها الزرع فى وديان خصبة ، ولايبلغ الانسان فيها الشيخوخة والفرض الاساسى فى الحياة فى هذا الفردوس الارضى هو التمتع بالطبيعة والحب والجمال .

وهكذا ترجع بنا جذور النثر القصصى الى ثلاثة فروع : فمن هيليودورس نبتت قصص المغامرات والمخاطرات والتى نراها على احسن وجه فيما بعد فى قصص فيلدنج وسير ولترسكوت ومن اكيليس تاتيوس وبترونيس نبتت قصص المحتالين (البيكاريسك) ونراها فى قصص ومن لونجس نبتت قصص الحب الرومانتيكى وعددها فى عصرنا لايحصى .

واسلوب هيلودورس اسلوب فحل ، اسلوب الكاتب الواثق من نفسه وتظهر حيويته الدافقة فى حبكة رواياته التى وان كانت معقدة احيانا ، الا انها ليست مربكة . اما لونجس فقد استعاض عن سرعة الحركة الخارجية فى رواياته بالاهتمام بالتحليل النفسى والقلب الانسانى وفى روايته دافنيس وكلو يحكى قصة طفلين وجدهما راع فى

ظروف غامضة ، وتبناهما حتى كبر وتحابا وتنتهى الرواية ككل الروايات الغرامية بالزواج ولكن بعد ان تعرف شخصية البطل والبطلة . واسلوب لونجس يتميز بالسهولة حتى ليعد اسلوبا غير فنى ولكن حتم عليه ذلك بساطة الفكرة وطبيعة القصة نفسها وبساطة الحياة والعادات الريفية . واعظم خدمة اسداها لونجس للقصة تكمن فى مقدرته على اظهار الطبيعة البشرية لا فى شخوص عظيمة فى صراعها مع الاقدار فى ملحمة شعرية ولكن فى بساطة النبل الفطرى كما يتمثل فى راع وراعية . ويظهر اثره فى العصر الاليزابيثى فى اعمال توماس لودج مثل روزاليند وهى رواية ريفية بنى عليها شكسبير مسرحية (كما يحلو لك) .

ويعتبر ريتشاردسون فى القرن الثامن عشر ويروست فى القرن العشرين من اتباع لونجس حيث يضحيان بالحركة الخارجية فى سبيل ابراز الطبيعة البشرية والتحليل النفسى للشخوص.

وبالاضافة الى الجذور السابقة التى استمدت منها القصة غذاءها نرى انها امتصت كذلك عصارة الادب الايطالى والفرنسى والاسبانى ـ تلك الروائع التى اعطتها نضارة وجعلتها اصلب عودا واقدر على النمو والتكييف ، فالنثر القصصى الاليزابيثى يحمل دائما طابع الاقتباس من الآداب الاخرى . ونظرة واحدة الى مسرحيات شكسبير كافية لان تعطينا هذه الفكرة

وقد شاهد القرن السادس عشر فى انجلترا ثورة فى فن المعمار وزينت القصور بما نهب من الاديرة وتدفق الذهب والفضة الى خزائن الدولة وبدات عظمة عصر النهضة فى الظهور واخذت تهزا بتقشف العصور الوسطى وتقواها. ولكن هذه القصور والصنيعات ظهرت الى حيز الوجود على حساب الطبقة الفقيرة واصبحت مصائب قوم عند قوم فوائد . وانتشرت البطالة والبؤس والفقر كما يظهر من كثرة التشريعات والقوانين . ومات كثير من افراد الشعب تحت اسوار هذه القصور من شدة الجوع والذى جرا منهم على تحدى السلطات الحاكمة وبطشها اوغل فى الجريمة وتعرض لعقاب صارم بعدها. وشهدت الشوارع التى كانت تطوف بها المواكب الملكية وعربات الارستقراطيين ابشع انواع الفقر والمرض ولحقت هذه الحالة ببعض النبلاء الذين اضطروا الى بيع ممتلكاتهم والنزوح الى المدينة الفوضى حتى فى لندن نفسها . وربما تعطى روايات ذلك العصر فكرة خاطئة عن حالة المجتمع ، ففى استطاعتها ان تعطى للحياة جوا شاعريا جميلا ولكن المقالات والنشرات فى ذلك قائمة عن آمال الطبقة الفقيرة الضائعة وربما نستطيع من هنا ان نعلل سبب الانسجام او التعاطف بين الادب الانجليزى والادب الاسبانى فى ذلك الوقت اذا قارنا حالة اسبانيا الاقتصادية بحالة انجلترا فقد اجهدت الحرب اسبانيا (ثورة الهولنديين وهزيمة الارمادى سنة ١٥٨٨) وانتشر فيها الفساد واصبح النبلاء فيها فقراء والفقراء تحولوا الى محتالين وافاقين ومتشردين .

والكتاب الذى يصور حالة اسبانيا

في ذلك الوقت تصويرا واقعيا هو لص تورميز

وهو لمؤلف مجهول نشر عام ١٥٥٤ وظهرت له ترجمة انجليزية في عام ١٥٧٦ .

وقد اعطى هذا الكتاب للادب الانجليزي نوعا جديدا من القصة في موضوعها وفي اسمها الا وهو البيكاريسك والكتاب ترجمة ذاتية لحياة محتال وكان ابنا غير شرعي لصاحب طاحون من محظيته عاش على ضفاف نهر تورميز بالقرب من سالامانكو . ويبدأ البطل حياة النصب والخداع بالعمل كدليل لرجل اعمى وكان يسرق طعامه وماله . وبعد ان عمل مع عدد من الفقراء والافاقين أصبح مناديا لبلده توليدو بعد ان تزوج من عشيقة قسيس الكنيسة .

يصف وصفا ساخرا بعض الانماط او الطرز الاسبانية . وفي عالم يتغير هكذا لم يكن هناك سوى فلسفة واحدة للمحتال تتلخص فيما يلي : « ليس هناك اسوا من هذه الحالة والطريقة الوحيدة للتخفيف من شرور الحياة وقسوتها هو ان يضحك الانسان على سخفها » .

وقد هيأت له حياته العملية ان يصف وصفا ساخرا بعض الانماط او الطرز الاسبانية . وفي عالم يتغير هكذا لم يكن هناك سوى فلسفة واحدة للمحتال تتلخص فيما يلي : « ليس هناك اسوا من هذه الحالة والطريقة الوحيدة للتخفيف من شرور الحياة وقسوتها هو ان يضحك الانسان على سخفها » .

وقد اوحى هذا الخليط الاسباني والخيال والمثالية لتوماس ناش بكتابة العجيب من السخرية والفكاهة والعظات « حياة جاك ويلتون » في عام ١٥٩٤ حكاية بيكاريسك تحكي قصة جندي خبيث في جيش الملك هنري الثامن يتعيش من حضور بداهته ومن مقدرته على النصب والاحتيال على جزر بخيل وآخرين من سكان منزله ويجلد في النهاية . ويسافر جاك الى الفلاندرز والمانيا وايطاليا ويستمتع بمغامرات كثيرة اهمها مشاهدته لارازموس وهو يكتب « في مدح الحمامة » والى مارتن لوثر وهو يهاجم البابا .

ولم يكن معظم النثر الروائي الاليزابيثي بهذه الكيفية بل كان هناك نوع آخر يعالج المشاكل الاجتماعية ويوحي الينا بما ستكون عليه القصة الواقعية فيما بعد . فنجد توماس ديلوني يجوب القرى والمدن ينشد رواياته المنظومة ليعبر فيها عن آلام مواطنيه ويصف عالم العامل من الطبقات الوسطى . واحسن هذه الحكايات هي ١٥٩٧ (جاك أوف نيوبري) وهي تحكي قصة صبي في مصنع نسيج يرقى حتى يتزوج ارملة صاحب المصنع التي لاتناسبه في السن أو المكانة ولكنه يصبح تاجر أقمشة شهير يضم مصنعه خمسمائة عامل فقير « وكلهم يعملون لصالح الكومونولث » وتموت زوجته ويختار زوجة خادمة كانت تعمل في منزله ويتنازل بطريقة عاطفية عن المهر الذي يجب ان تقدمه اليه . وتستمر القصة لتحكي قصة

المنبوزة

قصة

بقلم : صبحي الجيار

عندما عاد « رجب » الى بيته بعد منتصف الليل كعادته ، فوجىء بأن زوجته ما زالت متيقظة . فحملق فيها بدهشة ، وقال بألفاظ مضغتها الخمر :

— عجايب .. ؟ اشمعنى يعنى النهارده سهرانة لغاية دلوقت ؟

فتطلعت اليه فى خوف ، وهمست مترددة .

— أبدا ما فيش .. بس مش جايلى نوم ..

وتفرس فيها طويلا وهو يتمايل ثملا ، ثم قال فى شك :

— مش معقول .. لازم فيه حاجة .. باين القرف على وشك ..

فمصمصت بشفتيها وهى تشيح عنه بوجهها فى اشمئزاز . كيف تتفاهم مع هذا السكران ؟انها تعلم جيدا أن جوفه عندما يمتلىء بالخمر ، فانه يطغى على تفكيره المتزن ، ويفقده السيطرة على أعصابه . وعندئذ قد يرتكب أية حماقة دون تبصر بالعواقب ، وقد يستعمل يديه أحيانا فى تسوية المواقف الحرجة ، عندما لا يسعفه عقله المخمور .

حاولت « سهير » أن ترجىء مناقشة مشكلتها الى الصباح عندما يفيق زوجها المتهور ، ولكنه أصر على أن يعرف سبب يقظتها ، وقد صور له عقله المخدر أنها تعانده ، أو تخفى عنه سرا ، فاقترب منها وأمسك بكتفها ، وراح يهزها بعنف ، ويصيح فى تهديد :

— لازم تقولى .. انتى فاكرانى كروديا .. والا فاكرانى كروديا ؟ دانا أفهمها وهى طايرة .. ما تقولى يا بت ..

فخلصت كتفها برفق من قبضته المرتعشة ، وقالت فى توسل :

ــ الصباح رباح يا رجب .. روح اقلع ونام دلوقت .

ــ مش ممكن .. لازم أعرف حالا ..

قالها فى تحد واصرار . فعادت تتحايل عليه عساها تقنعه :

ــ روح نام ربنا يهديك. .دانت مش قادر تقف على رجليك .

فصاح غاضبا وهو يحاول عبثا السيطرة على توازنه :

ــ ليه ؟ .. هو انا سكران ؟ .. انا بس مبسوط شوية ..

فقامت تسنده حتى لا يقع ، واجلسته بهدوء على حافة السرير وجلست بجانبه ، وبدأت ترتب أفكارها حتى لا تفلت منها كلمة يفقد معها اعصابه الواهية ، وهمست فى صوت متهدج :

ــ اصل .. أصل أختى الكبيرة كانت عندى النهاردة ، و ... فقاطعها مستنكرا :

ــ .. وايه اللى جابها دىكمان ؟ مش اهلكمتبرين منك ..؟

ــ .. أيوه .. أصلها كانت جاية تقول ان ماما ...

ــ .. ايه ؟ ماتت ؟

ــ بعد الشر يا أخى .. انت عاوز تموتها ليه ؟ ..

ــ مش انتى اللى بتقولى ؟

ــ هو انا لسه كملت كلامى ؟

ــ طيب مالها بقى الست والدتك ؟

قالها فىاستهزاء ، فدغدغ مقلتيها ، واجابت وهىترفع المنديل الى انفها :

ــ بتقول ان حالتها خطرة ، والدكاترة قاطعين الأمل فيها .

فرمش بعينيه ، وهو يحاول أن يتنبه للموضـــوع وقد جذبته أهميته ، ولكن لهجته لم تخل من الاستهتار :

ــ طيب وانتى حاتعملى لها ايه ؟ حاتشيلى رجلها من القبر ؟ مش هم اللى طردوكى وقاطعوكى من يوم ما اتجوزنا ؟

فاقتربت منه ، وربتت على كتفه حتى تهـــدىء من ثائرته . وقالت فى ضعف واستجداء :

ــ لكن هى اللى طلبتنى يا رجب .. نفســـــها تشوفنى قبل ما تموت ..



ــ ماتموت يا ستي في ستين داهية .. يعني ما عرفتش ان لها بنت الا وهي بتموت ؟

.. ما سألتش عنك من زمان ليه ؟

رأت أعدابه الثقيلة يرخيها المخدر ، ويشدها العناد ، فآثرت أن توقف تيار الحديث قبل أن يورطه الغضب في قرار من العسير أن يتراجع عنه . فقامت تساعده على خلع ثيابه وهي تقول :

ــ طيب نام دلوقت ، وبكره الصبح نتفاهم ..

فأخذ يدمدم بكلمات ممضوغة ، ســاخطا عليها وعلى أهلها حتى خمد تكلماته الصاخبة ، وعلا شخيره ، وراح في نوم عميق .

ظلت سهير مؤرقة ، وقد استبد بها الحنين الى امهــا ، التي تقاوم أنفاسها الأخيرة حتى ترى ابنتها المنبوذة ، وتراجعت أفكارها الى الوراء .. الى اربع سنوات مضت ، يوم تحدت ارادة اسرتها ، وصممت على الزواج من رجب شقيق صديقتها ، الذي استحوذ على قلبها في اول جولة تخوضها مع كيوبيد . وكان وقتها يعاون اباه في محل تجارته البسيط بعد ان تعثر مرارا في الشهادة التوجيهية ، ولم يقو على اقتحام ابواب الجامعة . وعندما وقعت سهير في طريقه لم يشأ أن يضيع الفرصــة ، وتراءى له أمل بعيد في ميراثهــا من ابيها الثرى .

وبدا يلقى شباكه حولها في حذق واحكام ، مستغلا اخته في شحن أذنيها بمعسول الوعود وشرح تباريح الوجد والهيام . وتطورت العلاقات الى لقاء مختلس في مكان شــاعرى . ثم تعدد اللقاء في غفلة من الاهل . حتى تمكن السهم من قلبها البكر الساذج .

وعندما تأكد رجب ان قلبها في جيبه ، تجرأ ، وطلبها من ابيها ، وكان يعلم مقدما ان طلبه مرفوض . ثم بدأ يمهد للفصل الاخير من المهزلة ، فاعد الفاظه بعناية ورسم على ملامحه تجاعيد التعاسة ، وهمس في أذنيها بصوت حزين :

ــ انا عارف حظي نحس .. انا ماقدرش أعيش من غيرك .. انا لازم انتحر ..

وتفزع العاشقة الصغيرة ، وتهتف في لوعة :

ــ بعد الشر يا حبيبي .. دانا روحي فداك يا رجب ..

وهنا تحين ساعة الصفر ، فيلقى الذئب بورقته الاخيرة ... الهرب ... نعم .. لماذا لا يهرب العاشـــقان ، ويتزوجان سرا

بعيدا عن تعنت ابيها المستبد القاسي !؟ .. وتجد الفكرة ترحيبا لدى العاشقة الملتهفة . وترتمى فى احضانه مستسلمة .

اعتقد رجب أن هذا الاجراء العنيف سوف يضع عائلتها امام الأمر الواقع . ولكن اباها كان حازما عنيدا . فأعلن تبرؤه من ابنته المارقة ، وأحرم عليها دخول بيته الى الابد . ولكنها لم تندم كثيرا ، فان حبها الكبير كان يحجب عنها كل شيء .

وبدأ الملل يتسرب الى الزوج ، الذى حاول مرارا أن يصلح بين زوجته ومنبع ثرائها ، فباءت جهوده بالفشل . واخيرا وضع ما تبقى من كرامته على كفه ، وذهب بنفسه يطرق باب أسرتها . فخرج مطرودا بلا كرامة . وزحف اليـــأس الى اطماعه ، وتحولت زوجته من كنز منتظر الى عبء ينوء به ، ويستنفد جزءا من ايراده الهزيل .

وبرزت انياب الذئب من خلف بســـمته الصفراء . فاهمل زوجته ، واساء معاملتها ، والقى عنكاهله ثوب الملائكة ، فبدا على حقيقته فظا عربيدا دنيئا ، لا يتورع ان يواجهها بصفاقة مؤنبا :

ــ ما تفارقينى بقى يا بوز النحس ... مش كفـــاية اهلك رامبينك عالة على ..

وتسكب ندمها قطرات فى منديلها ، وتهمس فى ذلة وانكسار :

لك حق .. لو كان لى عيلة تقف قصـــادك ، ما كنتش تبيع وتشترى فى كده ... لكن انا اللى استاهل ...

ــ حد ضربك على ايدك ؟

ويفحمها الرد الحاسم ، فتبتلع لسانها وتصمت ...

وعندما انجبت ابنتها الوحيدة ، ظنت انها قد توطد عرى الود المفقود بين ابويها . ولكن الزمام كان قد أفلت من أيدى سهير ، بعد ان تمرد رجب على الحياة الزوجية ، واصبح لا يأوى الى بيته الا بعد أن توغل عقارب الساعة فى عتمة الليل ، حتى يتفادى مجرد لقاء زوجته ، التى اصبحت فى نظره مجرد «مقلب» شربه مقهورا .

وعندما بدات الكلمات الاولى تقفز الى شفتى ابنته ، وتفرد له قبضتها الصغيرة تستجدى ابوته قرشا ، كان يدفعها عنه فى ضيق ، ويصيح فى استهزاء مغيظ :

ــ ابعدى عنى .. انا حلاحق عليـــكى انتى وأمك ؟ .. ما تروحى تاخدى من جدك الغنى .. جنك داهية انتى وجدك ..

وتنفذ الكلمات الى قلب الام كالمسامير المسننة . فتنطوى على جروحها ، وتصمت مستسلمة . وتعض شفتها حتى يدميها الندم .

واليوم ، فوجئت سهير بأختها الكبرى على عتبة بابها . وكان عناق طويل مخضب بالدموع . ودهشت سهير لان أوامر أبيها كانت تعتبر بيتها منطقة محرمة على أخوتها ، وكل من لهم صلة بعائلتها . ثم عرفت أن أمها ذات القلب العليل تعانى سكرات الموت ، وتتوالى عليها نوبات الغيبوبة فتصحو خلالها ، لتردد اسم سهير .

وتهمس سهير فى نشيج وقد انفجرت من مقلتيها ينابيع الحنين :

ــ يا حبيبتى يا ماما .. واحشانى قوى يا ماما ... يارب طول عمرها .. ثم تتذكر عناد أبيها ، فتسأل أختها فى لهفة :

ــ وبابا عارف انك جاية عندى ؟

ــ طبعا .. انتى عارفة قد ايه بيحب ماما ... وما قدرش يرفض رغبتها الاخيرة .. خصوصا لما قعدنا كلنا نعيط ونتحايل عليه ...

ــ صحيح والنبى بابا موافق ارجع البيت ؟

فارتبكت أختها ، وقالت فى تردد :

ــ .. هو قال .. « تيجى مرة عشان أمها تشوفها .. »

وانطفأت جذوة الأمل فى نفسها ، فنكست رأسها فى ذلة واستسلام .

عندما تسللت شعاعات الفجر الى المكان ، كانت سهير ما زالت مؤرقة ، والافكار المتصارعة تدق رأسها بلا هوادة . انها تتعجل نسمات الصباح حتى يفيق زوجها المخمور . وتحاول اقناعه لتحظى بالموافقة على زيارة أمها المحتضرة .

وبينما كانت تعد له الفطور خطر لها ان تضرب له على الوتر الحساس ، لتصل الى مأربها ، وبدات تنبش أطماعه قائلة :

ــ يمكن تكون دى فرصتنا عشان نصطلح مع بابا ..

فقاطعها متسائلا فى أمل :

ــ يا ترى لو طبت أمك حتورثى فيها ؟ .. والا حرمتك من الميراث ؟ ..

فأسرعت تقول ، وقد لاحت لها ثغرة فى عناده :

— مش معقول تحرمنى .. دى لما تشوفنى حاصعب عليها خالص ، وعلى الاقل تصالحنى مع بابا قبل ما بعد الشر .. يجرى لها حاجة .

فخبط المائدة بقبضته ، وصاح فى غضب :

— بعد الشر ليه .. ؟ .. ما تسيبيها تموت .. على الاقل نورث لنا قرشين .

— المهم يا رجب ان ربنا يطول فى عمرها لغاية ما تصالحنى مع بابا ..

كانت تناقشه بمنطقة الخاص ، فأشرق وجهه بالطمع ، وصاح بمرح :

— .. ومستنية اية ؟ قومى قوام روحى لها ..

فأسرعت الى حجرتها لتعد نفسها قبل ان يعدل عن رايه . وجاءها صوته المرح من الصالة :

— اسمعى يا وليه ... ما تنسيش تاخدى معاكى البت الصغيرة .. يمكن تحنن قلب جدها .. ان شاء الله تعدمه من بدرى .

دخلت سهير بيت أبيها بعد غيبة طويلة ، تجر قدميها المثقلتين بالخزى والخجل . وقد التصقت ابنتها بركبتها وتعلقت بذيل ثوبها الرخيص الكالح . والتقت سهير بأختها الكبرى فى البهو الفسيح ، فتركت لها ابنتها ، وهرعت الى حجرة أمها . واندفعت الى الجسد الراقد فى غيبوبة الموت . وارتمت صدرها باكية مولولة . كانت انفاس الحياة ما زالت تتردد فى صدر أمها ، ولكنها كانت غائبة عن وعيها ، فراحت سهير تهزها فى لهفة وجنون ، وتهتف فى نشيج :

— ماما .. ماما .. ردى على يا حبيبتى يا ماما .. أنا سهير يا ماما ..

وتربت على خدها محاولة افاقتها ، ولكن رأس المحتضرة كان يتطوح بين يديها فى ضعف واسترخاء .. ثم احسست بيد قوية ترفعها فى رفق ، وصوت أجش يهمس فى تهدج حزين :

— سيبيها دلوقت ، هى فى غيبوبة .. بعدين حتفوق ..

التفتت فى رهبة ، وقد ميزت أذنها الصوت العميق ، فطالعها

وجه أبيها ممتقعا كئيبا ، فوقفت مبهوته جاحظة العينين . وأحست برغبةشديدة فيأن ترتمى علىصدره وتبلل كتفيه بدموعالاستغفار . ولكن ملامحه الجامدة سمرتها فى مكانهـــا ، وشلت ذراعيها بجانبها وانتظرت أن يبدو منه ما يشجعها على الحركة ، لكنه أشاح عنها ، وانصرف خارجا فى خطوات سريعة ، كانه يهـــرب من ضـــعفه امامها .

وعندما تابعته ســـهير بعينيها حتى الباب رات اختها الاخرى واخاها الصغير جالسين فى ركن الحجرة ، انها لم تلمحهما عندما دخلت مندفعة الى سرير أمها .

وحرك الحنين قدميها فيخطوات ذاهلة نحو اخويها ، فارتمى الصغيران بين ذراعيها ملبين نداء الدم . ثم عادت تجلس علىطرف السرير ، مركزة نظرها على الجفنين المسبلين . حتى لمحت فيهمـــا اختلاجة الحياة . ثم انفجرت العينان الذابلتان لتحتضنا وجه سهير الملهوف ، وابتسمت الأم فى ضعف وهمست فى نبرات واهنة :

ــ سهير .. بنتى ؟ .. الحمد لله انى شفتك قبل ما أموت ..

فهتفت سهير فى صوت باك منفعل ، وهى تمرغ راسها على صدر امها ، الذى طالما منحها الامن والحنان :

ــ بعد الشر عليكى يا ماما ...

ــ انا خلاص انتهيت يا بنتى ... قلبى المجـــروح ما عدش يحتمل اكثر من كده .. المهم انى اتطمن عليكى يا سهير يا بنتى ...

وتأملت وجه ابنتها الشاحب الذى حفرت فيه التعاسة كهوفا فوق شدقيها ، وقد أذبل البكاء عينيها اللتين كان الشـــباب يتفجر منهما قبل ان يجرفها الشيطان الى غلطة العمر .

وهزت الام راسها فى اكتئاب ، وهى تقول :

ــ انا عرفت كل حاجة يا ســـهير .. انتى اتعذبتى كـــتير يا بنتى ، لكن معلش .. ربنا يصلح لك أوقاتك ..

واشفقت سهير على نفســـها بعد ما آلت من ذل وهوان ، فانفجرت فى نحيب عنيف يزلزل كيانها الهزيل . واستطردت الأم هامسة :

ــ .. اعذرينا يا بنتى .. ما كناش نعرف ان الحالة وصلت بيكى لحد كده .. لكن ابوكى لسه واخد علىخاطره منك .. روحى اتدهى له يا سهير ..

ولمحت التردد فى عينيها . فقالت بحماس :

ــ روحى يا بنتى ماتخافيش .. قولى له ماما عايزاك ..

وقامت سـهير لتتجه نحو الباب فى خطوات وجلة بطيئة ، وخرجت الى الصالة ، فرأت أباها جالسـا فى كرسى كبير ، وقد أجلس حفيدته الصغيرة على ركبته ، وعندما فوجىء بسهير أمامه ، انتفض واقفا وأبعد الصغيرة عنه فى حركة سريعة ، وصاح مغطيا موقفه :

ــ حد ياخد البنت دى بعيد عن هنا ، لحسن عاملة دوشة ..

واتجه الى النـافذة المطلة على الحديقة ليتفـادى مواجهة سـهير ، التى اقتربت منه ، ونادته من خلف ظهـره فى نبرات مستجدية :

ــ بابا ...

فالتفت اليها عابسا ، وقبل أن تنفرج شفتاه بكلمات غاضبة ، قالت فى صوت ذليل :

ــ ... ماما عاوزه حضرتك ...

ودون أن ينبس بكلمة اتجه الى سرير المحتضرة ، فما كادت تلمحه حتى امسكت بيده الضخمة ، وقربتها من فمها تريد تقبيلها ، فسحب قبضته فى رفق وهو يمسح باليد الاخرى على جبينهـا الندى بالعرق البارد ، وهمست الزوجة فى توسل وابتهال :

ــ لى طلب اخير عندك يا عثمان ..

وبدا صدرها يعلو ويهبط فى انفاس لاهثة مضطربة ، وأسبلت جفنيها فى ضعف ، فهتف الزوج فى انزعاج :

ــ ما ترهقيش نفســك يا امينة ... انا عارف انتى عاوزه تقولى ايه ... الكلام الكتير يتعبك ...

وعادت الام تقاوم سكرات الموت ، وترفع جفنيها الثقيلين ، وتهمس فى كلمات متقطعة ضارعة :

ــ سامحها يا عثمان .. دى برضـه بنتك .. وربنا بيغفر لعبده التايب ، ما تسيبهاش تروح للوحش ده تانى ...

وطال صمته فى وقفته الشامخة ، ثم انحنى عليها ، وقال فى تهدج :

ــ اطمئنى يا امينة .. ربنا يقدم ما فيه الخير ...

فارتسم شبح ابتسامة على الشفاه الصفراء ، وهمست فى امتنان :

ــ الله يريح قلبك ..

وقطع الصمت صوت الطفلةالصغيرة ، تدخل الحجرة مندفعة نحو امها وهى تقول فى ابتهاج :

ــ شوفى ياماما .. جدى جاب لى شيكولاته ..

والتفتت سهير نحو ابيها الذى استدار على صوت حفيدته ، والتقت عينــاه بنظراتها النادمة . فتنهد فى تأثر ، وألتمعت عيناه المغرورقتان بنداء حنون . ثم اندفعت ســهير بلا شعور ، فارتمت على صدره باكية ضارعة ، وارتفع الجفنان المحتضران ، فرأت الام ذراع زوجها تلتفت فىحنان حول ابنته النادمة .. وهبطت نظراتها الكليلة ، فالتقت بحفيدتهــا تلتهــم قطعة الشــيكولاته فى تلــذذ وسعادة ..

ثم ارتخى الجفنان .. الى الابد ..

الفأر

قصة

للكاتب الأمريكي: روبرت فرنتن

ترجمة: محمد فتحي عبد الوهاب

صادقت فارا . ولم تكن عيناى قد وقعتا من قبل على الفئران . وقد لقنتنى هذه الصداقة درسا محزنا فى الحب والوفاء .

كنت احيانا آخذ معى الى الفراش كسرة من الخبز احتفظ بها تحت الوسادة ثم امضغها وانا اقرا القصص الخيالى . وكانت والدتى قد نهتنى عن هذا الفعل . ولكنى كنت أعلم انها على اية حال كانت تتوقع منى ذلك ، وان اهتمامها الوحيد للأمر لايتعدى الاحتفاظ بضميرها وما نيه نقيا ، ولهذا السبب لم اكن ابالى بالنصيحة .

وسرعان ماتبينت ان الفأر يقرض كسرة الخبز عندما اكون نائما . رايته يفعل ذلك فى صباح احد الايام . ومن حسن الحظ ، لم يكن قد اتسع الوقت لوالدتى لكى تعلمنى الخوف من الفئران . وتمنيت ان يظل معى حتى استطيع ان اقتنيه كحيوان اليف . ودعوت الله فى حماس أن يبعد عنه الانظار حتى لاينصب له الشرك .

غير ان والدى دلف فى ذات ليلة الى حجرتى وشاهده وقال عندما ومض خط اشهب يعبر الحجرة « هيه ؟ ماهذا ؟»

فقلت فى سذاجة « ماذا ؟ »

ــ ماهذا الذى شاهدته الآن يبدو ثم يختفى ؟

ــ انا . . . انا لم اشاهد شيئا . لقد وعدت ان تصلح لى حذاء الانزلاق ؟

وعبس والدى وجلس على الفراش فى بطء . ولم تمض لحظة حتى هب واقفا وفى عينيه وميض من الشر . واستطعت ان ادرك انه لم يعد ذلك الرجل الطيب الشفوق الموسيقى القلب .

انه الآن صياد شرس . لقد عرف مدخل الفأر . كان ثقبا صغيرا على مقربة من احد الاركان .

وصاح كالوحش « اوهوه »

فقلت متسائلا ــ هل هناك شيء

فقال والدى متعجبا « آها »

ثم ركع ونظر داخل الثقب .

ودعوت الله فى صمت « ياالهى . لاتدعه يقتل الفأر . العدل عدل . لقد استذكرت مرتين اشعار الانجيل المطلوب

منى ان احفظهما . ولابد انك ياالهى قد علمت ذلك . ووالدى هو والدى . وانى احبه وابجله . ولكنك تعرف ياالهى كما أعرف ان الفار صديقى . »

وكانت هــذه هى المرة الاولى التى ابتهل فيها الى الله ان يحقق لى طلبا . ولم اكن واثقا تمام الثقــة من حســن دعائى .

وحاولت ان اشغل والدى بالحديث فسالته فى حماسة أحزر ما تعلمت فى المدرسة اليوم ؟

فأجــاب والدى دون ان يلتفت الى قائلا « تعلمت القليل بلا شك . وهــذا القليل اكثر ضررا من » .

وحاولت كثيرا ان افكر فى موضوع آخر اتحدث عنه عندما قفز والدى وقد امسك بأنفه وهو يصيح .

ويبدو ان الفار خــدش انف والدى الطويل . ولم اتمالك من الضحك وقلت « انك لتغضب أيضا لو ان أحدهم دس انفه فى بيتك » .

وحك والدى أنفه وعاد الى الفراش مرتبكا . ثم اخذ يصلح حذائى الخــاص بالانزلاق . وتنهدت فى ســعادة وقد حسبت انه تخلى عن صيده الوحشي .

ربما تخلى عن ذلك . غير ان الفار لم يتخل عن والدى . ياله من فار احمق! فعندماالضطجع والدى على الفراش، خرج الفار . ولم يتهاد خارجا فحسب، بل وقف على قدمين ونظر الى والدى فى عينيــه هدوء ، وكانه يقــول له «استمع الى . لم اقصد ان اجرح انفك. انه حادث عارض انا والولد صديقان. وليس من السهل أن نعثر فى هذا العالم على صــديق بمعنى الكلمة . انه شيء صعب بالنسبة الى ولد صغير ، وشيء مستحيل بالنسبة الى فار . الا تستطيع ان تنتهى من هــذا النزاع بطريقــة شريفة ؟ »

وللأسف ، لم يفهم والدى المسكين ، وهو الذى كان يفهم الكثير من الاشياء الجميلة ، ماالذى يعنيه الفار . ولم ير فيه الا حيوانا متوحشا . ولذلك اسرع نحوه . وكان الفار الذى بدا وكانه يعرف شيئا عن الطبيعة البشرية ذكيا حتى انه ولى الادبار مختفيا عن الانظار .

وفى اليوم التالى كانت هناك مصيدة منصوبة بها قطعة من الجبن . وسرقت قطعت الجبن باسم صداقتى للفار . لم اكن استطيع أن افعل شيئا ســوى ذلك .

وفى اليوم الذى يليه قــال والدى عندما لاحظ انه ليس هناك جبن ولا فار، وهو يشير فى عجب « آهاه ! ما أعجبه من فار ! ايه ؟ انه يأكل الجبن ، ومع ذلك يتخطى المصيدة ! »

واشــحت بعينى وحاولت الا ابدو على قدر ما استطيعفى هيئة ملاك تبدو صورته علىشاشة سينما المدرسة يوم الاحد وقلت له :

« مثل هذا الشيء ممكن حدوثه — من فار ماهر جدا »

ونظر والدى فى عينى وقال فى حزم « هذا غير ممكن . ولكن ماهــو أكثر احتمالا ان يبعد صبى ذو رأس أجوف الجبن من المصيدة .

فسألته قائلا : ومن هو هذا الصبى الذى يمكنه ان يفعل ذلك ؟ »

فأجاب قائلا « ستعثر عليه فى المرآة » .

ثم نهانى عن لمس الجبن.ولم يسعنى الا ان اطيعه .

ومرة اخرى ابتهلت الى الله من اجل الفأر قائلا « ياالهى العزيز . لقد انقذت الفأر مرة . وما أستطيع فعله بالطبع تستطيع فعله . فاذا ازداد الامر سوءا ارجو أن تبعد الفأر عن اغراء الجبن . لاتجعله ينقاد وراء هذا . الاغراء بل خلصه من شر المصيدة.

ومع ذلك ، انتظرت والرعب يدب فى قلبى ، نهاية صديقى المحتومة .

وفاتحت والدتى فى الامر قائلا « اذا كان لكصديق تحققت من مدى اخلاصه، آلا تقفين بجانبه عندما يرغب الآخرون فى ايذائه ؟

وكانت أمى تحيك ثقبا كبيرا بأحد جوارب والدى عندما أجابت قائلة « بكل تأكيد » .

فصحت فى انتصار « آهاه ! اذا لماذا لا بد من الامساك بالفأر ؟»

وفتحت أمى عينيها الواسعتين وهبت واقفة ، وقالت فى عصبية « فأر ؟ اى فأر ؟ اين هو هذا الفأر ؟ .

واحتسي والدى قدحه من النبيذ ، ووضع جريدته جانبا ، وثم نظر الى « وعلى شفتيه ابتسامة رزينة . واستطعت ان أرى انى ارتكبت غلطة لاتغتفر . لقد كانت أمى تخاف الفئران.

وقال والدى فى هدوء « لدى الصبى فأر فى حجرته . وهو يدعى انهما صديقان . ولو أن الفأر لم يقل شيئا عن ذلك »

فصاحت والدتى قائلة « انصب المصيدة ! انصب المصيدة ! »

فشرح لها والدى فى صبر قائلا « لقد نصبت المصيدة . ولكن الفأر نزع الجبن دون ان ـ يتخطى المصيدة»

فقالت والدتى « هذا مستحيل » ثم التفتت الى قائلة « انهاك عن ازاحة الجبن . افاهم انت ؟ »

فوعدتها فى حزن قائلا « لن ازيح الجبن . ولكن الجبان هو ذلك الذى يقف هائبا وهو يشاهد أعز أصدقائه يقتل بخدعة دنيئة »

ودهش والدى وقد ارتبك بعض الشيء وقال « أصغ الى يافتى !) »

فجادلته قائلا « لقد قالت امىبنفسها ان هذه الامور التى لا يأتيها المرء » .

فقاطعتنى والدتى قائلة « الفأر شيء مختلف »

فقلت « الصديق هو الصديق » فان اردتما ان تحاربا صديقى ، فعلى الاقل يمكنكما أن تحارباه بطريقة عادلة ـ وليس بالمصائد »

فصاح أبى قائلا « هوه ! ياالله السموات اتريد أن اصنع لنفسي ذيلا وان أمشي على يدى وركبتى ، ثم أعض الفأر بأسنانى ؟ »

وصعد أبى ونصب مصيدة ذات قطعة كبيرة جذابة من الجبن غير عادية وتنهدت . واستطعت ان ادرك انه ليست ثمة فائدة ، وانه ليس للفأر من منقذ الآن سوى الله الكريم .

وعندما استيقظت فى الصباح كانت قطعة الجبن لاتزال هناك . فقفزت من

الفراش . وركعت . ودعوت الله قائلا « شكرا ياالهى » ثم ارتديت ملابسي ونزلت وانا أقفز فى طـريقى لتناول طعام الفطور ، وكنت ادندن فى بهجة.

وأكلت البليلة وانا فى منتهى السعادة. وما كدت انتهى منها حتى صدر صـوت يجرى فوقنا .

فسأل والدى « هل يمكن أن يكون الفأر ؟ »

وامسكت انفاسي ودعـوت الله مرة أخرى . كانت والدتى مشـغولة فى عمل خبز مقدد . ولم تفه بكلمة . وبعد لحظات حدث الجرى مرة أخرى .وفى هذه المرة بدا كأنه قريب جدا .

وسأل والدى فى دهشـة « هل يعرف الفأر حتى طريق النزول ؟ »

فلم اجبه . وشغلت نفسي فى وضع المربى على قطعة الخبز المقدد وما كدت انتهى من مضغها حتى شـعرت كأن شـيئا رخوا قد لمسنى فى قدمى . فنظرت الى اسفل . كان الفأر هناك ، يترنح ، ويتمايل ، ويجر نفسـه جرا للوصول الى قدمى .

وعندما شاهد والدى صديقى هب واقفا فى سرعة . ولم اكن أعرف ما الذى ينوى أن يفعله لعله كـان يريد حماية والدتى . ولم يكن هذا بالشيء المهم . ففى بضع ثوان تدحرج الفأر فوق قدمى ميتا . غـير أنه لم يمت قبل أن يقول لى بعينيه شيئا .

وصعد والدى الى فوق . ثم عاد يقول فى حماسه ودهشة « عجبـا ! قطعة الجبن قد رفعت من المصيدة . ويبدو أن المصيدة قد تحركت وضربت الفأر فى فكه . تخيلوا ذلك . فأر يموت من ضربة قاضية على فكه » .

ولم يؤثر وجه العجب فى . لقـد كنت أعرف أن الفأر كان شـجاعا . ولكنى كنت أجهل الكثير عن نفسي ،فقد تراءى لى ان الفأر كـان يقـول لى بعينيه :

« اسمع كنت صديقك ، وقد قتلتنى. ولكن اليك وجه العجب . انى لازلت صديقك . وقد أتيت لأموت تحت قدميك، ولأسامحك . من السهل أن تحب أولئك الذين يشفقون عليك ، ومن الفظاعـة ولكن من الضرورى ، أن تحـب اولئك الذين يغدرون بك »

آه ، لعل الفأر لم يكن يعنى شـيئا من هذا القبيل . ربما كان قلبى هو الذى يتحدث ، ويتعلم ، ويشب .

وسألت والدى فى سرعة « أبى هل هناك جنة للفأر » ؟

فقال والدى فى اسي « اجل . اجل هناك جنة لكل واحد . »

واخذت والدتى ، وكانت شـاحبة « بعد هذا . لنستحضر قطا كبيرا حتى صامتة فى أثناء المأساة ، تتكلم فى رقة يمكن أن نبتعـد عن مثـل هـذه الامور . »

الشعلة

بقلم سعد حامد

الولد مريض منذ أيام وكل ما لدينا من نقود قد تبدد عن آخره على الطبيب والدواء .. واليوم لا بد ان أبذل جهدا مضاعفا لأجمع أكبر قدر ممكن من المال وعسى أن تقع يدى على محفظة متخمة بالأوراق المالية فتحل المشكلة ..
الولد فى حاجة الى دواء جديد كتبه له الطبيب بالامس ‥ ولكن العين بصيرة واليد قصيرة ‥ لكن اليوم لن تصبح يدى قصيرة ‥ سأمدها على قدر ما استطيع .. سأضعها فى كل بيت وان استطعت أن أسرق الكحل من عيون النساء فسوف أسرق ٠

هكذا كان «جمعه» يتحدث الى نفسه وهو يغادر بيته فى الحارة السد الضيقة. وجمعه رجل ليست له مهنة يعيش منها ولكنه يمارس النشل ، وهو متزوج ولم ينجب سوى ولو واحد يحبه الحب كله. وقد ضبط مرارا ودخل السجن ، وكان ما أن يغادر السجن حتى يعود اليه من جديد ، وهو يغادر بيته كل صباح زاعما لجيرانه أنه ذاهب الى عمله باحدى الشركات ، ويروح يمارس النشل فى السيارات العامة ، وكان يعود أحيانا من جولته خالى الوفاض يحمل محفظة خاوية أو قلم حبر زهيد الثمن ‥ وأحيانا يلازمه التوفيق فيعود وفى جيبه بضعة جنيهات ...

كان اليوم من أيام الشتاء الباردة ‥ وخلف جمعه الحى الشعبى الذى يسكنه وراءه ‥ وهو لاينقطع عن التفكير فى ابنه الوحيد الذى يحبه الحب كله ‥ والذى تركه فى البيت مريضا بمرض خطير هو الدفتريا ..

وانطلق متحفزا ليبدأ جولته اليومية ٠

وسرعان ماطوته طرقات القاهرة المزدحمة ..

وفى الحارة السد الضيقة ، وفى الحجرة الصغيرة كانت «أم عبده» زوجة جمعه تقف الى جانب طفلها المريض الذى يلتقط أنفاسه بصعوبة وجهد ‥ وفجأة رأت وجهه يمتقع وأنفاسه تخفت ورأسه تميل ‥ فاصيبت المرأة بذعر شديد ، وحملت الطفل وجرت به الى الطبيب الذى لايبعد كثيرا عن البيت ٠

وأسعفه الطبيب ‥ أعطاه حقنة وبضع نقط من دواء ردت اليه أنفاسه الخافتة ‥ وكتب له دواء جديدا ‥ وطلب اليها أن تبادر باحضاره ٠

وعادت بالطفل الى البيت ‥ ووضعته على الفراش .. ووقفت الى جانبه حائرة لاتدرى ماذا تفعل ، فان القروش القليلة التى تملكها لاتكفى لشراء الدواء ٠

وطلبت من جاراتها من سكان البيت

أن يقرضنها بعض النقود ريثما يعود زوجها لتشترى الدواء للطفل المريض ، ولكنهن اعتذرن ، فلم يكن يملكن نقودا

وقصـــدت صيدلية الحى وسالت الصيدلى أن يعطيها الدواء ، فاذا عـــاد زوجها من العمل جاءت له بالنقود ٠٠ ولكنه لم يجـــد الدواء المطـــلوب فى صيدليته ٠

وبينما هى عائدة الى بيتها وهى تكاد تبكى من الغيظ والقهر وقع بصرها على جارهم السيد احمد ، وهو رجل طيب ثرى يسكن فى نفس الشارع ، وله فى الحى اكثر من بيت ، وهو كثيرا مايقدم الخدمات لجيرانه ويعطف عليهم ويساعدهم فى الملمات ٠

وتقدمت منه وجلة ٠٠ وحيته ٠٠ ثم قالت له فى صوت مرتجف وفى عيونها دموع وهى تعرض أمام عينيـــه تذكرة الطبيب ٠

ـ هل تتكرم ياسيدى جزاك الله كل خير وتحضر لى هذا الدواء من احـــدى الصيدليات ٠٠ فانه غير موجود بصيدلية الحى وابنى مريض بالدفتريا وكان من لحظات يعانى من اختناق شديد ولو لم أسارع بحمله الى الطبيب لمات لساعته ٠ وهو فى حاجة شديدة اليـــه الآن وابوه لا يعود عادة الا فى المساء . وحين يعود سارد لك ثمنه ٠

تطلع الرجـــل الى المرأة المضطربة الدامعة العينين فى اشفاق ثم تناول منها تذكرة الطبيب وقال لها فى رقة وعطف:

ـ سأحضر لك الدواء ٠٠ فلا تحملى هم شىء ٠٠ نحن جيران واعتبريه هدية منى ٠٠

نظرت اليه المرأة فى اكبار . . وأشرق وجهها الحزين ، وأخذت تدعو له بالصحة وطول البقاء ٠

ومضى الرجل ليركب الاتوبيس قاصدا احدى الصيدليات الكبرى ٠

وكان الاتوبيس مزدحما كالعادة ٠٠ مشحونا كأنه علبة سردين ٠٠ أناس يركبون ٠٠ واناس يهبطون ٠٠ ومن احدى المحطات قفـــز اليه « جمعة » النشال ٠٠٠

واندس جمعة بين الركاب . . وهو يختلس اليهم النظر ، ويفحصهم بنظراته منقبا بينهم عن صيد ثمين ٠٠ وفجأة وقع بصره على صيد ثمين . . وفجـــأة لافندى الثرى الطيب ٠٠ ياله من صيد ثمين ٠

وقال جمعه لنفســـه وقد اهتز من فرط النشوة .

ـ لكنه جارى ٠٠ وقد أوصى النبى على سابع جار ٠ ٠ لكنه ثرى جدا ٠ ٠ ولن يضيره ان يفقد محفظة بها بضعة جنيهات ٠ ٠ والولد مريض جدا ٠ ٠ ونحن فى حاجة الى نقود ٠٠ وهو قطعا ليس فى حاجة الى النقود التى فى جيبه ولن يخسر كثيرا لو نقلت المحفظة من جيبه الى جيبى ، فهو يملك مالا كثيرا ، أما انا فليس لى مورد للرزق ٠

وفى لحظة كلمح البصر نقل محفظة السيد احمد الى جيبه ٠٠ ثم سرعـان ماغادر العربة فى هدوء كأنه الطيف ٠

وعندما قدم الســـيد احمد تذكرة الطبيب الى الصيدلى واحضر له الرجل الدواء مد يده يتناول محفظته فاكتشف فقدها ، فاعتذر للرجل وغادر الصيدلية وهو يشعر بالحرج ٠

وراح يبحث فى جيوبه عن نقود للعودة ، فعثر فى جيب الجاكتة الصغير الذى يضع فيه النقود الصغيرة ببضعة قروش تكفيه للعودة ‥ لكنه وقف فى مكانه مترددا ‥ وبدت أمام عينيه صورة المرأة الممتقعة الدامعة العينين ‥

كيف يعود فارغ اليدين بدون الدواء والطفل فى حالة خطرة ‥ وحتى لو عاد الى البيت ليأتى بنقود فسوف يمر وقت طويل ، وقد يمر الطفل بأزمة اخرى ويموت .

وأخذ يشحذ ذهنه ليصل الى حل ‥ وفجأة تذكر صاحب صيدلية يعرفه من قديم .

ـ أجل ‥ الخواجه يوسف ‥ رجل طيب ‥ سأذهب اليه واحضر الدواء وفى الغد أحمل اليه الثمن ‥ .

وعاد الى الحى يحمل الدواء الى الطفل المريض ‥ وذهب بنفسه فقدمه لامه ، واطمأن على حالة الطفل .

وبكت «أم عبده» وهى تدعوله بالستر وطول العمر ‥ ثم مضى الى بيته وهو يشعر براحة عميقة .

وأقبل المساء ‥

وفى الحجرة الصغيرة أضاءت الام «اللمبة نمرة خمسة» واحكمت اغلاق النوافذ الخشبية ، فقد كان البرد شديدا وكانت الرياح تعصف فى الخارج . وتنفذ الى داخل الحجرة من خلال شقوق النوافذ .

ووقفت الى جوار طفلها باسمة الوجه سعيدة ، فقد تحسنت حالته كثيرا ، واصبح يتنفس تنفسا هادئا منتظما ، وردت الدماء الى وجهه الشاحب الممتقع .



ودخل زوجها عائدا من جولته باسما مشرق الوجه فقد وفق كثيرا فى يومه · واقترب من الفراش يتطلع الى ابنه · وهو يسألها عن حالته ...

وقصت عليه ما حدث .

وابتسم الرجل ·· ثم أخذ يضحك ، وقال لها وهو لاينقطع عن الضحك :

ـ تصورى ·· لقد نشلت السيد احمد بينما هو ذاهب ليحضر الدواء لابنى

وقالت المرأة وقد تملكتها الدهشة :

ـ ولكنه رغم هذا أحضر لى الدواء بنفسه واطمأن على الطفل .

كانت المرأة واقفة شبه ذاهلة وهى تردد فى صوت خافت : «ياله من رجل كله الخير والمروءة» ·

وكانت الرياح تهب فى الخارج · وتنفذ الى داخل الحجرة من خلال شقوق النوافذ ، وتعبث بضوء «اللمبة» عبثا شديدا .. ولكن « اللمبة » لم تنطفىء رغم هبوب الرياح .. !

وظلت المرأة جامدة فى مكانها تفكر فى الخير الذى فعله السيد احمد من أجل طفلها ·· والذى يفعله دائما من أجل جيرانه ·

واعتزمت أمرا ..

وفى الصباح فوجىء السيد احمد بحافظة نقوده كاملة فى صندوق البوستة .. !

أما جمعه فقد هزه الحادث كثيرا . وأصبح يشكر أكثر من مرة قبل أن يلتقط حافظة نقود ·· ان يد طفله المريض تتسلل الى يده تشلها قبل أن تمتد الى جيب الضحية ·

ولاول مرة فى حياته فكر فى أن يكتسب عيشه عن طريق شريف .. وكان الله معه ...

فقد وفق فى أن يعمل فراشا فى صيدلية الحى التى تقع على ناصية الشارع ·· حقا ·· ان الشعلة لم تنطفىء رغم هبوب الرياح ·

أبو مندور

بين زينب ودعاء الكروان والأرض

بقلم : يوسف الشاروني

بالرغم من ان قصة « ابو مندور » التى ظهرت أخيرا للاستاذ محمد زكى عبد القادر لا تعالج موضوعا جديدا بالنسبة لأدبنا العربى المعاصر ، الا اننا نحس بعد قراءتها انها اضافة الى هذا الادب وتعبير عن مدى تطوره المرتبط بتطورنا الاجتماعى .

انها قصة العلاقة التى تنشأ بين الرجل السيد وبين الريفية التى تعمل فى خدمته ، والرجل هنا سيد مرتين بل ثلاث مرات : مرة لوضعه الطبقى ومرة بسبب انتمائه الى جنس الرجال ومرة ثالثة بسبب انتمائه الى مجتمع المدينة الذى يبدو فى مرتبة السيادة بالنسبة لمجتمع القرية ، فهى علاقة لا يمكن ان تنشأ اذن الا فى ظل مجتمع يتقبل بل ويتمنى هذه السيادات المختلفة ، ولا عجب فأحداث القصة تبدأ عام ١٩١٨ وتدور بين القاهرة وقرية من قرى مديرية الشرقية .

ولهذا فعلاقة رفعت بك ابن سعادة المفتش بالفلاحة صبحة فى قصة ابو مندور التى نشرت عام ١٩٦٣ تذكرنا على الفور بعلاقة حامد بزينب فى قصة محمد حسين هيكل التى نشرت لاول مرة عام ١٩١٤ ، وبعلاقة مهندس الرى بآمنة فى قصة دعاء الكروان لطه حسين التى نشرت عام ١٩٣٤ ، ولعل جانبا من الاختلاف بين هذه العلاقات الثلاث وطريقة التعبير عنها يرجع الى الاختلاف بين ظروفنا الاجتماعية التى انتجت هذه الاعمال الثلاثة فى فترات متباعدة نسبيا

فمما تجدر الاشارة اليه أن التباعد فى تاريخ الكتابة والنشر أكبر مما هو بين أحداث القصص الثلاث . لان وقوع احداث قصة « أبو مندور » عام١٩١٨ يجعلها فى فترة قريبة من أحداث قصتى زينب ودعاء الكروان .

— ٢ —

وقصة ابو مندور قسمان يقول مؤلفها :

ان القسم الاول رواه محمود أبو مندور ، وانه — اى مؤلفها — تولى رواية القسم الثانى . والواقع أن المؤلف هو الذى روى لنا القصة كلها ، كل ما هناك اننا نستمع في القسم الاول الى روايته لما رواه له محمود أبو مندور، فنحن نستمع الى رواية داخل رواية ، ولا يتلقى القارىء رواية محمود أبو مندور له مباشرة . **وقد تسبب ذلك في انقطاع** السياق الروائى **اكثر من مرة لنستمع الى تعليقات** المؤلف . **ويبدو ان المؤلف كان يريد أن يعطينا بذلك صورة لشخصية محمود أبو** مندور ، وكان يمكنه أن **يكتفى بما يرويه محمود** أبو مندور مباشرة ، **ليستخلص القارىء من** ذلك صورة الشخصية.

وقد بلغت طريقة السرد حدا من التعقيد فى بعض الاحيان حين نستمع للمؤلف يروى عن محمود ابو مندور وهو يروى بدوره عن أخته صبحة ، ولو أن المؤلف روى لنا القسم الاول كما روى القسم الثانى لتخلص من هذا المأزق ، فبالاضافة الى أنه لم تكن هناك ضرورة فنية تلجئه الى مثل هذه الطريقة فى رواية الجزء الاول ، فان هذه الطريقة نفسها قد أوقعته فى مآزق فنية كان هو فى غنى عنها ، وخير دليل على ذلك هو خلو القسم الثانى من هذه المآخذ . فنحن نستمع فى القسم الاول الى محمود ابو مندور يروى أحداثا لا يمكن أن تصل الى علمه ، انما هى فى علم المؤلف باعتباره خالقا للعمل الفنى . مثال ذلك روايته ماحدث من مشادة بين رفعت بك وابيه المفتش عقب القبض على رجال التفتيش، وهى مشادة لم يشهدها ولم يترام نبأها الا للمؤلف نفسه باعتباره خالقا للعمل الفنى ، وكذلك تحليله للصراع النفسى الذى تعرض له رفعت بك عندما استعصت عليه صبحة . ففضلا عن ان تحليل هذا الصراع — لو وصل الى علم محمود ابو مندور بطريقة خارقة — فانه فوق مستواه ، لهذا نلمح المؤلف واضحا كل الوضوح وهو يتحدث من خلال محمود ابو مندور موظف الاوقاف الصغير الذى لم يتعلم الا فى الكتاب وهو يتحدث عن علاقة رفعت بك بأخته صبحة ، قائلا : كانت ترتفع اليه وتنخفض ، وينزل اليها ويرتفع . لم يكن يستقر على حال.. احيانا تسيطر عليه فكرة اغتصابها ولكنه يشمئز ، واحيانا يشعر انها اكثر من خادم فيأبى ان يردها الى مرتبة الخادم .. الى آخر هذا التحليل الذى لايمكن ان يصدر الا عن المؤلف المحايد وليس عن الاخ الفلاح المتعاطف مع اخته او الثائر على تصرفات رفعت بك .

اما القسم الثانى فيتبع الطريقة الكلاسيكية فى تتبع الاحداث مع جانب من شخصيات القصة حتى تصل بهم الى نقطة معينة ، ثم تعود القهقرى لتجلو ما وقع فى هذه الاثناء للجانب الآخر من الشخصيات .

— ٣ —

لهذا لا نستطيع ان نقرر ان قصة ابو مندور من الناحية الشكلية تعبر عن مدى تطورنا الروائى المعاصر ، انما

الاضافة الحقيقة فى هذه القصة هو انها تعالج العلاقة بين رفعت بك وصبحة على نحو فردى كما كان الشأن بين حامد وزينب أو بين مهندس الرى وآمنة ، بل هى علاقة اشترك فيها المجتمع كله ، فالصراع بين السيد وخادمته صراع بين طبقتين ، قد ينضم فيه افراد احدى الطبقتين الى الاخرى اما لمصالحهم الفردية كما فعل بعض فلاحى القرية مثل متولى ناظر التفتيش حين انضموا الى رفعت بك ، واما لاتجاهاتهم الفكرية كما فعل الحسينى بك رئيس النيابة الثرى الذى رفض ما تعرض له من ضغط حتى يتحيز فى التحقيق لصالح رفعت بك وفضل أن يستقبل تشجعه على ذلك ثروته ليعمل محاميا ويدافع عن صبحة واخيها وانصارهما ، ولكن طبيعة الصراع تظل فى جوهرها : مالك يريد أن يغتصب خادمته ، واقطاعى يريد أن يغتصب فلاحيه ، وليس صمود صبحة امام وعد رفعت بك ووعيده حدثا فرديا بل لقد ارتبط ارتباطا وثيقا بانتقام الفلاحين من رفعت بك عندما تحداهم فى قريتهم . لقد بدا ان هذا الهجوم هو ثورة من الفلاحين لعرضهم الذى حاول رفعت بك أن يغتصبه ، لكنه كان فى واقع الامر فرصة للتعبير عن سخطهم على نظام يعانون منه ، ويجلس رفعت بك فوق قمته ، تماما كما بدا صمود صبحة أمام رفعت بك كأنما هو مجرد دفاع عذراء ريفية عن شرفها بينما هو فى واقع الامر رمز لدفاع جماهير الفلاحين الذين خرجت صبحة من صلبهم امام محاولات السادة لاغتصاب ما تبقى لهم من كرامة .

ليس غريبا اذن ان نجد المسحة الرومانسية تسيطر على روايتى زينب ودعاء الكروان ، بينما تناى قصة أبو مندور عن هذه المسحة وتقترب من الادب الواقعى الى حد كبير . ولناخذ كيف تناول كتابنا الريف فى هذه الروايات الثلاث . ان كتابنا بمجرد اختيارهم موضوعات رواياتهم انما يعترفون بوجود مجتمع فيه سادة وخدم ، وهم بمجرد منح شخصياتهم النسائية موقف الصلابة امام اغراء سادتهم انما يعترفون بما تضطرم به نفوس هذه الفئة المضطهدة من ثورة . ولكن حسين هيكل فى زينب وطه حسين فى دعاء الكروان لا يسمحان لهذه الثورة بالتعبير عن نفسها فى غير نطاقها الفردى .

فحسين هيكل يقرر فى روايته أن العمال الزراعيين : تعودوا ذلك الرق الدائم ينحنون لسلطانه من غير شكوى ومن غير أن يدخل الى نفوسهم قلقا ، يعملون دائما ومن غير ملال ، ويرقبون بعيونهم نتائج عملهم زاهرة ناضرة ثم يقطف ثمرتها سيد مالك كم فكر فى انه يبيع قطنه بأغلى ثمن ويؤجر ارضه بأرفع قيمة ، وفى الوقت عينه يستغل الفلاح نظير قوته الحقير ، ولم يدر بخاطر السيد يوما أن يمد له يد معونة أو أن يرفعه من درك الرق الذى يعيش فيه . وكأنه ما علم أن هذا المجموع العامل يكون اكثر نفعا كلما زادت أمامه أسباب المعيشة وتوفرت عنده دواعى الطمع فى أن يحيا حياة انسانية : (طبعة دار الهلال ــ القاهرة ــ يناير سنة ١٩٥٣ ــ ص ٢٠ ، ٢١)

وهكذا نجد أن حسين هيكل بالرغم من اعترافه باستغلال الفلاح الا انه يزعم انه لا يشكو هذا الاستغلال ، ويعيب على السيد انه لا يمد يد المعونة لهذا الرقيق حتى يكون اكثر نفعا له ، فكأن

كل ما يطالب به حسين هيكل هو وجود أسياد اكثر ذكاء .

أما طه حسين فقد وصف حياة آمنة فى القرية على لسانها بأنها : كلها شظف وخشونة ، وكلها جهل وغفلة ، وكلها رجوع الى ذلك الطور الابله الذى جعلت اخرج منه قليلا قليلا .. (دار المعارف ـ القاهرة ـ الطبعة الاولى ـ سنة ١٩٤١ ـ ص ٦٨) ، وهكذا يعبر لنا طه حسين عن وعى بطلته ـ كما يقول الاستاذ بدر الدين الديب ـ بهذه الالفاظ المجردة العامة التى تجنب الكاتب بها الدخول فى تجارب وتفاصيل مستمدة من حياة بطلته. (دعاء الكروان ـ أو طه حسين روائى ـ مجلة الاديب ـ بيروت ـ يونية سنة ١٩٥٣ ـ ص ٢٤) بل انه ما يلبث ان يصور اهل الريف كما سبق أن صورهم حسين هيكل ، فأم آمنة تهيب بابنتها قائلة : انظرى الى هؤلاء الرجال والنساء والى هؤلاء الفتيان والفتيات ، قد ملأهم النشاط وبعث فيهم الجد حياة لا حد لها . فهم يذهبون ويجيئون وهم يعملون لا يعرفون كللا ولا سأما وأصواتهم ترتفع لا بالشكوى ولا بالأنين وانما ترتفع بهذا الغناء الساذج الحلو الذى يبعث فى الجو نغمات ساذجة حلوة ، والذى يصور الامل فى غير اسراف ، والرضى فى غير استكانة ، والاطمئنان فى غير حزن ، وحب العمل على كل حال والثقة بالله على كل حال. (دعاء الكروان ـ دار المعارف ـ ط١ سنة ١٩٤١ ـ ص ٧٦ ، ٧٧) .

أما محمد زكى عبد القادر فانه لا ينظر هذه النظرة المزيفة الى اهل الريف ، ولا يعبر عنه فى كلمات مجردة عامة ، ان الريف فى وعى بطلته وكما جاء على لسانها : بالليل انام على الشوك، حاقعد طول عمرى فى التفتيش أروح وآجى ، استحمل رزالة متولى الناظر والخولية ، اشتغلى يا بنت انت وهى .. اللوزة دى سايباها ليه يابت .. وسلسلة من الشتائم لا تنتهى ، وآخر النهار أروح مهدودة القاك انت يا محمود لابس جلابية مقطعة وابويا مش قادر يشيل دراعه من الفاس طول النهار ، وامى مشدودة عمالة تشتم وتلعن . (أبو مندور ـ الدار القومية ـ القاهرة ـ ص ٥٥) . هنا نحن أمام تفاصيل ووقائع وخبرة . وأهل الريف ليسوا ـ كما صورهم هيكل وطه حسين ـ راضين قانعين بأوضاعهم، فان صبحة ما تلبث ان تستطرد قائلة: كنت بتشوفنى هادية يامحمود، ساكتة كأنى مش باحس ولا باعرف ـ انا كنت باغلى من جوه لكن اعمل ايه . (المرجع السابق ص ٥٥) .

ويبلغ التعبير عن مدى تأخر ريفنا فى مقابل مجتمع المدينة ، ليس من خلال حوار شخصيات القصة ، بل من خلال تطور الاحداث نفسها ، عندما يخطب رفعت بك ابنة احد الباشوات ، وتجد صبحة أن آمالها تحطمت فيفلح الحاج اخيها بالعودة الى القرية ، وعندما بلغا البندر طلب منها اخوها ان تغير ملابسها « ولفوتك كمان يا صبحة ، أرجعى زى ما كنت .. انسى اللى شفتيه » . (المرجع السابق ص ٩٤) .

ـ ٤ ـ

ان الريف الذى نتعرف عليه فى قصة أبو مندور قريب الشبه بالريف الذى

نتعرف عليه فى قصة الارض لعبد الرحمن الشرقاوى ، لهذا فموقف الفلاحين فى كلا القصتين من اصحاب السلطان فى المدينة — مع اختلاف الاسباب — كان أيضا متشابها . وكما اختلف الريف فى قصة أبو مندور عن الريف فى قصتى زينب ودعاء الكروان ، كذلك اختلف عنهما الريف فى قصة الارض .. يقول عبد الرحمن الشرقاوى مقارنا " وتمنيت لو ان قريتى كانت هى الاخرى بلا متاعب ، كالقرية التى عاشت فيها زينب ... الفلاحون فيها لا يتشاجرون على الماء، والحكومة لا تحرمهم من الرى ولاتحاول ان تنتزع منهم الارض او ترسل اليهم رجالا بملابس صفراء يضربونهم بالكرابيج والاطفال فيها لا ياكلون الطين ولا يحط الذباب على عيونهم الحلوة . وتمنيت لو أن قريتى كانت هى الاخرى كقرية «زينب» لا ينزل فيها من الرجال والنساء بعد البول دم وصديد ولا يدهم اهلها المرض المفاجىء فى جفونهم ، فيتلوى الانسان منهم لحظة ويطلق صرخات يائسة فاجعةمن حدة الالم .. ثم يسكت .. يسكتالى الابد. (الارض — دار روزاليوسف — يونية سنة١٩٥٤ — جزء ٢ — ص١٤٣) لكن صاحب الارض مايلبث أنيستطرد فى مقارنته قائلا : ولمتعرف قرية زينب زهو النصر وهى تتحدى القضاء والانجليز والعمدة والحكومة وتنتصر لبعض الوقت . (المرجع السابق ص ١٤٤) .

ولئن انحصر التعبير فى قصة أبو مندور عن الصراع بين الفلاحين من جانب ورفعت بك ومن يناصرونه من رجال الحكم من جانب آخر فى تلك المعركة التى دارت بينالجانبين وكسرت فيها ذراع رفعت بك ثم ما تلا ذلك من اجراءات التحقيق والمحاكمة ، فقد اتاحت طبيعة الصراع فى رواية الارض أن تتعدد جوانب التعبير عنه ، فلم ينحصر فى مجرد الصراع المباشر بين الفلاحين ومن يريدون أنيغتصبوا منهم مياههم واراضيهم ، بل ساندت هذا الصراع ظواهر اخرى اهمها ظاهرتان : اولهما ثورة فكرية من جانب بعض الفلاحين على العقائد التى تدعمسيطرة مغتصبيهم ، وثانيهما محاولة الكاتب التغلغل فى نفسية الشخصيات التى يستخدمها السادة لارهاب هؤلاء الفلاحين لنكشف معه فى النهاية انهم ينتمون الى نفسطبقة الفلاحين وليسوا الا مجرد ادوات يستغلها السادة تماما كمايستغلون الفلاحين ، وهكذا تتكشف تلك العداوة الظاهرية عن شعور مشترك بالماساة والرغبة فى الثورة.

اما الثورةالفكريةفيمثلها عبدالهادى، فهو لايؤمن بما يردده الشيخ الشناوى من ان اغتصاب الحكومة مياه الفلاحين وارضهم لصالح التفتيش لعنة حلت على القرية لانها لا تصلى وتعصى أوامر الله ، وان ارض الباشا تنعم بالمياه خمسة ايام كلاسبوع لانه يؤتى الزكاة والقرية تمنعها . بل يرى عبد الهادى ان أهل قريته لا يملكون ما يدفعونه للزكاة ، وان فى تلك القرى البعيدةالتى سمع عنها لا يدفع صاحب الارضزكاة ولايؤدى صلاة ، ومعذلك فالماء يجرى فى ارضه والحبوب تتكدس فى مخازنه وغضب الله لا يعرف طريقا اليه ...

وهذا الرجل يسرق من الانفار ويشرب الخمر فى نهار رمضان ويغتصب الفتاة التى تعجبه ويظل بعد كل هذا بعيدا عن غضب الله .. ولا تحجز الحكومة على ارضه وتفدق عليه الماء . (الارض - ج ١ - ص ٨٨) . بل ان القرية كلها لا تصدق هذا التعليل او التبرير (الارض - ج ١ - ص ٩٤) .

اما الكشف عن نفسية بعض الشخصيات التى كان يستخدمها السادة فى اضطهاد الجماهير وارهابها لتكشف لنا عن وجه آخر مختلف عن ذلك كل الاختلاف فواضح مثلا عندما اقبل موظفو المساحة الثلاثة على عمدة القرية فلم يعجبه تصرفهم ، فسلط عليهم الشيخ شعبان مدعى الدروشة حتى ضايقهم فصاح أحدهم فيه « غور كده حاتقطع البدلة اللى جايبينها بالتيلة . يعنى شايفنا مبسوطين قوى من الشغلة دى . جاى تقرفنا كمان (الارض - ج ٢ - ص ٩٥) . أما قصة الشاويش عبد الله رئيس الهجانة الذى جاء مع زملائه ليؤدبوا أهل القرية على جراتهم فهى اكثر وضوحا ، فبعد أن اظهر المؤلف الجانب الرسمى للشاويش عبدالله، وهو جانب لايعرف الرحمة ولا التفاهم ، يعود فيذكر لنا انه جلس « يفكر فى امه وهو يحدث نفسه فى ندم انه ضرب فى هذه القرية رجالا كأبيه ، ونساء كأمه ، وضرب أيضا اطفالا صغارا كأخوته.. وكالاطفال الذين احبهم فى قريته ، (الارض - ج ٢ - ص ١٤١) . ثم يكشف لنا عن طبيعته الانسانية شيئا فشيئا حتى انه جلس مع أهل القرية - الذين سبق ان ادبهم بكرباجه - ليحدثهم عن أسرته التى تشقى فى اسوان ويغنى فى نغم حزين :

اشمعنى جفاهم ابيض
وجفانا جالوص طين
واشمعنى الخير حداهم
واحنا شحاتين

ثم تتطور شخصيته حتى يعتدى على مامور المركز دفاعا عن أهل القرية، مما عده بعض النقاد مبالغة وعيبا فنيا فى القصة .

حقا اننا نجد في قصة أبومندور شخصيات من طبقة السادة أو ممن يستخدمونهم كادوات اضطهاد ، تعطف على الفلاحين ، أو تقف الى جانبهم مثل ضابط النقطة بهجت خلف ومثل وكيل النيابة ورئيس النيابة وعايدة هانم أخت رفعت بك ووالدها المفتش نفسه ، لكنهم يتخذون هذا الموقف منذ بدء القصة لايعانون صراعا ما ، ولايناقش المؤلف موقفهم من داخلهم بحيث بدت مواقف العطف والتأييد غير مفهومة أو مبررة في كثير من الاحيان ، وبحيث تبدو معظم هذه الشخصيات مسطحة لا عمق لها .

لهذا كله بدت طبيعة الصراع فى قرية «الارض» اعمق واشمل من طبيعة الصراع فى قرية « ابو مندور » ، ولعل هذا الخلاف كان له اثره فى نهاية كل من الروايتين . فمؤلف قصة «أبومندور» كان اميل الى الانتهاء بالمصالحة بين الطرفين كانما صراعهما كان مجرد رومانسية : مش حانساك يا صبحة ابدا ! .. انت علمتينى كتير (ابو مندور - ص ١٧٢) . وعندما ماتت صبحة مشى رفعت بك فى جنازتها . وهكذا جمعت نهاية قصة « ابو مندور » بين نهايتى زينب ودعاء الكروان ، فالاقتراب الذى

حدث فى النهاية بين رفعت بك وصبحة اشبه بتلك المصالحة التى حدثت فى النهاية وبصورة اوضح بين آمنة ومهندس الرى وهى المصالحة التى انتهت بتهيئهما للزواج ، وكما ماتت زينب شهيدة لانها تزوجت رغم انفها فقد ماتت صبحة « قديسة جفت على عودها .. عذراء لم يمسسها بشر ».

اما قصةالارض فانها تنتهىوالصراع ما يزال مستمرا لانه كان ـ كما قلنا ـ أعمق واشمل وبحيث انعكس فى تعدد جوانب التعبير عنه .

ان تطور حياتنا الاجتماعية اليومقد أوحى بلاشك بتطور الاحداث فى قصة ابو مندور ، وكانما الاستاذ محمد زكى عبد القادر يريد ان يقول انتطورنا الاجتماعى الحاضر ، كانت له مقدماته التى مهدت له بحيث جاء منطقيا مع هذه المقدمات ، فقد كان ريفنا منذ اكثر من أربعين عاما يضطرم بروح التململ والثورة متلمسا طريقه نحو عدالة اجتماعية يفتقدها، وهذا ماسبق اناعلنه عبدالرحمن الشرقاوى فىروايته الارض قبل ذلك بعشر سنوات . لهذا فلئن كانت رواية الارض تحمل روح الاهابة والتنبيه فان قصة «ابو مندور» تحمل روح التفسير والتعليل .

يوم اللقاء

متولى

من القصص العربي القديمة

قال الطفيل بن عامر العمرى : خرجت ذات يوم أريد المغارة — وكنت رجلا أحب الوحدة — فبينا انا أسير ؟ اذ ضللت الطريق الذى اردته ، فسرت أياما لا أدرى أين أتوجه ، حتى نفد زادى ، فجعلت آكل الحشيش وورق الشجر حتى اشرفت على الهلاك ، ويئست من الحياة .

فبينا انا اسير اذ ابصرت قطيع غنم فى ناحيــة من الطريق ، فملت اليها ، واذا شاب حسن الوجه ، فصيح اللسان .

قال لى : يابن العم ، أين تريد ؟ فقلت : أردت حاجة لى فى بعض المدن ، وما أظنني الا قد ضللت الطريق . قال : أجل ؟ ان بينك وبين الطريق مسيرة أيام ، فانزل حتى تستريح وتطمئن وتريح فرسك .

فنزلت فرمى لفرسي حشيشا ، وجاء الى بثريد كثير ولبن ، ثم قام الى كبش فذبحه ، وأجج نارا ، وجعــل يكبب لى . ويطعمنى حتى اكتفيت .

فلما جننى الليل قام وفرش لى ، وقال : قم فارم بنفســك ، فان النوم أذهب لتعبك ، وارجع لنفسك .

فقمت ووضعت راسي ، فبينا أنا نائم اذ اقبلت جارية لم تر عيناى مثلها قط حسنا وجمالا ، فقعدت الى الفتى ، وجعل كــل واحد منهما يشكو الى صاحبه ما يلقى من الوجد به ، فامتنع على النوم لحسن حديثهما فلما كان وقت السحر ، قامت الى منزلها ، فلما أصبحنا دنوت منه ، فقلت له : من الرجل : قال : انا فلان ابن فلان ، وانتسب لى فعرفته ، فقلت له : ويحك ! ان اباك لسيد قومه ، فما

حملك على وضعك نفسك فى هذا المكان ؟ فقال : انا والله اخبرك :

كنت عاشقا لابنة عمى هذه التى رايتها ، وكانت هى أيضـــا لى وامقة فشـــاع خبرنا فى الناس ، فأتيت عمى ، فســـألته ان يزوجنيها ، فقال : يابنى ، والله سألت شططا ، وما هى بأثر عندى منك ، ولكن الناس قد تحدثوا بشيء ، وعمك يكره المقالة القبيحة ، ولكن انظر غيرها فى قومك ، حتى يقوم عمك بالواجب لك .

فقلت : لا حاجة لى فيمـــا ذكرت ، وتحملت عليه بجماعة من قومى فردهم ، وزوجها رجلا من ثقيف له رياسة وقدر ، فحملها الى هنا ـــ واشار بيده الى خيم كثيرة بالقرب منا ـــ فضاقت على الدنيا برحبها ، وخرجت فى اثرها ، فلما راتنى فرحت فرحا شديدا ، فقلت لها : لا تخبرى احدا انى منك بسبيل ، ثم أتيت زوجها ، وقلت : أنا رجل من الأزد ، أصبت دما وأنا خائف ، وقد قصدتك لما اعرف من رغبتك فى اصطناع المعروف ، ولى بصر بالغنم ، ان رأيت ان تعطينى من غنمك شيئا فأكون فى جوارك وكنفك فافعل . قال : نعم .. وكرامة . فأعطانى مائة شاة وقال لى : لا تبعد بها من الحى ، وكانت ابنة عمى تخرج الى كل ليلة فى الوقت الذى رايت وتنصرف ، فلما راى حسن حال الغنم ، أعطانى هذه فرضيت من الدنيا بما ترى .

قال الطفيل : فأقمت عنده أياما ، فبينما انا نائم اذ نبهنى ، وقال : يا أخا بنى عامر . قلت له : ما شأنك ؟ قال : ان ابنة عمى قد ابطأت ولم تكن هذه عادتها ، ووالله ما أظن ذلك الا لامر حادث نحدثنى ، فجعلت أحدثه ، فانشأ يقول :

ما بـــال مية لا تأتى كعـــادتها !
هل هاجها طرب أو صدها شغل؟
لكن قلبى لا يعنيه غيرهـــم
حتى الممات ولا لى غيرهم امل
لو تعلمين الذى بى من مفارقكم
لما اعتللت ولا طابت لك العلل
نفسي فداؤك قد هيجت لى سقما
تكاد من حره الاحشاء تنفصل
لو كان عادية منه على جبـــل
لزال وانهد من اركـــانه الجبل

فوالله ما اكتحل بغمض ، حتى انفجر عمود الصبح ، وقام ومر نحو الحى فأبطأ عنى ساعة ، ثم اقبل ومعه شيء ، وجعل يبكى عليه . فقلت له : ماهذا ؟ قال : هذه ابنة عمى افترسها السبع ، فأكل بعضها ، ووضعها بالقرب منى ، فأوجع والله قلبى :

ثم تناول سيفه ومر نحو الحى ، فأبطأ هنيهة ، ثم أقبل الى ، وعلى عاتقه ليث كأنه حمار ، فقلت له : ماهذا ؟ قال : صاحبى . قلت : وكيف علمته ؟ قال : انى قصدت الموضع الذى أصابها فيه ، وعلمت أنه سيعود الى ما فضل منها ، فجاء قاصدا الى ذلك الموضع، فعلمت انه هو ، فحملت عليه فقتلته ، ثم قام فحفر فى الارض فأمعن، وأخرج ثوبا جديدا ، وقال : يا أخا بنى عامر ، اذا أنا مت فادرجنى معها فى هذا الثوب ، ثم ضعنا فى هذه الحفرة ، واهل التراب ، واكتب هذين البيتين على قبرنا وعليك السلام .

كنا على ظهرها والعيش فى مهل
والدهر يجمعنا ، والدار والوطن
فخاننا الدهر فى تفريق الفتنــا
واليوم يجمعنا فى بطنهــا الكفن

ثم التفت الى الاسد وقال :

الا ايهــا الليث المدل بنفســه
هلكت ، لقد جرت يداك لنا حزنا
وغادرتنى فردا وقد كنت الفا
وصيرت آفاق البــلاد لنا سـجنا
اأصــحب دهرا خاننى بفراقهــا
معاذ الهى أن أكون له خدنا

ثم قال : يا أخا بنى عامر ، اذا فرغت من شأننا فصح فى ادبار هذه الغنم فردها الى صاحبها .

ثم مات .. فقمت فأدرجتهما فى ذلك الثوب ، ووضعتهما فى تلك الحفرة ، وكتبت البيتين على قبرهمــا ورددت الغنــم الى صاحبها . وســألنى القوم ، فأخبرتهم الخبر ، فخرج جماعة منهم فقالوا : والله لننحرن عليه ، تعظيما له ، فخرجوا ، واخرجوا مائة ناقة ، وتسامع الناس فاجتمعوا الينا ، فنحرت ثم انصرفنا .

الحكيم والعبيط والعبد

بقلم : لاوسن
ترجمة : مختار السويفي

وهل يفعل العبد شيئا الا ان يشكو ؟ ! .. لقد ظل يبحث فى الناس عمن يستدر منهم الرحمة على حاله ويواسونه فى بلواه ...

وفى يوم ما قابل العبد رجلا حكيما ، وأخذ يحكى له ما يلاقيه ، والدموع على خديه تسيل ، وتباكيه يكاد يفطر القلوب ..

ـ سيدى .. هل تعرف أى حياة اعيش ؟ .. انى اعامل كالكلاب .. انى آكل وجبة واحدة كل يوم .. وجبة من أعشاب الأرض قد تأنف من اكلها الخنازير .. وماذا ترانى أصيب منها ؟ .. ثمالة ضئيلة فى طبق حقير .. !

فقال الرجل الحكيم مواسيا :

ـ ان هذا أمر سيىء للغاية . . يا حرام !

فرد عليه العبد وقد انتعشت نفسه بالمواساة :

ـ الم أقل لك يا سيدى ان هذا أمر سيىء .. اذن ، فلتعلم يا سيدى ايضا انى اعمل كالثور جل الليل وطول النهار : فى الفجر املأ جرار المياه ، وقبل الشروق أعد الافطار ، ومن الصباح الى الضحى أوزع الرسائل واشترى الحاجيات .. وعند الظهر أطبخ.. وعند العصر أطحن الحبوب.. وبعد الغروب أعد العشاء .. وفى نصف الليل اغلى « عش الغراب » واعد الفناجين .. وحتى الفجر اظل مؤتمرا باوامر المقامرين .. سيدى الكبير ورفاقه العظام ! .. أنا عندما تصحو السماء أغسل الثياب ، وان امطرت احمل « المطرية » وأسير وراء الاسياد .. !

فقال الحكيم متنهدا فى اشفاق ، والدموع تكاد تطفر من عينيه :

ـ يا حرام .. يا حرام ! !

فقال العبد فى نغمة من وجد اخيرا شخصا يواسيه :

ـ ارايت يا سيدى ؟ .. انى لا أستطيع أن احتمل أكثر من ذلك .. لابد ان اجد مخرجا .. ولكنى لا اعرف كيف ؟ !

فقال الحكيم مستلهما منابع الحكمة :

ـ لا شك ان الأمور ستتحسن ..!

فرد العبد كمن عادت اليه الروح:

ـ هل تظن ذلك يا سيدى ؟ .. ليته يكون ! .. ها انذا قد حكيت لك حياتى ياسيدى ، فواسيتنى وشملتنى بعطفك ورحمتك .. انى اشعر الآن بالتحسن .. ان هذا يدل على أن العدل ما زال يأخذ مجراه فى هذا العالم .. ! !

* * *

ودارت الأيام ...

وقابل العبد رجلا عبيطا .. واخذ يبثه شكواه .. ويسترحمه على بلواه .. وبين الدموع قال :

ـ سيدى . . هل تعرف أين اعيش؟.. عشة قذرة انتن من حظيرة الخنازير .. ان سيدى الكبير لا يعاملنى كانسان .. انه يعامل كلبه اكرم منى عشرة آلاف مرة ! !

ـ يخرب بيته !..وكيف تسكت..؟

ـ يا سيدى اسمعنى .. ان كوخى حقير .. حقير جدا وتحت الأرض ى بدروم .. بارد جدا ورطب للغاية.. اعيش فيه أنا واكثر من مائة الف بقة .. ينهشون جسمى ويعضون لحمى كأن لم يكفهم الحيطان والخشب .. الجو فى كوخى مكتوم لا هواء فيه .. يخيل اليك كأنك ستختنق . . ولا نافذة هناك تدخل نسمة واحدة ترد اليك الروح ...

ـ يخرب بيتك .. والا لماذا تسكت .. لماذا لم تطلب من سيدك أن يفتح لك نافذة ..

ـ ويلاه .. وكيف اجسر ؟ !

ولأن الرجل كان عبيطا ، فقد جذب العبد من يديه وهو يصيح بأعلى صوت ممكن :

ـ لا .. فلترنى القبر الذى تعيش فيه .. كيف يكون بلا نافذة ؟

وعندما وصل الاثنان الى الكوخ ، تقدم العبيط واخذ يحفر الحائط ، فهب العبد مذعورا وصاح :

ـ سيدى .. ما هذا الذى تفعل ؟

ـ افتح لك نافذة .. الا ترى ؟!

ـ سيدى . . هذا مستحيل .. ان سيدى الكبير سيشتمنى !

ـ فلتدعه .. لابد أن تفتح لك نافذة ..

واستمر العبيط فى الحفر .. ولم يجد العبد بدا من أن يصرخ عاليا ويبكى ويلطم خديه :

ـ الحقونى . . الحقونى . . لص يهدم البيت .. اسرعوا والا انهدم الحائط !

ثم ارتمى العبد على الارض وهو يبكى ويندب .. وجاء عبيد كثيرون وابعدوا العبيط .. ثم جاء اخيرا ـ وئيد الخطى ـ السيد الكبير ..

فقام العبد من الأرض وانحنى .. وقال وشفتاه على وشك ان تذوبا من حرارة الاحترام :

ـ لقد جاء لص شرير اراد أن يهدم الدار ! فصحت عاليا وجمعت الرفاق .. ثم طردناه سويا ..

فهز السيد الكبير رأسه وقال :

ـ لقد أحسنت !

وكان النـــاس قد تجمعوا ليروا ما يدور .. وكان بينهـم الرجـل الحكيم .. فتقدم اليه العبـد مزهوا يقول :

ـ ارايت يا سيدى ؟ .. لأنى قد جعلت نفسى مفيدا فقد ظفرت بثناء سيدى الكبير .. عندما قلت لى فى الماضى « لا شك ان الأمور ستتحسن » كنت تقول الحق وتنظر الى بعيد ..

فهمهم الحكيم فى سرور :

ـ هذا صحيح .. هذا صحيح ! !



القصة فى العالم

بقلم : على شلش

الى أين تسير الرواية المعاصرة ؟

فى اواخر الصيف الماضى شهدت مدينة ليننجراد ـ لاول مرة فى تاريخها ـ مؤتمرا لادباء أوربا وكتابها . ولاول مرة أيضا يلتقى أدباء الاتحاد السوفيتى بزملائهم من أدباء وكتاب البلدان الاوربية المختلفة فيما عدا أسبانيا والبرتغال اللتين منعتا أدباءها من حضور المؤتمر .

واتخذت جلسات المؤتمر ـ التى دامت بضعة أيام ـ شكل المائدة المستديرة ، حيث تدارس الادباء والكتاب عددا من القضايا الادبية الهامة، كان على رأسها قضية « الروايو المعاصرة اتجاهاتها ومصيرها » .

وقد شهد المؤتمرعدد كبير من الكتاب والشعراء والنقاد والمفكرين والناشرين ، نذكر من بينهم: انجوس ويلسون، وليام جولدنج ، برنارد وول (انجلترا) بانتيلى زاريف (بلغاريا) تيبور ديرى وجابور تولناى (ايجر) هانزكوش (ألمانيا الديموقراطية) الياس فينزيس(اليونان) كات أوبرين (ايرلندا) جوزيبى اونجاريتى ، جيانكارلو فيجوريللى ، جويدو بيوفينى ، انزو باتشى (ايطاليا) ريزار ماتوزوسكى (بولندا) هانز ورنر ريختر (المانيا الاتحادية) كاى لايتينين (فنلندا) سارتر ، الان روب جرييه ، ناتالى ساروت برنار بنجو (فرنسا) ايفان لاليتش (يوغوسلافيا) شولوخوف اهرنبورج ، سيمونوف ، كونستانتين فيدين (الاتحاد السوفييتى) .. وغيرهم .

وقد شغلت المؤتمرين قضية الرواية المعاصرة ، فأولوها القسط الاكبر من بحثهم ونقاشهم ، ودرسوا « أزمتها الراهنة » ، و « الاخطار التى تهددها » كما حللوا بواعث هذه الازمة واوجهها . غير أن الروائيين السوفييت حاولوا أن يعرضوا القضية بشكل آخر فرضوا ـ بداءة ـ الزعم بأن الرواية المعاصرة تحتضر ، ودللوا على ازدهار هذا الجنس الادبى المعمر ذى التراث العريق ، بل انهم تنبأوا للرواية بمستقبل زاهر خصب . ومن ثمةرفضوا وضع القضية على مستوى « الازمة » ، وأضافوا ان الازمة ليست سوى حالة عامة تخص الفن الغربى وحده بشكل عام ، أوالفنان الغربى بمعنى أدق ، نتيجة لما يعانيه من تناقض ويأس ، وخوف من الفناء النووى ، وشك فى القيم الانسانية النبيلة . فهم ـ أى السوفييت ـ يعتقدون أن شكل الحياة ومضمونها فى حالة تغير دائم ، وأن الانسان نفسه ـ وعقليته ـ لا يملك ان ينعزل عن هذا

التغير المستمر . وبالتالى فان الفنان بشكل عام ، والروائى بشكل خاص ، مطالب بأن يلاحظ هذا التغير ، حتى يتحمل مسئولياته والتزاماته . يقول الروائى كونستانتين فيدين فى كلمته بالمؤتمر :

« ان مادة الواقع فى حالة جريان دائم . وبالتالى فانه من الطبيعى ان تتجسد هذه المادة فى الرواية من خلال التغيرات ، فالشكل ليس لباسا جاهزا ، وانما هو مستمد من المادة ذاتها التى ينتقيها الروائى ويختارها »

وتحدث الروائى الايطالى اونجاريتى فكان حديثه قريبا من الفهم السوفييتى للقضية . فقدذكر أن عالمنا يتغير بسرعة ، وان كل يوم يأتى بجديد فى الشوارع والمدن ووسائل النقل ، بل وفى أفكارنا عن الفضاء ، وأننا نطوف بالعالم ونحن جلوس فى مقاعدنا لانبرحها ، بل ونسافر الى ماوراء حدود هذا العالم . وهذا كله من شأنه ان يستحث الفنان دائما وان يدفعه الى البحث عن وسائل جديدة للتعبير . ذلك لان الفن ـ فى رايه ـ فى صراع دائم مع العالم من أجل أن يتمكن من خلقه وتشكيله ، والوصول الى حقيقة جوهر الانسان .

غير ان الرواية الواقعية التقليدية لم تسلم من الهجوم والاستنكار . فقد استبعدها البعض من كتاب فرنسا وايطاليا بصفة خاصة ، وقال مهاجموها انها شاخت وجمدت ، وأن هذه الاشكال تفرط فى الوصف والتفصيل ، وتعجز عن أن تعكس واقع الحياة المعاصرة التى تتغير بسرعة وتتطلب التركيزوالاقتصاد عن حديثه عن جويس وكافكا وبروست فى الوصف والتفصيل . وقال الروائى الفرنسى الشاب روجر كالوا ان «أزمة الرواية» تظهر جلية فى محاولات الكتاب المعاصرين وسعيهم وراء مسالك جديدة فى الفن ، لكنه أضاف ان هذه المساعى غالبا ماتتسم بطابع « أكروباتى »

اما الروائى الايطالى جويدو بيوفينى فقد احتد فى الهجوم على الرواية التقليدية ، فقال انه لا يوجد فى الدول الغربية كاتب واحد يسلم بروايات القرن الماضى ويحتذيها . لكنه طالب الكتاب بدراسة تراث ديستويفسكى ومارسيل بروست وجيمس جويس بدعوى أنهم انفردوا بالكشف عن عالم الانسان الداخلى ، رغم تمزقهم وانهيارهم . وعلق زميله فيجوريللى عند حديثه عن جويس وكافكا وبروست بقوله : « نعم ، انهم آباؤنا ، لكن ألم يصبحوا الآن فى عداد اجدادنا ؟ » . وعلى هذا النحو سار معظم الكتاب الجدد الذين ظهروا بعد الحرب الثانية فى فرنسا وايطاليا ، وابتدعوا مدارس فنية جديدة فى الرواية أهمها مدرستا : « الواقعية الجديدة » فى ايطاليا ، و « الرواية الجديدة » فى فرنسا . فهم لا يقبلون التلمذة على أيدى كتاب القرن الماضىء كما يرفضون ما يكتبه زملاؤهم الروس فى ظل واقعيتهم الاشتراكية . ويعتبرون أن جيل الروائيين الاوربيين الذى ظهر فى هذا القرن وحاول أن يجلو دخائل النفس البشرية ـ مثل كافكا وجويس وبروست ـ قد أدى دوره وأن احتذاء محاولاته ضرب من العبث ، وأن مشاكل هذا العصر لا تحلها الا اشكال جديدة كل الجدة تتناسب مع ضخامتها وتنوعها وسرعتها . ومن ثمة فهم لا

يكفون عن التجريب وان جاء بشكل « اكروباتى » كما أشار واحد منهم .

وقد أشار الروائى الايطالى جياكومو دبندتى الى تجارب زملائه فى الرواية ، فذكر أن ثمة خطرين يواجهان أتباع الواقعية الجديدة فى ايطاليا ، أولهما يمثله الاتجاه الذاتى الذى أغرق فيه الكتاب أنفسهم ثانيهما يمثله الاتجاه الطبيعى الذى ارتاده زولا من قبل ، وهما اتجاهان انحدرت اليهما الواقعية الجديدة بفعل الازمات الداخلية العميقة التى يعانيها الكتاب وتسبب لهم انعدام الراحة النفسية . وقد أدى ذلك الى ظهور عدة روايات غير ناضجة ، تفتقر الى الشكل الروائى المقبول ، وتقترب من شكل « المفكرات » التى يحتفظ فيها المرء بملاحظاته وأفكاره اليومية . كما أشار دبندتى الى ان الناقد الايطالى لا يجد مبررا للتعاطف مع مثل هذه الاعمال الا لانها تيح للمرء مواجهة « اللا متوقع واللا معروف مما هو موجود فى حياتنا اليوم »

اما انصار مدرسة الرواية الجديدة فى فرنسا فقد حملوا حملة شعواء على الرواية الكلاسيكية والرواية الواقعية روب جرييه انه ينبغى أن يبطل العمل الاشتراكية. فقال مؤسس المدرسةآلان بالرواية القديمة وقيم القرن التاسع عشر ، وان يسعى الكتاب الى اكتشاف وسائل جديدة فى التعبير لتحل محل تركة القرن الماضى .أما الرواية الواقعية الاشتراكية فهى — فى رايه — لا تقنع ولا تشبع ، لأنها تحتفل احتفالا أساسيا بقيم اخلاقية أصبحت ذائعة بين الناس، يعرفها القاصى والدانى . ثم تبعته زميلته ناتالى ساروت فصدقت على رايه ، واضافت ان الكاتب مطالب بأن يتحول عن ذلك الواقع الظاهر المرئى الذى عرفه الناس ودرسوه بالفعل ، حتى يخلق « واقعا جديدا » من صنع يديه ويكشف ما كان مخبوءا ، وأنه مطالب بأن يركز انتباهه على العالم الداخلى الغريب بالنسبة له . ومع ذلك فقد اعترف الروائيون الفرنسيون الجدد — وشاركهم سارتر هذا الاعتراف — بأن الكتاب الغربيين لا يصلون الا لعدد ضئيل من القراء على عكس زملائهم فى البلدان الاشتراكية مما يجعلهم اقل تعرضا لتبعات زملائهم الاشتراكيين . وعاق الناقد السوفييتى سورين جاوزاريان على ذلك بقوله ان الروايات لا تخلق لذاتها . وانما هى تكتب لتقرأ والرواية التى لا قراء لها تكون فى حكم العدم . ثم ذكر انمواطنيه منالروائيين لا تشغلهم مشكلة القارىء بقدر ما ماتشغلهم مشكلة تجويد انتاجهم والارتفاع بمستواه . وانتقلالى ماقالته ساروت فقال ان الحقيقة لا يمكن ان تتحقق فى الفن بالاعراض عن الواقع ولا بالتسليم الآلى بجريان الحياة او الوعى ، كما لا يمكن أن تخرج حقيقة فنية عن طريق الخيال الخلاقوالتحليق والرموز الا اذا ارتبط الكاتب بحياة الناس وحقق اختيارا هادفا للمادة الخام ، أى حين يعرف بوضوح ما يجاهد من اجله .

وهكذا أثارت « الرواية الجديدة » معركة بين الشرق والغرب فى قارة واحدة. ورغم ان انصارها يزعمون انهم يظهرون للقارىء ما يرونه بالدقة ، بلا زيادة ولا نقصان ، وانها الشكل الوحيد الذى يتيح لهم التعبير عن عالم اليوم ، الا انانصار الواقعية الاشتراكية لم

يرحبوا بها ورفضوا فكرة حرية الخيال والتصور التى اثارها « الروائيون الجدد » ، بدعوى ان الخيال لا يثير فى النفس دهشة غريبة ، وانه محدود دائما ولا يملك ما يملكه الواقع الحقيقى من ثراء وتنوع هائل ·

على أن نجاح هذا المؤتمر ان قيس بعمق أبحاثه ، فانما يقاس أيضا بما حققه من صلة بين كتاب الغرب والشرق، على اختلاف أنظمتهم ومذاهبهم ، وما يمكن أن تؤدى اليه المناقشات الودية التى تبودلت من اثراء للرواية المعاصرة والزامها بمسئولية استلهام الافكار الانسانية الايجابية ، فالرواية هى مرآة الانسان المعاصر وسبيل الى فهم العالم الذى يعيش فيه ولقد علق سارتر على المؤتمر بقوله :

« لقد تذكرنا مرة أخرى كيف ان مشاكل الثقافة وحياة الانسان والمجتمع انما هى جميعا متصلة لا تتجزأ »

فى سطور :

● **أجرت صحيفة الصنداى تايمز تحقيقا أدبيا حول أبرز الكتب التى ظهرت فى العام المنصرم ، اشترك فيه سبعة من النقاد والمحررين الادبيين المعروفين فى أربع دول هى : الولايات المتحدة ، فرنسا ألمانيا ، ايطاليا . ونقتطف هنا ما جاء بهذا التحقيق خاصا بالرواية والقصة ففى الولايات المتحدة كانت رواية ١٩٦٣ هى « الشلة » للكاتبة المعروفة مارى مكارثى ، وفى فرنسا ظفرت باللقب روايتان هما : « الدعوى الشفوية » للكاتب لى كلوزيو ، « وثمار الذهب » للكاتبة ناتالى ساروت . وفى ألمانيا كانت رواية العام هى « اليد الناعمة » للكاتب جنتر جراس · أما فى ايطاليا فقد فازت رواية « لا شىء يمضى » للكاتب توماسولا ندولفى .**

ومن الطريف أن الصحيفة ذاتها فى انجلترا عام ١٩٦٣ على عشرين كاتبا طرحت قضية أحسن الكتب التى ظهرت من كتابها ، لكنهم أجمعوا على أن نصيب الاسد من الجودة والشهرة كان للاعمال غير القصصية وخاصة الدراسات الادبية والتاريخية .

● أطلق الكثيرون على عام ١٩٦٣ لقب « عام الاحزان » أو « العام المر » . فقد خسر العالم خلاله عددا من عظمائه فى السياسة والدين والادب . وفى القصة خسر العالم الروائى الفرنسى المتعدد الجوانب جان كوكتو ، والروائى الانجليزى الدوس هكسلى وزميله س. س. لويس الذى اشتهر بقصته «خارج الكوكب الساكن » وهى قصة علمية تصور الحياة فى المريخ ·

● **وليام جير هاردى روائى انجليزى طواه النسيان ، وانزوى بعيدا عن الاضواء لا يجد من يأخذ بيده من النقاد طيلة العشرين عاما الماضية ، رغم أنه يعد من أطرف الكتاب الانجليز فى هذا القرن ، واكثرهم تميزا بخفة الدم . واخيرا نقب عنه فيليب توينبى معقب جريدة الأوبزرفر ، والتقى به ، ثم كتب عنه مقالا طويلا بعنوان: « موهبة منسية تعود الى الظهور » ، حلل فيه أعماله وأسباب انقطاعه عن الكتابة منذ عام ١٩٤٠ ، كما لخص أفكاره وآراءه فى الرواية والادب ، ومنها أن الكاتب انسان ــ وليس آلة ــ ينبغى أن يكتب من وحى تجربته الخاصة فى الحياة ، وأن الروائى الممتاز يستحق لقب الشاعر ، وأن**

وظيفة الشاعر ـ وبالتالى الروائى ـ هى أن ينظر فى الحيـــاة اليومية وأن يتأملها كى يغوص الى عالم الاحلام ثم يعود الى عالم الواقع محملا بثمار الفن، كما أن موضوعات القصص مطروحة فى الطريق لكل من يشـــاء ، وأخيرا فان وظيفة الشاعر فى النهاية هى أن يكشف عما فى الحياة من جمال .

● علق النـــاقد الانجليزى جون ويتمان على زيارته الاخيرة لباريس بأن مدينة النور لم تتغير منذ خمسة اعوام الا فى أمرين أساسيين : أولهما ان مكانة الجنرال ديجول قد ذابت بسرعة شديدة وثانيهما أن مدرسة «الرواية الجديدة» واضاف الناقد ان المفهوم الروائى السائد قد خطت الى الامام خطوات جبارة ! .. فى فرنسا اليوم ينحصر فى أن « المطلب الاساسى فى كتابه الرواية ليس العقدة أو رســـم الشـــخصيات أو الوصـــف الاجتمـــاعى ، وانما هو خلق التدرج الشـــعرى ... ومفهوم « التـــدرج الشـــعرى » فكرة مثيرة قد تدخل فى الخط المنطقى لتطور الرواية منذ فلوبير الى يومنا هذا » .

● **صدرت للروائى الروسى الاصل الامريكى الجنسية فلا ديمير نابوكوف رواية جديدة بعنوان ((الهدية)) ... ويعدها النقاد أروع أعماله بعد ((لولتيا))**

الزقاق المسدود

للكاتب الهندي كرشنا بلديف فايد
ترجمة : رمزي عبده جرجس

يحسن بك ان تضع منديلك على انفك ، فالزقاق يفوح برائحة كريهة بشعة . ولعل ذلك لن يغير ايضا من الامر شيئا. فمما يحكى ان سيدة اوربية ضلت طريقها ذات مرة فدلفت الى هذا الزقاق ، وكان من افاعيل القدر انها لم تكن تحمل منديلا. واغمى على هذه المسكينة فور دخولها الزقاق . لا ينبغى ان يفزعك ما اقول ، فلا بأس من ان تأخذ حيطتك . ولا عليك ايضا ان تخشي على شيئا ، فانى من اهل هذا الزقاق ، ولن ينال منى هذا النتن .

ها قد شرعت بالفعل تلوى ارنبة انفك تأففا . أجل ، ان هذه الاكوام من النفاية هي شعار هذا الزقاق ، كما انها حارسته ايضا ، فهى تدرا الغرباء عنه . كيف حدث ، اذن ، أن تنكبت تلك السيدة الأوربية طريقها الى هذا الزقاق ؟ حسن ، لست ادرى الجواب . ليس ببعيد على الاطلاق أن يكون الامر كله محض اكذوبة . فقد اتفق لى أن قرأت النبأ فى احدى الصحف المحلية . ولا عجب فقد برزت انباء هذا الزقاق على صفحات الجرائد فى كثير من المرات .

يبدو انك فى حيرة من امر هؤلاء الصبية الذين يعتلون اكوام النفاية . انهم ايضا من اهل هذا الزقاق ، وان بهم اعجابا لا يفتر بهذه الاكوام من الوسخ . بيد أن ثمة سببا لذلك ، كما يكاد يكون لكل شيء تقريبا سبب . ففى وسع هؤلاء الرفقة كما ترى ، بالنظر الى وقوع أكبر سوق للفاكهة بالمدينة على مسافة غير بعيدة ، أن يعثروا بين هذه الأكوام على بعض ثمار الموز او على حبة مانجة ناضجة الى حد الفساد ، أو على ما يمكن أن يتبلغوا به من مختلف هذه النفايات . ولعلك تلحظ أنهم مولعون بالفاكهة ولعا شديدا . وعلى اية حال فرائحة هذه الاشياء لا تبارح ذلك المكان .

ولا بد انه قد لفت نظرك بين الحين والحين على اقل تقدير ، اناس تظهر على شفاههم بثور تتفجر بالصديد ، وان هذه القروح يحوم حولها الذباب ... لعلك تدرك ما أرمى اليه . يؤسفني ان اراك تتقزز من محاولتي رسم صورة شاعرية .. انى جد آسف لذلك .

لندع هؤلاء الرفاق وشأنهم . انظر ! كبدو انهم قد وقعوا فى التو على شيء ما ، على شيء طيب فيما اظن . ها انت تراهم جميعا يتكالبون على كومة من تلك الاكوام . يحسن بنا أن نمضي فى طريقنا ، والا فقد لا تستطيع ان ترد نفسك عنمحاولة اصلاحذات بينهم . وما أخشاه ان حاولت، أن تتسخ ملابسك بسبب ذلك ، فالصبية هم الصبية . لا يمكن ان يبلغ عراكهم مبلغ الخطورة والجد . ولنمض نحن فى سبيلنا فالزقاق على شيء من الطول .

ها هو المنزل الاول فى الزقاق . لعل هذه الاكواخ لا تسمى بالمنازل فى منطق اللغة المحترمة . بيد انى ما قصدت بهذا الوصف غير التيسير والتقريب . والحق ان هذه المنازل تبدو جميعها غريبة بعض الشيء عن فن المعمار ، ومع ذلك فلا بأس بها على اية حال . فهى تقيك على نحو او آخر قصف الريح ولفحة الشمس . والامر بعد ذلك هو كما قال الاقدمون : فالمنازل ليست هى التى تصحب الانسان الى الدار الآخرة ، بل الاعمال الصالحة . ولنكف عن سكب عواطفنا عبثا وتبديد وقتك فى الحديث عن الفقر الذى يجثم على هذه المنازل . فالمنزل انما هو منزل على اية صورة كان ، فضخامته



النازل . فالمنزل انما هو منزل على اية صورة كان ، فضخامته او ضآلته ، واتساعه أو ضيقه ، وعتمته أو فرجته لاتهم بحال . انى استميحك العذر فى تلك العادة السيئة التى تدفعنى الى الخروج عن سياق الحديث . والحق انه ليس من دأبى أن أطلق مثل هذه العبارات المتعالية ، فذلك ما كان من حق الاولين وحدهم .

اجل ، هذا هو المنزل الأول فى هذا الزقاق . وتقيم فيه أرملة بصحبة ابنتيها الشابتين ، « ساتيا » و « بارو » . واسم الارملة براكشواتى وان كانت شهرتها « باشو » .

قلت ان هاتين الابنتين شـــابتان . ولعلهما كذلك . ولكنى أعنى هنا حداثة السن لا نضرة المظهر ، اذ تلوحان للناظر وكأنهما قد ترملتا أيضا مع ترمل امهما . والسن هو الذى أقصده من صفة الشباب ، فهما من حيث المظهر متهالكتان محطمتان . هذه طريقة مبتذلة للتعبير عن المعانى دون شك ، اجل ولست انكر ذلك . يقول البعض انه لولا يقظة باشو لكانت هاتان الفتاتان قد تزوجتا حتى الآن مرات عدة . هذه طريقة اخرى للتعبير عن الاشياء وهى دون شك أيضا طريقة غير لائقة . أما عن اللياقة فهى أوهى فضائل هؤلاء القوم . بيد انه يحق لى ان اعرب عما يجول بصدرى فى وضوح .
بيد انه يحق لى ان اعرب عما يجول بصدرى فى وضوح .

ان لهذه المرأة المسماه « باشو » مزاجا شـــاذا . يخشاها الجميع خشيتهم لوباء جائع . ويستعذبون القـــول فيها . وقانا الله شر باشو ! فما يفوت يوم الا وتشتبك فى التالى فى عراك مع شخص او آخر . ومن عادتهـــا عند



اشتداد غضبها ان تطلق تذائف من الالفاظ . وتأخذ فى قرع صدرها وجذب شعرها ، وهى تظهر فى الغالب بمظهر الجنون عند التعبير عن غضبها ، والاعتقاد السائد أن لعناتها تصيب ضحاياها بالفزع ، لانها فيما يقال أتعس ما يكون حالا .

ولقد مات عنها بعلها وترملت منذ زمن بعيد للغاية لا تعيه ذاكرة معظم اهل الزقاق . وكان زوجها فيما قيل بائعا جوالا تجارته الفاكهة . ولم يخلف لها عند وفاته غير قدر من الفاكهة الفاسدة ، ثم هاتين البنتين . وقد اخذت باشو على عاتقها منذ ذلك الحين مهمة رعاية هاتين الفتاتين وتنشئتهما، أما كيف تعولهما فذلك ما لا يعلمه الا القليلون . وهذه القلة لا تظن مع ذلك بها سوءا . والحقيقة أن أحدا لم يجرؤ قط على ان يرفع بصره الى بنتيها . ولا يملك ابناء الزقاق الا ان ينظروا الى باشو نظرة اعجاب مغتصبة ، اذ استطاعت أن تصون عذرية الفتاتين طيلة هذا الزمن .

بيد أنه لم يكن بين هاتين الفتاتين وبين أمهما ود مفقود . ومما أشيع عنهما انهما هددتا أمهما فى اكثر من مرة بقتلها او هجر البيت . ثم ان باشو ذاتها لا تتورع عن اعلان شعورها بالندم على تجاوزهما مرحلة الطفولة ، وعلى اكتمالهما على هذا النحو ، بل انها تنعى ايضا حظها فى انجاب هاتين البنتين . أما الفتاتان فيصفانها بالقحة والعهر والبهيمية . وهذا الضرب من العراك العائلى شائع هنا تماما . غير أنه يتسم بالنسبة لباشو وبنتيها بنزوعه بعض الشيء الى العلانية والسفور . ويلذ لابناء هذا الزقاق أن يشهدوا هذه المعارك . غير انهم سرعان ما يصابوا فى كل مرة بخيبة امل ، عندما تنتهى هذه الجولات بالصلح كما هى العادة ، وسط نحيب الأم وبنتيها . ويحدث ذلك كرد فعل بعد ان يبلغ العراك منتهاه .

لا يبدو ان ما سلف قد وقع منك موقع الغرابة والدهشة . والحق أنه لا يثير دهشة ولا يجدر باهتمام . فما كنت منذ هنيهة الا فى معرض تقديم الزقاق اليك ، ورأيت لزاما على أن أخبرك بكل ما أعلم . يبدو انك فى حيرة من أمر هذه الاكاليل من الزهر التى وطئتها اقدام المارة امام المنزل المجاور . وانك لمحق فى دهشتك اذ تبصر مثل هذه الزهور وسط هذا النتن . ولكنه لا يبدو فى نظرى ثمة فارق بين هذه الزهور والوسخ الذى يعم أرجاء الزقاق . ولعلى قد فقدت حاسة الشم . وكيفما كان الامر ، فهذا المنزل تشغله ايضا احدى

الارامل . ولا يعلم باسمها أحد ، وعلى أية حال فقد أكون انا وحدى الذى لا أعلم به . أما اسم الشهرة الذى تعرف به فهو « الســاحرة الحيزبون » . وهى لا تظهــر بالزقاق فى العادة طوال النهار ، وليس لها بنات . وفى المســاء تعود بصحبة فتاة أو اثنتين ، يلحق بهما فى التو شخص أو شخصان مشبوهان . وتظهر الفتيات بزهور فى شعورهن، وقد يحملن شيئا منها بأيديهن . وفى اليوم التالى تشــاهد هذه الزهور ذاتها ملقاة خارج المنزل ، حيث لا تنفك تعثر أقدام المارة .

ويثير مظهر هذه المرأة العجوز غاية النفور والاشمئزاز. وهى لا ترى الا ماضغة ورقة من نبات التانبول . اتيح لى ذات مرة أن ألمح ما بداخل الحجرة . رأيت على الحــائط صورة للسيد كرشنا والى جوارها مباشرة صــورة أخرى لم استطع تبين معالمها . وأغلب ظنى ان الصورة الاخرى كانت لزوجها . ولكنى لا أستند فىذلك الحدس الى تعليل معقول .

يقال ان هذه الساحرة الحيزبون تمت الى باشو بقرابة بعيدة . هذا جائز ، ولكن العلاقة بين المرأتين ليست على ما يرام . فغالبا . ما تتشاجران وكأن بهما مس منالجنون . ولا يجرؤ احد على التدخل فيما بينهما أثناء عراكهما . ولهذه الساحرة الحيزبون طريقة بشعة فى رفع مئزرها وصــفع فخذيها والتعريض بابنتى باشو بعبارات يتعذر نشرها .

ويقال انهاوجهت الىجميعجاراتها مرات ومرات الدعوة سافرة قائلة لهن : لتطلبن نصيحتى كلما احتجتن الى المال فى اى وقت من الأوقات ! ويشاع أن نفرا قليلا للغاية من جاراتها يسمحن لانفسهن باستغلال هذه الدعوة فى ضائقاتهن ، وهى كثيرة جدا كما تعلم .

وقد أصبحتهذه التيتدعى « نولو علىوجه الخصوص وتقيم بالمنزل المقابل من العميلات الشهيرات لدى الساحرة الحيزبون . وان زوجها ليعلم ذلك فيما يقال . وهو طريح الفراش منذ عامين . وكان فيما مضى يجر عربة للركشة . ان تلك الركشة المحطمة تخصه . وهو يأمل أن يتماثل للشفاء ويعود الى جر الركشة ويطرد نولو من البيت . وفى هذه الأثنــاء يعيش عالة على زوجته . وفى ظنى انه موقن بأنه لن يكتب له قط ان يبارح فراشه حيا . ولا يزيد خطبه عن كونه يخادع نفسه ويغالطها .

وتحمل نولو فى هذه الأيام جنينا يقول عنه زوجها فى

صراحة انه ليس من صلبه . وكثيرا ما هددته «فولو» بطرده من البيت من جراء ذلك . فهى لا تحتمل أن يدعو الجنين الذى لم يخرج بعد الى الحياة باللقيط . ومن قولها له : قد لا يكون هذا طفلك ولـكنه طفلى وانا عازمة على أن احتفظ به . وبوسعك ان تتصور كم يحز ذلك فى نفس الرجل .

ومنذ بضعة أيام فقط حاول الانتحار شنقا . واتفق أن دخلت فولو الغـرفة فوجدته على هـذه الحـال . فاطلقت عقيرتها بالصراخ حتى اجتمع حولها جمهور كبير . وبدلا من أن تسارع الى حل خناقه ، طفقت تقول : لو اننى لم اضبطه متلبسا بهذه الجريمة ، لا تهمنى جميعكم بها . وعند ذاك تقدم واحد من بين الجمع وحل الاخية عن رقبة الرجل . وحال أن أفاق ، راح يصرخ : اما ان تقتلـــونى او تذهبوا بهـــا بعيدا عنى !

بيد انه كان بين الجمع رجل حـــكيم . حاول أن يهدىء من ثورة الرجل قائلا : لا تكن أحمقا غبيـــا ، فانك ان لم تلزم جانب الهدوء ، هجرتك الى شخص آخر ، وعند ذلك لن يكون مآلك غير الموت جوعا . كن فى حالك . فمــا من أحد يلومك على سلوكها الشائن . وما ان سمع الرجل هذه النصيحة حتى انخرط فى البكاء .

ها أنا أعرب عن أسفى مرة أخرى . فما كان ينبغى أن أسوق اليك كل هذه التفاصيل المستهجنة . اما وقد جئت أنت بقدميك فانك عرضة لكل هذا . لا بأس ، ففى وسعنا أن نسرع الخطى فى عبورنا لهـذا الجزء من الزقاق ، فهو ملىء بسحب الدخان . والحقيقة انه يضم بضعة أفران لفخارين ، وهذا الدخان صادر عنها . هل ترغب فى رؤية خزاف يعمل على دولابه . لندع ذلك الآن . فعلينا بالخروج من ســحب الدخان هذه ، والا اختنقت . نعم ان هذه الحمير ملك لهؤلاء الفخارين . وانى لا أعلم الكثير من شـئون هؤلاء القوم فهم يبدون دائما فى جد وانهماك .

لتلق بربك نظرة على هذا الاســـكافى . يخيل الى انه أغرب اسكافى فى العـــالم ، وكيف لا وهو يجلس فى هـــذا الدرب الذى لا يكاد يوجد به فرد واحد ينتعل حـــذاء يمــكن اصلاحه . وانه لشيخ مسن كما ترى . وما أخشـــاه هو ان يكون دائما بسبيل اصلاح الحذاء القديم ذاته الذى انقطع الى اصـــلاحه خلال عدد كبير من الاعوام المنصرمة . ولعله يجد بالفعل بعض ما يعمله ، وان الامر لا يعدو انى أهول وأبالغ .

هل ترى هذه الحدبة فوق ظهره . كنت أشاهد أحيانا بعض الاطفال الاشقياء يقرعون حدبته هـــذه بقبضات ايديهم . وما اعجب له ان هذه الحدبة لم تمزق حتى هذا الحين البشرة التى من حولها ، والحق أن بدنه العارى وحدبته هذه يظهران أثناء الصيف فى أبشع صورة .

ويشاع عنه أنه مختبل . وربما كان ذلك صـحيحا . اذ تراه فى بعض الاحيان وقد عمد الى حذاء من كومة الاحذية التديمة المهجورة التى لديه وراح يمضـــــغها . ثم يتبين له فجأة فيما يبدو أن ذلك ليس بخبز بل جلد جافصلد . فيخرج تلك النتف من فيه ويبصق عليها طويلا قبل ان يقذف بها عاليا فى وجه السماء قائلا : هذه لك ، لك ، لك . !

أرى أن تشيح بوجهك عن ذلك الجانب ، فيخيل الى ان هؤلاء النسوة سوف يجلسن فوق المصرف لأمر قذر . ما كان يجدر بهن أن يقضين ذلك هنا ، بيد انه ليس بوســـعهن أن يقضـــــينه فى أى مكان آخر الا ان أردن ان يفعلن ذلك فى مطابخهن .

ويقيم فىذلك المنزل كهلمسن وزوجته . وهما يعيشان بمفردهما . ويناهز الرجل السبعين من عمره ، اما المرأة فمن المؤكد انها اشد كهولة منه . والرجل كفيف البصر أو يكاد ، الا ان بوسعه السير بضع خطوات متحسسا طريقه بعصاه . اما المرأة فهى مقعدة تماما . ولعلها مصابة بالشـــلل أو أن ساقيها فحسب لا يقويان على حملها . منذ أيام قلائل مضت ، كان فى مقدورها ان تنتقل من مكان الى آخر دافعة فى جهد ساقيها المتخاذلتين . اما الآن فهى تقبع على الدوام فى ذلك الركن ، مثل كومة من الوسخ . ويمكنك ان تراهما فيما اظن من هذا المكان .

ويتعاطى هذا الكهل تجارة الفول السودانى . ولسوف يثير عجبك ان تعلم ان بوســـعه دائما أن يميز قطعة النقود الزائفة رغم انكفاف بصره . بيد أنه ليس ثمة مجـــال كبير بالطبعلدس النقود الرديئة ، فعملاؤه لا يأتون اليه بما يزيدعن قطعة أو أثنتين . ومع ذلك فهو يتفحص كل قطعة من النقود بإمعان شديد بحـكم العادة المجردة . وفى المســاء ، يمكن للمرء ان يشاهدهما وهما يحاولان طهو طعامهما . وان ذلك لمشهد يروح عنالنفس.فكثيرا ما يدب الخلاف بينهما لعجزهما عن اشعال النار فيما بينهما . وقد مددت لهما يد المساعدة فى عدد من المرات . ولكن رؤيتهما وهما فى معرض الاكل مشهد بشع مقزز . فالمرأة لا تستطيع فيما يبدوا استخدام يديها .

ويتولى الشيخ المسن حشو مريضته بالطعام . لعلك تود أن تعود أدراجك ولكن ينبغى عليك قبل ذلك ان تستمع الى قصة ما وقع منذ أيام قلائل فى المنزل الذى اقطنه .

ها قد بلغنا المنزل . انه يبدو على شيء من الضخامة اذا ما قورن بسائر بيوت الزقاق . ويضم المنزل غرفا اربع ، ثلاث منها بالطابع الأرضي والرابعة بالطابق الاول . اما انا فأشغل تلك التى تقع فى الطابق الاول . لعلك تدهش من اقامتى بهذا المكان . وربما ظننت انى لم أكن جادا حين قلت لك أنى من اهل هذا الزقاق . اجل ان هذا صحيح . فليس فى استطاعتى كما ترى ان استأجر غرفة فى أى مكان آخر بعشر روبيات فى الشهر . نعم ، انى أعيش بمفردى . فلست متزوجا ، ولكن على ان ارسل بعض المال الى والدى . وما اغناك عن سـؤالى عن مقدار ما أحصـل عليه من اجر فباستطاعتك أن تحرز ذلك فى يسر . فضلا عن اضطرارى الى اداء بعض النفقات المدرسية ، اذ أنى أحاول تحسـين مؤهلاتى ، فقد التحقت بأحد المعـاهد الخاصـة لاعداد « دراسات عليا » .

ولكن هذا شيء وما أردت أن أخبرك به شيء آخر . كنت أود أن اقص عليك تفاصيل حادث غريب وقع فى هذا المنزل منذ وقت قريب . وانى أجد لزاما على أن أمهد لقصتى بصورة لمسرح الحوادث . فى الطابق الأرضي ، كما ترى ، تقيم ثلاث أسر . والحقيقة ان هذه كانت فى الاصـل أسرة واحدة ثم انقسمت الى وحدات ثلاث . ففى احدى الغرف الثلاث يقيم زوج وزوجة وطفليهما ، وتقطن الغرفة الثانية شـقيقة هذه الزوجة بصحبة أولادها . فقد هجرها زوجها منذ أمد بعيد ، ولا يعرف له مكان الآن . ولعله فارق الحيـاة . اما الحجرة الثالثة فيقيم بها والد هاتين الشقيقتين وزوجة أبيهما . وقد أنجبا بدورهما طفلين ، أو على الارجح بنتين . وكان لهما ولد انتحر من نحو سـنتين . والبنتان لم تزالا فى سن مبكـرة ، فاحداهما فى السابعة والاخرى فى التاسعة .

وهذه الاسر الثلاث تعيش جميعا فى فقر مدقع شـأن سائر أهل الزقاق . يبدو انك فى عجلة من أمرك ولولا ذلك لسردت عليك مزيدا من التفاصيل عن هؤلاء الناس . بوسعك أن تتصور دون شك كل هذه الدقائق لو كنت قد أعرتنى شيئا من انتباهك فى كل ما تقدم .

ولا عجب ان يكون بين الشقيقين من ناحية وبين زوجة الاب ، من ناحية أخرى ما صنع الحداد ، غير انهما ليستا أيضا

على وفاق كبير مع بعضهما البعض . وتحمل قسمات وجوه أطفال هـذا البيت على الدوام دلائل الخوف والفزع لحيـاة التوتر المتصـل التى يحيونهـا . وانهـم ليثيرون شفقتى . فوجوههم نجللها على الدوام ظلال كئيبة موحشة . ان هؤلاء يذكرونني دائما بعهد طفولتى .

غير ان المرمى الحقيقى لقصتى هذه هو ذكر حال والد هاتين الشقيقتين . فقد تزوج ، كمـا قيل لى ، ثلاث مرات . انجبت الاولى هاتين الشقيقتين . وكانت الثانية عاقرا . أما الثالثة فهى زوجته الحاليـة التى ولدت له بنتين وابنـا مات منتحرا . حدث كل ذلك قبل ان آتى للاقامة بهذا المنزل .

ولقد نمى الى ان فجيعة الشيخ العجوز فى ابنه ، جرت عليه سلسلة من الكوارث . اذ كف بصره ثم أصيب بالصمم . وفى النهاية بكم واصبح عاجزا عن النطق . ولعل السبب فى هذا كله لم يكن وحده الصدمة التى أصابته لمصرع ابنه . فان علمى بالامراض محدود .

غير ان اشد ما يثير الدهشة والعجب نهمه البالغ الى الطعام ، لامر الذى اقض الجميع وبخاصة زوجته لاكشمى . وكانت دائمة الشكوى والتذمر من هذا الامر . وقد كنت أنكر عليها ذلك فى البداية حتى شاهدت الرجل يلتهم من الارغفة ، الواحد بعد الآخر ، ما بلغ العشرين ، ثم يطلب بعـد ذلك المزيد . وشيئا فشيئا أصبح هذا الشره حديث الزقاق . فكان يجتمع بالمنزل دائما فى أوقات الطعام جمهور من النظارة . ثم يجلس هذا الكهل فى صحن الدار ، ويأخذ المتفرجون فى القاء الارغفة أمامه ، فيلتهمها الواحد بعـد الآخر فى سرعة مذهلة . وعندما تنفد الأرغفة ، يطلب المزيد باسـطا يديه فاغرا فاه مطلقا أنينا مخيفا كالحيوان الأعجم .

وتبادر لاكشمى الجمع بقولها : خبرونى ماذا عساى أن أفعل ؟ فتحاول الشقيقتان عادة أن توقعانها فى حرج بقولهما لقد وفر لك قوتك طوال حياتك ، أما وقد كبر ، فانك تنادين الجموع ليشهدوا انه يطلب طعاما . ومما يدعو الى الغرابة انه لا يظهر على هاتين الشقيقتين قط ادنى دليل على انهما تأسيان لنكبة أبيهما . وكانت لاكشمـى عادة يتملكها الغضب عندما يشرعان فى الكلام . فتستعيذ بالجمع قائلة : قولوا لى بربكم هل أملأ جوفه هـذا الذى لا قرار له أو أطعم هاتين الفتاتين البريئتين . فانى ان لم اعطه عشرين رغيفا على الأقل راح يهدر ويئن . خبرونى ! فلست ادرى أى روح تقمصته ؟ .

وكان قولها تجيش له فى العادة نفوس النظارة . غير أنهم لم يكونوا يملكون فيما يبـدو ان يأتوا كل يوم بالأرغفة

ليلقوها أمام هذا الرجل . فلم تستمر هــذه الحال غير أيام قلائل في البداية حتى أشبع النظارة فضولهم . اذ ان مشهد هذا الكهل مضحك مبك في الوقت ذاته .

وحدث ذات يوم في النهاية ... وذلك منذ بضعة أيام أن اختفى الرجل على حين بغتة . وتردد ان لاكشمي اختطفته ذات مساء وتركته على قنطرة الشحاذين بالقرب من المحطة الرئيسي للسكك الحديدية . وليس ثمة ما يدل على ان الشقيقتين تأسيان لفقدان والدهما ، بل انهما في شغل شاغل عن ذلك بالكيد لزوجة أبيهما ، وقذفها بشتى عبارات الاثارة والتجريح أما لاكشمي فيبدو أنها بكمت ... فهي لا تفصح قط بشيء في سبيل ازالة هذا الغموض الذي يكتنف الموقف . وتبدت دلائل الفزع والرهبة على وجهي البنتين في صورة أكثر وضوحا . وقيل انهما روعا لما حدث الى حد انهما لم تعودا تطالبان بأكثر من رغيف واحد لكل .

آن لك ، فيما أحسب ، أن تعود أدراجك . فقد كان هذا هو آخر منزل في الزقاق . ولك أن تقفل وأنت مغمض العينين ، إن طاب لك ذلك . وعندما تحس ان النتن قد انقطع ، فاعلم انك قد خلفت وراءك ... الزقاق المسدود .

ابو اسماعيل

عبد المنعم شلبي

السيد ابو اسماعيل رجل ولا كل الرجال ، طيب وظريف ، كل من فى قريتنا يحبونه ويعطفون عليه ، لطيبة قلبه ، وخفة دمه، وميله الفريزى للنكتة ، لايعترف بهموم الدنيا وان تكدست على راسه ، أو هو يعترف بها ولكنه لايعيرها كبير اهتمام ، فقير عريق فى الفقر ، ومع ذلك يشكر الحميد المجيد على ان رزقه ساعدا قويا ، وبنية صلبة تربت فى أحضان الريف بين القنوات الجارية والزرع الاخضر ، يراه الناس فى الفجر ذاهبا الى المسجد ، يتوضأ ويصلى ويختم الصلاة بادعيةحلوة يحفظها عن ظهر قلب ،ويكررها عقب كل صلاة ويشعر بحلاوتها فى كل مرة ، فاذا اشرقتالشمس رآه الناس مغروسا فى قناة جافة يحفرها أو ينظف مجراها من الحشائش التى تعوق جريان الماء ...

فاذا انتهى من عمله هذا بحث عن شغل آخر .. يقدم الأعلاف للمواشى .. أو يسوى ارضا محروثة ، وكل عمل بأجره المقدر المعروف ، رجلاه لاتعرفان لبس النعال ، ولهذا تراهما مشققتين كالأرض العطشى ... وجهه أسمر عميق السمرة ، عيناه سوداوان واسعتان تتهدل عليهما أهداب مجهدة ، مهارته

فى العمل تجعل الفلاحين يفضلونه على سواه .. ويوكلون اليه القيام بأعمالهم ولايناقشونه فى الأجر لعلمهم انه لايشتط ولايغالى فاذا انهى عمله اليومى قبض أجره وذهب الى دكان المعلم عباس شاكرا نعمة الله ، وهناك تستقبله زوجته ام اسماعيل هاشة باشة ، وبعد ان تعد الطعام يجلسان للاكل وحدهما ، لأن ابنهما اسماعيل قد مات منذ زمن ولم يرزقهما الله بغيره ، وكانت زوجته تتذكر ابنها كلما جلسا الى الطعام فتبكى وتهجر الاكل ، وحينئذ يقول لها زوجها : « ياشيخة .. الدنيا فانية .. ولا دائم الا وجه الباقى .. بكره تخلفى غيره » !

وليس معنى هذا انه لم يكن حزينا على ولده ! ولكنه كان قادرا على كتمان الحزن وكان فى استطاعته ان يسرى عن زوجته ويضحك فى وجهها ، ثم يقول لها :

« الولد منى ، وانا موجود ، وان شاء الله تخلفى غيره ، بدلا من الولد عشرة » !.. وحينئذ كانت تبتسم فى حياء وتجيبه: « انت الآخر كبرت وشاب شعرك ، ولم يعد فيك حيل » !.. فيفهم من ذلك انها تستثيره فيقول لها : « اذا كان شعرى قد شاب فان قلبى لم يشب ، وسوف ترين الليلة » !.. ثم يغمزها فى صدرها ويضحكان معا حتى يمسح الضحك بقايا الحزن من قلبيهما .

وبعد العشاء كان يتواجه الى المقهى ، وهناك يجتمع رجال القرية الأعيان ومتوسطو الحال ومن دونهم ، يشربون الشاى والمعسل ، ويستمعون الى اغانى عبد المطلب وملاحم السيد حواس ومواويل محمد طه من الراديو ، ويضحكون على كل نكتة يقولها ابواسماعيل وبعد السمر يعودون الى بيوتهم ليكملوا بقية الليل مع زوجاتهم حتى يشرق اليوم الجديد ، فينتشرون فى حقولهم ، ومرة اخرى ينفرس السيد ابو اسماعيل فى القناة يحفرها أو يضرب الارض بالفأس يقلب وجهها للشمس ، أو يسوى أرضا محروثة أو يروى زرعا عطشان ، ولايسلم من نكاته احد من العابرين حتى أعيان البلد ، والايام تمضى تلو الليالى هادئة مشرقة لايعكرها سوى بعض الحرائق التى تشب فى الحقول ايام الحصاد ، أو بعض المعارك التى تنشب عندما تشح المياه وتشح معها النفوس وتستولى طبيعته ونسى الناس احقادهم وصفت قلوبهم وطالت سهراتهم فى المقهى وعلى المصاطب حيث يرتفع شأن ابو اسماعيل ، صاحب النكتة الحلوة والروح الطيبة ، وفى مثل هذه الايام لايكون هناك حفر ولا حرث ولا بذر ولكن هناك انتظار للحصاد وتشوق الى نتيجة العرق والجهد ، ولهذا كان السيد ابو اسماعيل لايجد

نقودا فى تلك الظروف الضيقة التى يقل فيها الشغل ، وقداضطر أن ياخذ الارز والشاى والدخان من دكان المعلم عباس أبو الحمد تحت الحساب ... وكان المعلم لايمنع عنه شيئا فى بداية الأمر ، ولكن الحساب تكاثر ، وبلغت قيمته ثلاثة جنيهات ونصف ، والسيد أبو اسماعيل لايسدد ، والمعلم عباس فرغ صبره ، ولم يعد فى استطاعته ان يمد السيد باكثر من هذا ...

فطالبه بدفع المبلغ ولم يجد ابو اسماعيل مايدفعه ، فامهله مرة وثانية وثالثة حتى يأتى الفرج من عند الله ، ولكن الفرج لم يأت بالقدر المطلوب ، وفكر ابو اسماعيل : يبدو أن الفرج قد أغلقت ابوابه ، الفلاحون يطلبونه عندما يكون لديهم عمل يريدون انجازه !، وفيما عدا ذلك لايريدونه لغير الضحك والتسلية ، يرونه كثيرا امام دكان المعلم عباس ، ويسمعون الحاح الرجل فى المطالبة بدينه ، وكأنهم لايرون ولايسمعون !، لو كانت له قطعة من الارض او حتى بعض الماشية ؟ لهان الأمر ، ولكنه لايملك غير ساعده وعرقه ، وكان فى استطاعته ان يضحك على الدنيا بنكتة لو لم يكن مدينا لأحد ، ولكن المعلم عباس رجل تاجر . المليم عنده يمثل قيمة مادية كبيرة ، فما بالك بثلاثة جنيهات ونصف ؟..

وذات يوم نشبت معركة حامية بين المعلم عباس والسيد أبو اسماعيل .. كانت معركة جادة كل الجد من جانب وهازلة ساخرة من جانب آخر ، وفيها أقسم المعلم عباس يمينا بالطلاق ليشتكين ابو اسماعيل فى المحكمة ويحجز عليه ، وحينئذ قال أبو اسماعيل فى بساطة متناهية :

ــ مادامت الحكاية وصلت الى الشكوى والحجز فكمل الحسبة وهات باكوشاى وربع سكر وباكودخان لأقدم لك التحية عندما تأتى مع المحضر ؟!..

ولم يكن من الحاضرين الا ان يضحكوا ملء اشداقهم !، واغتاظ المعلم عباس اكثر من ذى قبل ، وانصرف ابو اسماعيل الى بيته وهو يفكر بجد فى دفع ماعليه من دين ، ولكن تفكيره الجاد لم يصل به الى نتيجة حاسمة ، وزاد بؤسه وشقاءه أنه لم يكن يستطيع أن ينكت مع نفسه ! ، كانه فى استطاعته أن يضحك ويضحك الآخرين اذا التقى بهم ، ولكن اذا خلا بنفسه وصار معها وجها لوجه لم يستطع ان ينكت معها ! وبثقل عليه الهم لدرجة انه كان يشكر الله الذى اخذ ابنه واراحه من عناء البحث عن الطعام !.. اذ من المؤكد أن ابنه لو قدر له أن يعيش لن يكون خيرا منه .

وفى طريق عودته وجد قطعة من الخبز ملقاة بجوار حائط.. فأخذها ، وبعد خطوات يسيرة راى كلبين يتعاركان .. احدهما ضعيف الى حد الهزال ، يعوى بحرقة من ضربات خصمه الضخم القوى ، فوقف بالقرب منهما ينفض قطعة الخبز بين يديه ، ثم وجد نفسه يلقى بها للكلب الكبير ويقول له : خذ .. خذ يامعلم عباس !.. وامتلأت نفسه بالسرور حينما انقض الكلب القوى على قطعة الخبز يلتهمها بينما فر الكلب الهزيل هاربا غير مصدق بالنجاة ...

وفى اليوم التالى .. دعاه الحاج على ابراهيم ليسوى كوما مرتفعا بالأرض ويجعله صالحا لزراعة القرع ، كانت الأرض جافة صلبة ولكنه لم يعبأ بذلك .

وفى أثناء عمله مر عليه احد الفلاحين وسأله عما يعمل ؟.. فقال له على الفور :

ـ سنزرع هنا قرعا .. الواحدة مثل راس الحاج على ابراهيم ..

ثم رفع الفاس وطوح بها فى الهواء ثم ضرب الأرض بقوة ، وحينئذ احس بألم حاد فى ظهره ، حسبه أول الأمر ألما عارضا مثل تلك الآلام الكثيرة التى حدثت له من قبل ، فدلك ظهره بيده ثم واصل العمل ، ولكنه بعد فترة وجيزة تبين انه من المستحيل عليه ان يواصل الضرب بالفاس ... فذهب الى زوجته متألما شاكيا ، وراحت ام اسماعيل تعالجه بحكمتها الساذجة ، فصنعت له لبخة من الردة الساخنة وربطتها باحكام حول وسطه المنهوك ولكن هذا العلاج لم يات بنتيجة مثمرة بل ان المرض تسرب الى مفاصله كلها ، واصبح يسير محنى الظهر متوكئا على عصاه ، ومع ذلك كان فى استطاعته ان يسقى مواشى الفلاحين ويقدم لها العلوفات ... وكان يحلو له فى بعض الأوقات أن يتحدث الى بقرة الحاج رضوان فى السر ، قال لها يوما : « حتى أنت أيتها البقرة تنكرين الجميل ! اطعمك وأسقيك ، ومع ذلك ، تعطين لبنك لأناس لايقدمون لك شيئا ؟ .. » واخذ يمسح على رقبتها وينقى كتفيها من القراض ، وهى مستسلمة راضية بهذا العمل اللذيذ ، وفى هذه اللحظة اقبل الحاج رضوان من الخلف .. وسأله :

ـ ماذا تفعل للبقرة يابو اسماعيل ؟ ..

فالتفت نحوه مشدوها كمن اخذته المفاجاة ، ثم ابتسم واجاب :



ـ لاشيء .. كنت أعلمها بعض النصائح ، لأنها صارت شقية في هذه الأيام .

ومر الحادث عاديا كما تمر نسمة الهواء ، وبينما كان السيد أبو اسماعيل سائرا ذات يوم في أرض مشققة برجليه الحافيتين ، اعترضت زجاجة أسفل قدمه فدخلت فيها ، ومع انه انتزعها من رجله الا انها أحدثت شقا طويلا عميقا ، وشرب الجرح من الماء ، وتغذى من التراب ، فتورمت قدمه وازداد المه ، وصار يعتمد على العصا أكثر من ذي قبل ، وزاد به الضعف ففارت عيناه ، وبرزت عروق رقبته بوضوح كحبال رفيعة تربط راسه الاشيب بكتفيه الواهنتين ، ومع ذلك لم يكن يكف عن الضحك ، والقاء النكتة عندما يلتقي بأهل البلد ، كان يضحك حتى من المرض نفسه ، ولم ينقطع عن الذهاب الى المقهى والجلوس بين السمار والاستماع الى الراديو واتحاف الحاضرين بما تجود به قريحته التي لم تكن تخونه قط ! ...

وفوجيء يوما بالمعلم عباس ومعه المحضر والغفير ، كان المحضر راكبا على حمار أبيض مقصوص الشعر ، وحينما نزل عنه اقتاده الغفير حتى ربطه خلف بيت أبو اسماعيل الذي لم يكن سوى كوخ من اللبن ذي بابين متقابلين ، ثم نادى الغفير بأعلا صوته :

ـ يابو اسماعيل ... جالك الموت ياتارك الصلاة !..

وخرج أبو اسماعيل من بيته يجر نفسه بصعوبة ، ليرى هذا الموت الذي جاءه في هذه اللحظة التي يشعر فيها بازدياد المرض وسطوته وآلامه ... وتمنى من كل قلبه أن يكون موتا حقيقيا ! ومن خلف الباب الموارب أطلت زوجته بعين ونصف متمنمة في تحسر وكآبة ! ، ونظر ابو اسماعيل بامعان في وجه المحضر ثم قال ساخرا :

ـ اهو انت الموت ؟ .. مرحبا أيها الموت ! .. تفضل شاي ياحضرة الموت ؟ ..

وتكلم المحضر بلهجة رسمية معلنا انه جاء بتكليف من المحكمة بناء على طلب المعلم عباس أبو الحمد للحجز على ممتلكات السيد أبو اسماعيل نظير مبلغ ثلاثة جنيهات ونصف والمصاريف ، ثم أردف بلهجة آمرة :

ـ ياابو اسماعيل .. اما ان تدفع واما ان نحجز ؟ ..

وبعد برهة استجمع فيها السيد ابو اسماعيل قواه ، تبسم عن أسنان متآكلة ثم قال :

ـ ولكن ياجناب المحضر ، انت جعلتنى من ذوى الأملاك ؟. وانا لاأملك شيئا ، غير عصاى هذه وزوجتى فى داخل الدار ، واسمح لى ان اسألك : لقد جئتنى على أنك الموت .. بشهادة الفقير ؟ فلماذا انقلبت الى محضر ؟!..

ولم يطق المعلم عباس صبرا .. فصرخ فى المحضر ...

ـ هذا رجل مكار .. محتال .. يضيع الفرصة بالضحك والسخرية ؟ ...

ولما كان المحضر صامتا يفكر فى مايجب ان يفعله فقد اجاب ابو اسماعيل :

ـ يامعلم عباس .. أنا اتكلم بجد .. ليس عندى شىء .. وانت تعرف ذلك .. ولكن اذا كنت مصرا على موقفك فاحجز على مراتى ؟ ..

واختنق المعلم عباس بالغيظ بينما ضحك المحضر حتى اغرورقت عيناه ، وتعالت قهقهات الفلاحين الذين كانوا قد تجمعوا ليشهدوا عملية الحجز .. بينما صمت أبو اسماعيل وارتسم الجد فى عينيه لاول مرة ، وتجمدت عضلات وجهه الشاحب وبدا هرما كئيبا ، وهداه فكره فى هذه اللحظة الى ختام رائع لهذه الرواية ، فقد رأى ان يحسم الموقف بنكتة جديدة ، فقال :

ـ مادمتم مصرين على الحجز فاصبروا حتى ابحث لكم عن شىء ؟ ..

ثم ادار لهم ظهره المقوس ودخل بيته ، ثم غاب عنهم لحظة ، وعاد بنفس خطواته الوئيدة ، ودعا سيادة المحضر للدخول ..

ـ ترى ماذا فعلت ياابو اسماعيل ؟ ..

ـ لعله يحجز على الدولاب والسرير ؟ ..

ـ ربما كان لزوجته حلقان وغوايش ؟ ..

وفى الداخل كان المحضر منهمكا فى توقيع الحجز على حمار وجده فى ساحة الدار ..

كان همه ان يؤدى مهمته الرسمية ، فلما انهى واجبه خرج يفرك يديه ويطوى اوراقه فى سرور بالغ ، واحس المعلم عباس بارتياح عميق ! .. فقد ضمن نقوده وشفى غليله من السيد أبو اسماعيل ، ولم يبق أمام المحضر الا أن يغادر القرية ، وجرى

«المعلم وراء الخفير ليحضر الحمار بنفسه، وتبعهم بعض الاهالى، كل منهم يريد تقديم الحمار للمحضر الذى يعتبرونه ضيفا على القرية كلها وان كانوا يكرهون مجيئه .. ولكنهم لم يجدوا الحمار فى مربطه ! .. وداروا حول الكوخ باحثين عنه فلم يروا غير دجاجات تنقر الارض بحثا عن طعامها ، واعواد من القش متناثرة هنا وهناك ، واقراص من المسكة مكدسة على شكل تلال هرمية ، وندت عن المعلم صيحة مكتومة ، اين الحمار ؟!.. وقال احدهم : لعله فك رباطه وجرى هنا أو هناك ؟.. وانتشروا فى ازقة القرية وحواريها ، ثم انطلقوا فى الحقول والمزارع ، ولكنهم لم يقفوا للحمار على أثر ! .. هل طار فى الهواء ؟ .. هل ابتلعته الارض ؟ .. هل سرقه اللصوص ؟ .. ياللعار الذى حل بالقرية!. وانشغل الناس بالبحث عن الحمار بينما استبد اليأس بالمحضر، فوقف صامتا كئيبا ، ومن خلال يأسه راح يفكر فى الرجوع الى بيته ، وفى الطريق الطويل الذى سيقطعه على قدميه ، وفى الخسارة التى حلت به ، واخذ يستعيد فى ذهنه شكل الحمار وهيئته ، ومشيته وهو يركض به على الطريق ، وطفت الى راسه صورة الحمار الذى وقع الحجز عليه ، فى بيت ابو اسماعيل ! .. فضرب جبهته بكفه وصرخ فى أعماقه :

«لقد حجزت على حمارى ؟!..» .. والتفت الى ابواسماعيل فرآه مسندا ظهره الى الحائط صامتا كأن شيئا لم يحدث من حوله ، ولكن تجاعيد وجهه كانت تتحدث ، كما كانت نظراته الخابية تتألق بمعنى عميق ! .. فقد استطاع ان ينتصر ، أن يثبت قدرته رغم مرضه وفقره ، ان يحدث بلبلة فى عقول الناس الذين لم يعيروه التفاتا سوى أن يضحكوا منه ! ..

ها هو الآن فى استطاعته أن يضحك من قلبه ، ولكنه مع ذلك لم يفعل ! .. كانت ورطة المحضر تؤرقه !، وصاح الموظف المسكين فى توسل :

ــ حمارى يابو اسماعيل ؟!..

ــ لقد حجزت على حمارك !.. ولاشأن لى بذلك ، الأمر الآن فى يد المعلم عباس !.

وتعجب صاحب الحمار !.. انه يتحدث بمنتهى البساطة ، وكأن المحضر المسكين ، لم يخسر حماره فى معركة لا حمار له فيها ولا جمل ! .. لقد صار الحمار ملكا لابو اسماعيل بمقتضى الأوراق الرسمية التى كتبها المحضر بخط يده ! كيف التخلص من هذه الورطة ؟ .. ماذنبك أيها الموظف المسكين ؟!. حتى تخسر

حمارك ! .. فليذهب الدائن والمدين الى جهنم ، أما حمارك فلا ينبغى أن تخسره !..

دارت هذه الخواطر فى راس المحضر فعاد يتوسل :

ـ لماذا فعلت هذا ياابو اسماعيل ؟!..

وبنفس النبرات المتقطعة اجاب السيد :

ـ لأثبت لكم اننى لااملك شيئا !..

وتجمع الناس ثانية ، وراحوا يبحثون عن حل لمشكلة الحمار ، ورأى بعضهم أن يتنازل المعلم عباس عن الحجز !..ولكن المعلم رأى فى ذلك اهانة له حيث يكون قد انهزم امام خصمه !.. وطالب فى نفس الوقت ان يأخذوا على يد ابو اسماعيل ، الذى يعد سارقا ! .. ورأى آخرون أن يدفع صاحب الحمار المبلغ المطلوب ليخلص حماره وبعد ذلك يجمعونه له من اهل البلد ؟! ولكن المحضر لم يكن يملك هذا المبلغ .. وحينئذ قال الحاج على رضوان : « سوف اقدمها خدمة لجناب المحضر .. لعله ينفعنا فى المستقبل !» ثم اخرج حافظة نقوده ودفع المبلغ .. وانصرف الناس الى شئونهم ، وارتمى ابو اسماعيل فى بيته يعانى آلامه المبرحة ، ولكن حكاية الحمار جرت على كل لسان ..

تحدث عنها النساء فى بيوتهن ، وحكاها الرجال فى سمرهم وتفكهوا بها فى اجتماعاتهم ، وعندما تجمعوا فى قهوتهم ذات مساء ولم يجدوا من يسليهم بنكتة جديدة ، تذكروا ابو اسماعيل ، فقال احدهم :

ـ أنت ياحاج رضوان ؟. لقد كان ابو اسماعيل يعلف مواشيك ويسقيها ! لماذا لاتساعده ؟!..

وقال آخر :

ـ وانت ياحاج على ؟.. لقد انكسر ظهره وهو يعمل فى ارضك ؟!..

وتساءل ثالث :

ـ ما الذى كان يحدث لو ان المعلم عباس ابو الحمد تنازل له عن هذا المبلغ ؟ التافه ؟!..

وبدا عليهم جميعا الاهتمام بأمر ابو اسماعيل .. فتبرع الحاج على ابراهيم بعلاجه فى المدينة على حسابه الخاص .. وتنازل له الحاج رضوان عن بقرة حلوب ، وذهب جمع من الفلاحين الى بيت ابو اسماعيل يبشرونه بقدوم الفرج ، ولكنهم عندما وصلوا هناك وجدوه ميتا وامرأته بجواره تبكيه بحرقة ، عندئذ تمتموا فى تحسر : لقد كان رجلا ولا كل الرجال .

أخبار القصة

● **الاحتفال بمرور ٥٠ عاما على صدور أول رواية مصرية**

● **دعوة كبار القصاصين العرب والغربيين للاحتفال**

●**مهرجان القصة يعقد فى يوليو القادم**

من القرارات الهـــامة التى اتخذتها لجنة القصة فى المجلس الاعلى للعلوم والفنون والآداب ، الاحتفال بمرور خمسين عاماعلى صـــدور أول رواية مصرية . الرواية هى « زينب » للـكاتب الـكبير المرحوم محمد حسين هيكل ، ولجنة القصة برأسـها توفيق الحكيم .

قرر المجلس أن يكون الاحتفال على شكل مهرجان للقصـــة ، يشترك فيه القصاصون العـرب والاجانب من أعــلام القصـــة والروائيين .

سيدعى من الكتاب العـــرب ميخائيل نعيمـة وسهيل ادريس ومن الاجانب « جان بول سارتر » والكاتبة « سيمون دى بوفوار » قرينته، والكاتب الايطالى «البرتو مورافيا »٠ مهرجان القصة سيقام فى شهر يوليو ٠ قد تكونت لجنة للمهـرجان من محمـود تيمور ، ومحمـود البـدوى ، وعلى أحمد باكثير ٠٠

●●●

مطبوعات قصصية
تكريما لكتاب فقدناهم

ابتداء من شـهر يناير ، هذا هذا الشهر ، يصدر المجلس الاعلى للآداب والعـلوم والفنون ، عدة مجموعات قصصية تكريما لكتاب فقدناهم ، من هذه المجموعات .

● **ماتراه العيون**
لمحمد تيمور

● **سخرية الناى**
لطاهر لاشين

● **مجموعة قصصية**
شحاته عبيد

● **ليالى سطيح**
لحافظ ابراهيم

ستتولى الدار القومية للطباعة والنشر طبع هذه المجموعات

●●●

عمر بن الخطاب
فى ١٧ جزءا

ملحمة عمر بن الخطاب التى تفرغ لها على أحمد باكثير . تقع فى ١٧ جزءا . وهى دراما نثرية تحتاج الى ٢٠ فصـــلا ، ولو مثلت تحتاج الى ١٥ ليلة .

يقول باكثير ان روايته لا يفوقها فى الطول غير ملحمة الحكام » لتوماس هاردى ·

باكثير نشر مشهدا واحدا من هذه الملحمة فى مجلة « المجلة » استغرق ٦ صفحات كاملة بالبنط الصغير !

باكثير حائر بهذه الملحمة !

●●●

عادل كامل .
يعود للقصة .

القصاص القديم والروائى « عادل كامل » يعود الى كتابة القصة من جديد بعد احتجاب دام عشرين عاما . عادل قدم للمكتبة العربية « ويك عنتر » مسرحية ، « وملك من شعاع » رواية تاريخية ، و «مليم الاكبر» رواية عصرية .

●●●

عبد الحليم وغراب وسيناريو الافلام :

عبد الحليم عبد الله ، وأمين يوسف غراب ، يقومان الآن باعداد سيناريو سينمائى لقصصهما .



بين القصص

بقلم عاشور عليش

كلمة :

فى هذا الباب ، تعرض مجلة القصة ، أحدث ما أخرجته المطابع من مجموعات قصصية أو روائية · وهى لا تستهدف بهذا العرض السريع دراسة كاملة ، أو نقدا علميا ، وانما تستهدف خدمة القارىء فى التعريف بالجديد فى هذا العالم الفسيح ·· عالم القصة فى بلادنا ·

لقد أصبح القارىء يجد صعوبة فى تتبع الوفير من انتاجنا القصصى ، وأصبح من واجب صحافة القصة أن تأخذ بيد القارىء الى هذا اللون المحبوب من ألوان الادب ، الذى يلقى كل يوم مزيدا من الاقبال ، واهتمام القراء ··

ونحن نأمل أن يكون هذا العرض، مقدمة أو تمهيدا أمام النقاد كى يضعوا هذه المجموعات فى ضوء الدراسة ، والنقد ، والتقديم ·

كما نحب أن نقول ان اغفالنا لمجموعة من المجموعات ليس مقصودا ، أو متعمدا ، وانما قد يكون مبعثه عدم توفر هذه المجموعات تحت أيدينا ·

بقلم : محمد التابعى . فى ١٢٥ مجموعة الكتاب الذهبى .

فى هذه القصة الطويلة ، نجد انفسنا امام صحفيين من كتاب القصة، الاول هو الدكتور سعيد عبده الذى عاش احداثها كطبيب وصديق لابطالها، والثانى هو الاستاذ محمد التابعى الصحفى الكبير الذى قام بكتابتها ، كما رواها له صديقه القصاص سعيد عبده .

ولعلنا من هذه المقدمة الصغيرة ، نفهم ان حوادث القصة كلها من الواقع، وأن ابطالها من شخصيات المجتمع ، بل ان بعض احداث القصة عاصرها ناس معروفون منهم الصحفى كفكرى اباظه ، ومنهم بعض اعضاء النادى الاهلى فى ذلك الوقت .

واحداث القصة ، كما وقعت ، تشكل ماساة انسانية دامية ، كان بطلها رياضى معروف على خلق من الرجولة والمثالية قلما تتوفر فى شاب فى مثل سنه او شهرته او بطولته ، احب ابنة رجل عصامى كون نفسه بنفسه حتى اصبح ثريا كبيرا. واحبته الفتاة بدورها بكل ثقافتها الجامعية ، وبكل مثاليتها . وبارك الوالد حب الشابين رغم انه كان يفضل زواج ابن اخيه من ابنته ، حيث كان هذا الاخير ـ ابن الاخ ـ ساعده الايمن فى أعماله وموضع سره وثقته . ولكن البطل الرياضى يكتشف فى نفسه سرا خطيرا ورثه عن أبيه واخيه .. اكتشف انه مصاب بالذبحة الصدرية بالوراثة ، وانه مهدد بالموت بها كما مات ابوه واخوه . ويذهب الى استشارة الطبيب دكتور سعيد عبده ، فيتاكد من المرض بعد الفحص ويحاول كتمان الامر عن البطل الشاب ، ولكن الاقدار لا تمكنه من هذا الكتمان ، ويعرف الشاب الحقيقة ويتاكد منها ويفقد الامل فى كل شيء . ويعقد العزم على الا يتم زواجه من الفتاة التى يحبها مهما كان الامر .

وعلى نقيض الفتاة ، كان لها اخ ، متلاف ، مبذر ، منحرف . اخفى الجميع حقيقة امره عن ابيه حتى لا يفجع فيه اذ انه ولده الوحيد .

وحاول البطل الشاب أن ينسحب من حياة الفتاة ، ولكنه لا ينجح فى ذلك . اذ ان الفتاة كانت تحبه بكل قلبها ، كما كان يحبها هو بكل وجوده وفى عيد مولدها ، يفاجىء البطل اخاها ، فى موقف مريب أمام خزانة أبيه .. كان يسرق أموال والده . ويفاجىء الاب ، الابن وخطيب ابنته، فى هذا الموقف المريب ، فيجد البطل فرصته التى يبحث عنها فى الخلاص ممن يحب ، فيعترف بسرقته للاموال. فيغضب الثرى الكبير ويطرده من بيته. وتحضر الفتاة على صوت الجلبة وتكاد تجن لانها تعرف سوء سلوك أخيها . وبعد سلسلة من الأحداث المثيرة تعرف حقيقة الامر ، وحقيقة المرض، فتزداد حبا للبطل ، وتكاد تصارح اباها بحقيقة ابنه ، أخيها ، ولكنها تخاف على والدها من الصدمة ... وتعلن عن تمسكها بحبيبها اللص فى نظر والدها .. فيطردها الاب من بيته ، قاصما رباط الابوة ..

وتهرع الفتاة للبحث عن حبيبها

الذى اخفى نفسه عنها . ويتدخل القدر . يقع اختيار النادى الاهلى على البطل الشاب لتمثيل مصر فى مباراة دولية للعدو السريع تقام على ارض النادى بدلا من زميل له ، وردا لاعتبار البطل بعد ان اتهمه الثرى الكبير بالسرقة فى احدى الصحف وبأسلوب ذكى مع عدم ذكر الاسماء ..

وفى اللحظة التى يرفع فيها علم مصر ، اعلانا عن فوز البطل ، يسقط البطل صريعا .. ميتا بدائه . وفى نفس الوقت تصل حبيبته ، لتلقاه جثمانا بين صدرها !! .

لقد روى التابعى القصة بأسلوبه الصحفى الواقعى المثير دون اى محاولة للافتعال ، فجاءت صادقة ، بسيطة ، مؤثرة . تنفذ الى اقسى القلوب من اقصر طريق .!

●●●

دنيا الله .

بقلم : نجيب محفوظ . فى ٢٦١ صفحة . الناشر : مكتبة مصر .

فى هذه المجموعة التى تضم ثلاث عشر قصة ، يعود نجيب محفوظ الى كتابة القصة القصيرة ، التى سبق له ان عالجها ، قبل ان ينصرف الى كتابة الرواية الطويلة ..

وفى قصص نجيب محفوظ القصيرة، كل ملامحه الروائية ، غير انه أكثر تركيزا ، وهى تحمل طابعه المميز ، وفلسفته ، ونظرته الى الحياة ، والى الناس .

وكل قصة فى المجموعة تحمل فكرة فلسفية ، او موقفا من الحياة ، لا تخلو او لا يخلو من سخرية . والقصص مجتمعة تمثل مجتمعنا المصرى بخيره وشره ، ببياضه وسواده، باستقامته وانحرافه ، وان كان طابع المرارة يغلب عليها .

وقد جاء اسلوب نجيب محفوظ فى هذه المجموعة مركزا ، مشرقا ، نابضا بالذكاء والعمق ، مليئا بالعبارات والتشبيهات الجديدة ، أشبه بسيناريو الافلام، نابض بالحركة ، وتتابع الصور، فى عمق ، ودقة تصوير ..

وفى هذه المجموعة عرض نجيب محفوظ قطاعات عريضة من مجتمعنا، شملت دور الحكومة ، والقاتل ، والحانات، وميدان الصحفى ، وضابط البوليس ، ومدير الشركة ، والمتشرد، والمتصوف ، وامام المسجد والمنحرف، ومدمن المخدرات !!

ان نجيب محفوظ فى هذه المجموعة يلتقط ابطال قصصه من واقع حياتنا، وينفذ الى اغوارهم ، واعماقهم النفسية ، وهو فى سبيل الكشف عنهم .. يلقى الاضواء كاملة على المجتمع كله .. فهو البطل فى كل المجموعة ، وهو المسئول عن شذوذ الافراد، وانحرافهم، وتكوينهم الشاذ الغريب .

فساعى الادارة فى قصة « دنيا الله » يسرق مرتبات الموظفين اول الشهر ويهرب بها لانه يعيش فى حرمان مخيف من كل شىء حتى من « بائعة اليانصيب » التى يموت حبا فيها .

وفى قصة « فى جوار الله » يستعجل الموظف القديم المتعلم موت عمة ابيه العانس ، ليرث بيتها واموالها ، لانه يعيش فى فقر مدقع ولا يقدر على تربية اولاده او الوفاء بمطالبهم العديدة

وفى قصة « قاتل » صور نجيب

محفوظ حياة رجل طريد سجون ، لم يجد ما يقتات به ، حتى وقع فريسة لمجرم خطير من تجار المخدرات ، اشتراه بمبلغ خمسين جنيها ليقتل خصما له .. لا يعرفه الرجل القاتل على الاطلاق ، ولا تربطه به اية رابطة. وعندما تربص لقتله ، بعد ما درس موقع بيته وشاهده وهو يودع طفله الصغير ، تذكر القاتل ابنه الذى مات وهو فى السجن ، وذاب قلبه حنانا وكاد يرجع عن عزمه ، ولكنه تذكر انه لن يقبض الثمن ، وبالتالى ثمن الخبز ، كما ان امتناعه عن القتل ، لن يذهب عنه الموت هو شخصيا بعد أن قبض العربون ، وبعد أن أوقعه الارهابى الكبير مهرب المخدرات تحت رقابته ورقابة عصابته .. فيقدم على قتل الرجل ، كأنما يقتل نفسه تماما ..

والحق ، فى كلمة واحدة ، ان هذه المجموعة ، تمثل ادب وفن نجيب محفوظ تماما ، وتكشف عن سيطرته الكاملة على هذا النوع من فنون القصة .

●●●

صلاح ذهنى فى ذكراه العاشرة :

بقلم : سمير وهبى . فى ٢١٠ صفحة . الناشر : مؤسسة سجل العرب .

ان اختيارنا لهذا الكتاب ليس لانه قصة حياة ، كاتب قصة قدير وفنان هو المرحوم صلاح ذهنى ، وانما تحية منا ـ من مجلة القصة ـ لهذا الفنان الراحل فى ذكراه العاشرة .

والكتاب فعلا خير تحية توجه الى قصاص كبير وصل الى قمة رفيعة فى كتابة القصة ، بعد حياة حافلة بالكفاح . فقد حالت الظروف المادية دون أن يستكمل تعليمه الجامعى ، ولكنه بارادته ، وبعد توظفه ككاتب فى سجن قليوب ، استطاع أن يستكمل هذا النقص ، وان ينتسب الى كلية الآداب ، ويحصل على الليسانس ، ثم يعمل سكرتيرا لدار الاوبرا ..

وفى حياة صلاح ذهنى مأساة انسانية . فقد ودع الحياة بعد صراع مرير مع مرض السل ، ولم تنجح كل وسائل العلاج فى شفائه سواء فى مصر او فى الخارج .. اذ ذهب الى لندن للعلاج ، ولكنه لم يعد .. وعادت جثته .. جثة بلا روح ، بلا صلاح .

ويبدو أن صلاح كان يستشعر نهايته السريعة، فقطع حياته بالطول والعرض، باحثا عن المعرفة والجمال والفن ، وزار أوربا واتصل بفنانيها بحكم عمله فى دار الاوبرا .

وقد عرض المؤلف سمير وهبى ، قصة صلاح ذهنى فى أسلوب مشوق ، نابض بالحياة ، مستندا الى أصدقاء صلاح من الكتاب والفنانين والصحفيين

واذا كان لنا ان نرجو ، او نامل فى شىء ، ونحن بصدد نهضة ثقافية شاملة ، هو ان تعيد وزارة الثقافة طبع اعمال الاديب الراحل صلاح ذهنى، لتبقى آثاره دائما بيننا ..

ولا يختلف اثنان فى مكانة صلاح ذهنى القصصية ، ولا فى جهوده التى بذلها فى فى دعم قواعده واصولها ، لقد دفع ثمن التجربة غاليا .. دفع حياته .

رحم الله الفقيد ، وعوضنا عنه ، أقلاما جديدة ، تنجح نجاحه فى كتابة القصة .. وحب القصة .

عاشور عليش

ليلة عاصفة

لعبد الحميد جوده السحار يقدمها مأمون الغريب

هذه رحلة سنعيش فيها فى عالم القصص .. هذا العالم الذى يموج بالحركة والحياة .. ويطوف بك فى رحاب اجمل الفنون .. سنبدأ رحلتنا مع مجموعة القصص الجديدة .. التى كتبها عبدالحميد جودة السحار بعنوان .. ليلة عاصفة

هذه المجموعة كتبها صاحبها عام ١٩٥٨ .. وان كانت لم تنشر الا اخيرا .. كتبها قبل قصته جسر الشيطان.. ويرمى المؤلف وراء هذه المجموعة ... تصوير الضياع التى تعيش فيه أوربا على الخصوص .. وايمان الناس بالقيم المادية .. ووصف الشقاء التى يعيشون فيه .. وكانه يريد أن يدعو أوربا الى العودة الى الايمان .. الى الله .

هذا الضياع التى تعيش فيه أوربا .. صورة من ادباء اوربا البرتو مورافيا ، وجون بول سارتر .. وعالج كل منهما المشكلة بطريقته الخاصة .. ولكن السحار عالجها متأثرا بروح الشرق .. بروح البيئة التى نشأ فيها .. انه يدعو عن وعى بضرورة العودة الى الايمان .. فالمؤلف يؤمن ان الدين يرفع الانسان فوق واقعه .. ويسمو بروحه ... حتى يصبح أقوى من الاحداث المادية الهابطة .. التى يحياها .. لان المؤمن بالدين .. يحس انه فى حماية قوة .. قادرة .. عاقلة ... مدبرة .. ترعاه وتبارك خطاه .. فى حين ان المؤمنين بالمذاهب والفلسفات المادية .. ينكسرون عند أول صدمة فى معركة الحياة .. فلا تجد بين المؤمنين صرعى ولا مرضى النفوس والعقول .. بينما تجد مستشفيات أوربا .. تفوص بأصحاب العقول الضعيفة .. ومعقدى النفوس ، والرافضين للحياة ..

وهو فى مجموعة « ليلة عاصفة » يتبع الاسلوب الفنى .. ولكنه لم ينس لحظة واحدة .. انه كاتب مؤمن .. فان كانت هذه الظاهرة بارزة فى بعض قصص المجموعة .. فذلك عن طبيعة مؤمنة .. لا يمكن ان تنسى نفسها .. ولو كانت تعالج موضوعا .. قد يبدو غارقا فى المادية .

ولا شك .. ان العناية بمشاكل الدين فى القصص خاصة .. ليس أمرا جديدا .. فكل روايات توماس مان .. تعالج علاقة الانسان بالله ... ولم يسخر ناقد من هذه الكتب او مضمونها .. كما يحدث غالبا عندنا ... وكتب شالوم آسن فيها علاج لعلاقة الانسان بالله .. وبعضها يتحدث عن مشاكل الدين صراحة وهذا الاتجاه واضح فى كتب الغربيين عموما .. اذا استثنينا الماديين منهم .

وقصة ليلة عاصفة فى المجموعة التى تحمل هذا الاسم .. تصور مشكلة فلسطين فى الدنمارك بطريقة عملية .. البطلة يهودية لا تؤمن بمشكلة اللاجئين العرب .. فجعلها البطل لاجئة لليلة واحدة فى البرد والمطر حتى تحس احساس العرب اللاجئين .. الذين كانت تسخر من مشكلتهم .. ولعل هذه المشكلة الهامة .. هى التى جعلت المؤلف يطلق على المجموعة هذا الاسم .